

مكتبة 1649

الأكثر مبيعًا في قائمة نيويورك تايمز



Book #3

عقار الموت

THE DEATH CURE

جيمس داشنر

ترجمة: محمد عبد العاطي

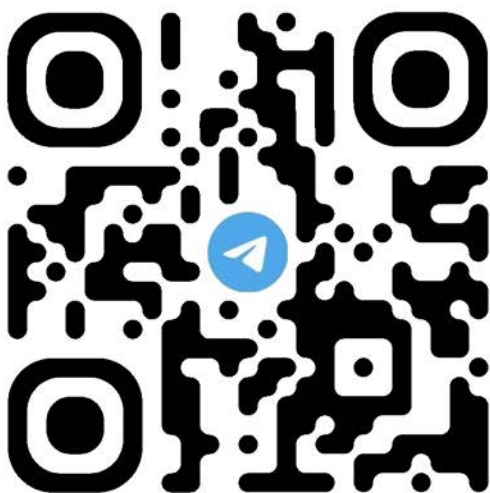


عقار الموت

الجزء الثالث من السلسلة ,, بقي جزئين
سجل في مكتبة الآن ..

انضم ل مكتبة .. اصح الكود

telegram @soramnqraa





لتجارة الكتب

إدارة التوزيع

00201150636428

لمراسلة الدار:

email:P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.aseeralkotb.com

● ترجمة: محمد عبد العاطي

● مراجعة وتحرير: محمد الجيزاوي

● تدقيق لغوي: أسماء أبو المجد

● تنسيق داخلي: معتر حسنين علي

● الطبعة الأولى: يناير / 2022م

● رقم الإيداع: 2021/25017م

● الترخيم الدولي: 5-72-6902-977-978

● العنوان الأصلي: The Death Cure

● العنوان العربي: عقار الموت

● طبع بواسطة: Delacorte Press

● طبع بواسطة: ديلاكورت بريس

● حقوق النشر: 2011، جيمس داشنر
copyright © 2011 by James Dashner

● حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب

22 1 2024

مكتبة

t.me/soramnqraa



الأكثر مبيعًا في قائمة نيويورك تايمز

عقار الموت THE DEATH CURE

مكتبة | 1649

جيمس داشنر

ترجمة: محمد عبد العاطي



الفصل الأول

الرائحة هي ما بدأت تدفع توماس إلى حافة الجنون. ليس وجوده وحده أكثر من ثلاثة أسابيع، وليست الجدران البيضاء، والسقف الأبيض، والأرضية البيضاء، وليس انعدام النوافذ، أو عدم إطفائهم المصابيح أبداً، ليس أيًا من هذا. قد أخذوا ساعته اليدوية، ويطعمونه الوجبة نفسها ثلاث مرات في اليوم: شريحة لحم خنزير، وبطاطس مهروسة، وجزرًا نيئًا، وقطعة خبز وماء، ولم يتحدثوا إليه مطلقًا، ولم يسمحوا بدخول أي أحد آخر إلى الغرفة؛ لا كتب، ولا أفلام، ولا ألعاب.

عزلة تامة لأكثر من ثلاثة أسابيع بحلول هذا الوقت، رغم أنه بدأ يشك في مدى دقة رصده للوقت الذي كان قائمًا على الغريزة وحدها، وبذل ما بوسعه لتخمين مواعيد هبوط الظلام، وحرص على أن ينام ما بدا له أنها ساعات النوم الطبيعية، وساعدته الوجبات، رغم عدم انتظامها على ما يبدو، كأنما قُدِّر له أن يعيش حيرة أبدية!

وحيثُ في غرفة مبطنّة الجدران، ومجردة من الألوان باستثناء مرحاض فولاذيٍّ صغير يكاد يكون خفيًا في ركنٍ منزوي، ومكتب خشبي قديم لا حاجة إلى توماس به. وحيثُ في صمتٍ لا يُطاق، مقرون بوقت لا محدود ليفكر بالمرض المتغلغل بداخله؛ الوهج، ذلك الفيروس الصامت الذي يدب بدواخله، ويمحو ببطء كل ما يجعل المرء إنسانًا. أيُّ من هذا لم يدفعه إلى الجنون!

بيد أنه كان ننتًا، ولسببٍ ما جعلت الرائحةُ أعصابه مشدودة حادة، حيث راحت تُقطّع أوصال رشده. لم يسمحوا له بالاستحمام، ولم يوفرُوا له غيار ملابس منذ وصوله، أو أي شيء لينظف به جسده، لو أن لديه خرقة قماش بسيطة لساعدته بغمسها في الماء الذي يقدمونه لشربه، وتنظيف وجهه على الأقل، لكن لم يكن لديه شيء؛ لا شيء سوى الملابس القذرة التي ظل يرتديها

منذ أن حبسوه، حتى دون فراش وأغطية، إذ كان ينام متكورًا، ومؤخرته محشورة في ركن الغرفة، عاقداً ذراعيه، محاولاً احتضان شيءٍ من الدفء إلى نفسه، مرتجفًا معظم الوقت.

لم يدرك لماذا كانت رائحة جسده الكريهة هي مثار هلعه، وربما هذه في حد ذاتها إشارة إلى أنه فقد صوابه، لكن لسببٍ ما كان لمستوى نظافته المتردي وطأة ثقيلة على عقله، نجمت عنها أفكار مروّعة، مثل أنه يتعفن، ويتحلل، وأحشاؤه تغدو زنخة كجلده. هذا ما كان يقلقه، رغم عدم عقلانية الأمر! لديه فائض من الطعام، وقليل من الماء، مما يكفي لإطفاء عطشه، وفائض من أوقات الراحة؛ يتمرن قدر المستطاع في الغرفة الصغيرة، عادةً بالجري، وهو واقف في مكانه لساعات. أخبره المنطق بأن قذارته لا علاقة لها بصحة قلبه، أو بوظائف رئتيه، لكن بلا جدوى، بدأ عقله يعتقد أن ننانته الدائمة تمثل الموت، وهو يهرع إليه ليلبتله بكامله!

وهذه الأفكار السوداوية، بدورها، بدأت تجعله يتساءل عما إذا كانت تيريسا كذبت في آخر مرة تحدثوا فيها، عندما قالت إن الأوان قد فات على توماس، وأصرت على أنه تأثر بالمرض سريعًا، وصار مجنونًا وعنيفًا، وأنه كان قد فقد رشده سابقًا قبل أن يأتي إلى هذا المكان الفظيع، حتى إن برندا حذرته من أن الأمور على وشك أن تأخذ منحى سيئًا، وربما كانتا على حق. وتحت كل هذا يكمن قلقه على أصدقائه؛ ماذا حلَّ بهم؟ أين هم؟ ما الذي يفعله الوهج بعقولهم؟ بعد كل ما أخضعوا له، أهذا ما سينتهي إليه كل شيء؟ تسلل الغضب إليه ببطء، كجرذ مرتعش يبحث عن منطقة دافئة وكسرة طعام، ومع مرور كل يوم يزداد غضبه استعازًا، لدرجه أن توماس أحيانًا يضبط نفسه، وهو يرتعش لا إرادياً، قبل أن يكبح غضبه ويلجمه، ولم يكن يريد أن يتبدد تمامًا، بل أن يدخره ويتركه يحتدم، في انتظار الوقت والمكان المناسبين ليطلق له العنان. وكِد هي التي فعلت به كل هذا؛ وكِد اختطفت حياته وحياة أصدقائه، لتستغلها في سبيل أهداف -أيًا كانت- يعدونها ضرورية دون أن يلقوا بالأل للعواقب. وكان توماس يقسم لنفسه ألف مرة في اليوم أنهم سيدفعون ثمن فعلتهم.

دارت كل هذه الأفكار بخلده في أثناء قعوده، مستندًا بظهره إلى الجدار، ومواجهًا الباب، والمكتب الخشبيُّ القبيح القابع أمامه، في وقت متأخر -حسب تخمينه- من صباح اليوم السادس والعشرين له؛ أسير في الغرفة البيضاء، وكثيرًا ما كان يفعل هذا، بعد تناول الإفطار، وبعد التمرُّن، يحذوه الأمل أن يفتح الباب؛ يفتح بأكمله فعلًا حتى النهاية، وليس الكؤة الصغيرة أسفل التي يُدخِلون عبرها وجباته.

حاول مرات لا تحصى أن يفتح الباب بنفسه، ودائمًا ما كان يجد أدراج المكتب خاوية، لا شيء فيها سوى رائحة العفن الفطريِّ، وخبث السيدار، ينظر بداخلها كل صباح، تحسُّبًا لظهور شيء فيها سحريًّا في أثناء نومه، فهذه الأشياء تحدث أحيانًا عندما يتعامل المرء مع وكِد. ظل قاعدًا، يحدق إلى الباب، منتظرًا ومحاطًا بالجدران والصمت ورائحة جسده، متروكًا ليفكر بأصدقائه؛ مينهو، ونيوت، والسيد طاسة، وقلّة من أفراد الجلاید الآخرين الذين ما زالوا على قيد الحياة، وبرندا، وخورخي اللذين غابا عن الأنظار على متن البيرج العملاقة بعد إنقاذهم، وهارييت، وسونيا، وفتيات أخريات من المجموعة (ب)، وأريس، وتحذير برندا له بعدما استيقظ في الغرفة البيضاء أول مرة؛ كيف تحدثت إليه في عقله؟ أهى في صفه أم لا؟ لكنه كان يفكر بتيريسا معظم الوقت، إذ عجز عن إخراجها من رأسه، رغم أن كراهيته لها تزداد شيئًا فشيئًا بمرور كل لحظة. كانت آخر كلماتها له هي: «وكِد تسعى للخير»، وسواء كانت تيريسا محقة أو مخطئة؛ صارت تمثّل له كل الأشياء الفظيعة التي حدثت، ويغلي غضبًا كلما فكر بها. وربما كان كل هذا الغضب هو الخيط الأخير الذي يشده إلى رشده في أثناء انتظاره.

الأكل.. النوم.. التمرن.. التعطش إلى الانتقام؛ هذا كان ديئنه طوال ثلاثة أيام إضافية، وحده.

وفي اليوم السادس والعشرين، انفتح الباب...

الفصل الثاني

كان توماس قد تخيل انفتاح الباب مرات لا تحصى، وتخيل ما سيفعله، وما سيقوله، تخيل أنه سيندفع إلى الأمام مطيحًا بمن يدخل، ويطلق ساقيه للريح، ويهرب، بيد أن هذه الأفكار كانت للتسلية تقريبًا أكثر من كونها واقعية، إذ كان يعلم أن وكد ما كانت لتسمح بحدوث شيء كهذا. كلا، إنه يحتاج إلى تخطيط جميع التفاصيل سابقًا قبل أن يُقدم على التحرك. وعندما حدث الأمر بالفعل، عندما انفتح الباب مصدّرًا صوتًا حفيظًا خفيظًا، وبدأ يتأرجح متسعًا، فوجئ توماس برده فعله، إذ لم يفعل شيئًا. أوحى له شيء ما بأن حاجزًا خفيظًا قد انتصب بينه وبين المكتب، كما حدث في المهجع بعد خروجهم من المتاهة. لم يجن وقت التحرك، ليس بعد.

لم يحس سوى بأقل قدر من الدهشة عندما دخل الرجل الجرد؛ الرجل الذي أخبر أفراد الجلاد عن التجربة الأخيرة التي أرغموا على خوضها عبر الأرض المحترقة. الأنف الطويل نفسه، عينا ابن عرس نفسها، والشعر الدهني المشط فوق بقعة صلعاء ظاهرة متربعة على نصف رأسه، والبدلة البيضاء السخيفة نفسها، لكنه بدا أكثر شحوبًا مقارنةً بآخر مرة رآه فيها توماس، يتأبط ملفًا سميكًا مملوءًا بعشرات الأوراق المجددة الفوضوية، ويجر خلفه كرسيًا ذا ظهر مستقيم. قال، وهو يأتي بإيماءة متخشبة:

- صباح الخير يا توماس.

وأغلق الباب، دون أن ينتظر ردًا، ووضع الكرسي خلف المكتب واقتعده، ثم وضع الملف أمامه، فتحه وشرع في تقليب أوراقه، وعندما وجد ضالته توقف، وأراح يديه على الملف، ثم ابتسم ابتسامة مزرية، وعيناه تستقران على توماس. أدرك توماس، عندما تكلم أخيرًا، أنه لم يتكلم منذ أسابيع، وخرج صوته كأنه نقيق ضفدع:

- لن يكون صباح خيرٍ إلا إذا سمحت لي بالخروج!
- لم يطرأ أقل قدر من التغيير على تعابير الرجل عندما قال:
- أجل، أجل، أعرف، لا داعي للقلق، سوف تسمع الكثير من الأخبار الإيجابية اليوم، ثق بي.
- فكر توماس بما قاله، شاعرًا بالخزي، لأنه سمح لكلام الرجل بأن يرفع أماله، حتى لو لثانية، إذ ينبغي أن يكون أدرى عندئذٍ، وقال:
- أخبار إيجابية؟! ألم يقع اختياركم علينا، لأنكم توسمتم فينا الذكاء؟
- لبث الرجل الجرد صامتًا عدة ثوانٍ قبل أن يجيب:
- أنكيا! نعم، من بين أسباب أهم.
- ثم أطرق، وتفحص توماس قبل أن يردف:
- أعتقد أننا نستمتع بكل هذا؟! أظننا نستمتع بمشاهدتكم تعانون؟! كل ما جرى كان في سبيل هدف، وقريبًا ستدرك المغزى من كل شيء!
- تصاعدت حدة صوته حتى بلغت درجة الصراخ عند الكلمة الأخيرة، واحمر وجهه، فقال توماس، وهو يزداد جرأة بمرور كل دقيقة:
- مهلاً! على رسلك أيها العجوز! تبدو على وشك التعرض لأزمة قلبية! وراوده إحساس جميل بتلفظه بمثل هذه الكلمات.
- وقف الرجل أمام كرسيه، ومال إلى الأمام على مكتبه، منتفخ الأوداج، ثم قعد ببطء، متنفسًا بعمق قائلاً:
- قد يظن المرء أن قضاء نحو أربعة أسابيع في هذا الصندوق الأبيض كفيلٌ بتأديب أي فتى، لكنك تبدو متعجرفًا أكثر من أي وقت مضى!
- إذن، هل ستخبرني بأنني لست مجنونًا، وأنني لست مصابًا بالوهج، ولم أصب به قط؟
- لم يتمالك توماس نفسه، وتصاعد حنقه حتى أحس أنه على وشك الانفجار، لكنه حمل نفسه على تهدئة صوته، وتابع:
- هذا ما جعلني أحافظ على رشدي في أثناء كل هذا. أعرف في أعماقي أنكم كذبتُم على تيريسا، وأن هذا مجرد اختبار آخر من اختباراتكم، إلى

أين سأذهب إذن؟ سترسلونني إلى القمر اللعين؟! ستجعلونني أعبّر المحيط سباحةً مرتدياً ملابسياً الداخلية؟! (وابتسم ليُضفي التأثير المطلوب).

ظل الرجل الجرد يحدق إلى توماس بعينين خاويتين في أثناء حديثه، وقال:

- هل انتهيت؟

- لا، لم أنته!

كان توماس ينتظر فرصة الحديث يوماً تلو يوم، لكن عندما سنحت له أخيراً، استحال عقله صفحةً بيضاء؛ نسي جميع السيناريوهات التي تصورها في ذهنه، فتابع:

- أنا... أريدك أن تخبرني بكل شيء، الآن.

قال الرجل الجرد بصوت خافت كأنه يبُلِّغ خبراً حزيناً لطفل صغير:

- آه يا توماس، لم نكذب عليك، إنك مصاب بالوهج فعلاً!

بُوغِت توماس، وسرت رعدة باردة في جسده الذي يتقد غضباً، وتساءل؛ هل يكذب الرجل الجرد؟! لكنه هز كتفيه بلا مبالاة، كأنما كان يتوقع الخبر طوال الوقت، وقال:

- طيب، لم أجن بعد!

في مرحلة معينة، بعد كل الوقت الذي أمضاه في عبور الأرض المحترقة، وصحبة برندا، محاطاً بالنزقين؛ تصالح مقتنعاً مع حقيقة أنه سوف يصاب بالفيروس في نهاية المطاف، لكنه قاله لنفسه إنه بخير في الوقت الراهن، بكامل قواه العقلية، وإن هذا هو كل ما يهم الآن.

تنهد الرجل الجرد قائلاً:

- أنت لا تفهم.. لا تفهم ما جئتُ هنا لإخبارك به!

- لماذا عساي أن أصدق أي كلمة تخرج من شفطيك؟ كيف يُعقل أن تتوقع مني تصديقك؟!

أدرك توماس أنه قد نهض واقفًا، رغم أنه لم يتذكر نهوضه، وكان صدره يعلو ويهبط بأنفاس ثقيلة، فوجب عليه أن يسيطر على نفسه. ورمقه الرجل الجرد بتحديقة باردة من عينين كأنهما حفرتان سوداوان. عرف توماس -بصرف النظر عما إذا كان الرجل يكذب عليه أم لا- أنه سيتعين عليه أن يستمع إليه حتى النهاية إذا أراد أن يغادر الغرفة البيضاء، فأرغم نفسه على إبطاء تنفسه، وانتظر.

وبعد بضع ثوانٍ من الصمت، تابع زائرته:

- أعرف أننا كذبنا عليك كثيرًا، وارتكبنا بحقك وحق أصدقائك بعض الأشياء الفظيعة، لكن كل هذا جزء من خطة وافقت أنت عليها، ليس هذا فحسب، بل وشاركتَ في وضعها. وقد اضطررنا إلى التماذي قليلًا مقارنةً بما كنا نأمله في البداية، ليس ثمة شك في هذا، لكن كل شيء ظل ضمن جوهر ما تصوره المؤسسون: أي ما تصورته أنت بدلًا منهم عندما... جرى تطهيرهم.

هز توماس رأسه ببطء، إذ كان يعلم أنه كان متورطًا مع هؤلاء الناس ذات يوم، بطريقةٍ ما، لكن فكرة أن يجعل أي أحد يمر بما مر به كانت عصية على استيعابه. قال:

- لم تُجِبنِي، كيف يُعقل أن تتوقع مني تصديق أي شيء تقوله؟!

كان يتذكر أكثر مما يفصح عنه بالطبع، فرغم أن النافذة التي تطل على ماضيه يعلوها السخام، ولا تكشف إلا عن لمحات عابرة، كان يعرف أنه عمل مع وِكد، وكان يعرف أن تيريسا أيضًا عملت معهم، وأنهما ساعدا في إنشاء المتاهة. وهناك لمحات أخرى من ذاكرته.

قال الرجل الجرد:

- لأنه لا توجد قيمة من إبقائك في الظلام يا توماس، ليس بعد الآن.

أحس توماس بإنهاك مفاجئ، كأنما تسربت منه كل قواه، وصار هامدًا، فغاص في الأرضية بتنهيدة ثقيلة، وهز رأسه قائلاً:

- لا أعلم ما يعنيه هذا!

ما المغزى من خوض نقاش عندما تنعدم الثقة في الكلمات؟!

تابع الرجل الجرد حديثه، لكن نبرته تغيرت، وصارت أقل برودة، وأكثر مهنية:

- من الواضح أنك مدرك تمام الإدراك أن ثمة مرضًا مريعًا ينهش عقول البشر في جميع أنحاء العالم، وكل ما فعلناه حتى الآن محسوب في سبيل غاية واحدة لا ثاني لها، وهي أن نحلل أنماط أدمغتك، ونبني منها مخططًا أوليًا، والهدف هو استخدام هذا المخطط الأولي لتطوير علاج للوهج. الحيوانات التي فُقدت، والألم، والمعاناة... كنت تعرف ما يوجد على المحك عندما بدأنا، جميعنا كنا نعرف، ونُفِّذ كل شيء من أجل ضمان نجاة الجنس البشري، وإننا قريبون جدًا.. قريبون جدًا جدًا. عادت الذكريات إلى توماس في عدة مناسبات؛ منها التحول، والأحلام التي ظل يراها منذئذٍ، واللمحات العابرة هنا وهناك كضربات برق خاطفة في عقله. والآن، في أثناء استماعه لحديث ذي البدلة البيضاء، أحس كما لو أنه يقف عند حافة جرف، وكل الإجابات على وشك أن تطفو من أعماقه ليراها بحذافيرها، وكانت رغبته في معرفة هذه الإجابات أقوى من مقدرته على كبحها. غير أنه كان لا يزال متخوفًا، ويعلم أنه قد كان جزءًا من كل شيء؛ ساعد في تصميم المتاهة، وتولى زمام الأمور بعد موت المؤسسين الأصليين، وواصل البرنامج بموظفين جدد. قال معترفًا:

- أتذكر ما يكفي لأشعر بالخزي من نفسي، لكن عَيْش مثل هذا النوع من الانتهاك والإيذاء يختلف كثيرًا عن التخطيط له. ليس من الصواب فحسب!

فَرَكَ الرجل الجرد أنفه، وتململ في كرسيه، لا بد أن شيئًا قاله توماس أثر فيه، وقال:

- سوف نرى ما تعتقده في نهاية المطاف يا توماس.. سوف نرى، لكن اسمح لي بسؤالك؛ هل تقول لي إن حياة القليلين لا تستحق التضحية بها في سبيل إنقاذ حياة آخرين لا تُحصى أعدادهم؟

مجددًا تحدث الرجل بشغف، وهو يميل إلى الأمام:

- إنها مُسَلِّمة قديمة جدًا! لكن أعتقد أن الغاية يمكن أن تبرر الوسيلة، عندما لا يتبقى خيار آخر؟

اكتفى توماس بالتحديق، إذ كان سؤالاً ليس له إجابة شافية. ربما ابتسم الرجل الجرد، لكن ابتسامته بدت ساخرة، وأردف:

- تذكر فحسب أنك ذات يوم كنت تعتقد أن الغاية تبرر الوسيلة يا توماس! وبدأ يجمع أوراقه كأنه يهم بالذهاب، لكنه لم يتحرك:

- إنني هنا لإخبارك بأن كل شيء جاهز، وبياناتنا كادت تكتمل، وأنا على أعتاب شيء عظيم، وحالما نكمل المخطط الأولي، بمقدورك الذهاب لتتحدث مع أصدقائك كما تشاء، بشأن مدى **ظلمنا!**

أراد توماس إسكات الرجل بكلمات قاسية، لكنه أحجم، وقال له:

- كيف يقود تعذيبنا إلى هذا المخطط الأولي الذي نتحدث عنه؟ ما علاقة إرسال مجموعة من المراهقين إلى أماكن فظيعة دون إرادتهم، ومشاهدة بعضهم يموتون؛ ما علاقة هذا بإيجاد علاج لمرض ما؟! قال الرجل الجرد مُطلقاً تنهيدة عميقة:

- علاقة وثيقة تمامًا، ستتذكر كل شيء قريبًا يا فتى، ويراودني شعور بأنك سوف تندم أشد الندامة، وفي الوقت الراهن ثمة شيء عليك معرفته، وربما يعيدك إلى رشدك.

- وما هو؟

لم يكن لدى توماس أدنى فكرة عما سيقوله الرجل. نهض زائرته، وسوّى تجاعيد بنطاله، وعدّل معطفه، ثم شبك يديه خلف ظهره قائلاً:

- يعيش فيروس الوهج في كل جزء من جسدك، ومع هذا، فلا تأثير له فيك، ولن يؤثر فيك أبدًا، فأنت فرد من مجموعة أشخاص نادرين غاية الندرة. لديك **مناعة** ضد الوهج.

ازدرد توماس ريقه، وانعقد لسانه.

وأردف الرجل الجرد:

- بالخارج في الشوارع، يُسمّى الناس أمثالكم بـ «المنيعين»، ويمقتونكم أيما مقت!

الفصل الثالث

انعقد لسان توماس، ورغم جميع الأكاذيب التي قيلت له، كان يعلم أن ما سمعه للتو هو الحقيقة، التي بدت منطقية للغاية عندما وضعها إلى جانب ما مر به مؤخرًا، إذن هو وعلى الأرجح أفراد الجلايد الآخرين، وجميع من في المجموعة (ب) منيعون ضد الوهج، لذا وقع الاختيار عليهم لأداء التجارب، وكان كل ما جرى لهم؛ كل قسوة، وكل خدعة، وكل وحش وُضِع في طريقهم، جزءًا من تجربة مستفيضة، وبطريقة ما تقود هذه التجربة وِكد إلى علاج. بدت جميع الوقائع والحقائق متسقة مع بعضها بعضًا، علاوةً على أن هذا الكشف لامس ذكرياته، وأحس بكل شيء مألوفًا.

كسر الرجل الجرد حاجز الصمت أخيرًا قائلاً:

- أراك تصدقني، فحالما اكتشفنا وجود أناس أمثالك، الفيروس متجددٌ بداخلهم، ورغم هذا لا يُظهرون أي أعراض؛ سعينا لإيجاد الأفضل والألمع من بينكم، وهكذا وُلدت وِكد، وبالطبع بعض أفراد مجموعة تجاربكم ليسوا منيعين، ووقع عليهم الاختيار بوصفهم مجموعة مرجعية، إذ نحتاج إلى مجموعة مرجعية عند إجراء أي تجربة يا توماس، فهي تساعد على فهم جميع البيانات في سياقها الصحيح.

انقبض قلب توماس إثر سماعه الجزء الأخير، فسأل:

- مَنْ الذين ليسوا...؟

لكنه عجز عن إكمال السؤال خشية سماع الإجابة. سأله الرجل الجرد رافعًا حاجبيه:

- مَنْ الذين ليسوا منيعين؟ آه.. أعتقد أنهم ينبغي أن يعرفوا قبلك، أليس كذلك؟ لكن الأهم فالمهم، تنبعت منك رائحة جثة عمرها أسبوع، فلنأخذك إلى الحمامات، ونجد لك بعض الملابس النظيفة!

ثم حمل ملفه، واتجه إلى الباب، وعندما أوشك أن يخطو إلى الخارج، استجمع توماس شتات عقله، وصاح:

- مهلاً!

استدار زائرُه ناظرًا إليه:

- نعم؟

- عندما كنا في الأرض المحترقة، لماذا كذبت بشأن وجود علاج في الملاذ الآمن؟

رفع الرجل الجرد كتفيه:

- لا أعتقد أنها كانت كذبة إطلاقًا، فبإكمال التجارب، وبلوغ الملاذ الآمن، ساعدتمونا على جمع المزيد من البيانات، ونتيجة لهذا سوف يوجد علاج في نهاية المطاف، للجميع.

- ولماذا تخبرني بكل هذا؟! لم الآن؟ لماذا حبستموني هنا أربعة أسابيع؟!

أوماً توماس إلى أنحاء الغرفة؛ السقف المبطن، والمرحاض الزرّي القابع في الركن، ولم تكن ذكرياته الشحيحة متماسكة بما يكفي لاستيعاب الأشياء الغريبة التي فعلوها به:

- ولماذا كذبت على تيريسا قائلاً إنني صرت مجنوناً وعنيفاً، وتركتموني هنا طيلة ذلك الوقت؟ ما المغزى من كل هذا؟!

أجاب الرجل الجرد:

- المتغيرات، كل ما فعلناه بك حسبه أطباؤنا النفسيون وأطباؤنا حساباً دقيقاً، لغرض تحفيز استجابات في المقتل، حيث يوقع الوهج ضرره، من أجل دراسة أنماط مختلف الانفعالات والأفكار وردود الأفعال، لنرى كيفية تفاعلها مع الفيروس الذي بداخلك، وقد ظللنا نحاول فهم سبب عدم وجود تأثير سلبيّ فيك. الأمر برمّته متعلق بأنماط المقتل يا توماس، وتحديد معالم استجاباتك العقلية والفسيوولوجية من أجل وضع مخطط أولي للعلاج المحتمل، كل شيء متعلق بالعلاج.

سأله توماس محاولاً التذكر، لكن بلا جدوى:

- ما هو المقتل؟ أخبرني بهذا فحسب، وسأذهب معك.

أجاب الرجل:

- لماذا يا توماس؟! أنا متفاجئ، لأن لدغة الهامة لم تجعلك تتذكر هذا القدر على الأقل! المقتل هو دماغك، حيث يستقر الفيروس ويستفحل، وكلما ازدادت حدة الإصابة، ازداد سلوك المصاب عنفاً وريبة، تستخدم وكد دماغك وأدمغة بضعة آخرين لمساعدتنا على علاج المشكلة. إذا كنت تتذكر، فإنك تذكر أن منظمنا هدفها في اسمها: منظمة الكوارث العالمية، قسم تجارب المقتل.

بدا الرجل الجرد راضياً عن نفسه، يكاد يكون سعيداً، وأردف:

- هيا الآن، لنعمل على تنظيفك، ولتعلم أننا مراقبون، إذا حاولت الإتيان بأي فعلة، فستترتب عليها عواقب!

قعد توماس محاولاً استيعاب كل ما سمعه للتو، ومجدداً اكتسى كل شيء بمسحة الحقيقة، وبدا منطقياً، متسقاً مع الذكريات التي ما انفكت تعاوده في الأسابيع الأخيرة، ومع هذا ألفت عدم ثقته بالرجل الجرد ووكيد بظلال الشك على كل شيء. ونهض أخيراً، تاركاً عقله يتلمس طريقه عبر المعلومات الجديدة، أملاً أنها سوف تترتب من تلقاء نفسها ليعمل على تحليلها لاحقاً، وسار، دون أن ينبس بكلمة أخرى، وتبع الرجل الجرد عبر الباب، تاركاً الغرفة البيضاء خلفه.

لم يكن ثمة ما يميز المبنى الذي وجد نفسه فيه؛ رواق طويل، وأرضية مبلطة، وجدران كريمية اللون عليها صور مؤطرة لمناظر طبيعية، منها أمواج تتكسر على شاطئ، وطائر طنان يحوم بجانب زهرة حمراء، وغابة مسربلة بالأمطار والضباب، وفوقه تصدر مصابيح الفلورسنت طنيناً. اقتاده الرجل الجرد عبر عدة منعطفات، وتوقف أخيراً عند باب، ثم فتحه وأوماً لتوماس بالدخول، فوجد حماماً شاسعاً، على جانبه خزانات وحمامات صغيرة، وإحدى الخزانات مفتوحة، بها ملابس نظيفة وزوجا حذاء، وحتى ساعة يدوية.

قال الرجل الجرد:

- أمامك نحو ثلاثين دقيقة، وعندما تنتهي اقعده ملتزماً مكانك، سأعود إليك، وعندئذ سيلتئم شملك بأصدقائك.

قفزت صورة تيريسا -لسببٍ ما- إلى عقل توماس إثر سماعه كلمة «أصدقائك»، وحاول مناداتها مجددًا بأفكاره، لكن لم يكُن هناك شيء، ورغم امتعاضه المتزايد دومًا منها، ظل فراغ اختفائها يطفو بدواخلة كفقاعة صلدة، فهي تمثل حلقة وصل مع ماضيه، ويعلم -دون أدنى شك- أنها كانت صديقه الحميمة ذات يوم، وكانت هذه الفكرة أحد الأشياء القليلة التي لا يداخله شكٌ في حقيقتها، وعانى الأمرين ليتخلى عنها تمامًا.

أومأ الرجل الجردن قائلاً:

- أراك خلال نصف ساعة.

ثم جذب الباب، وأغلقه خلفه، تاركًا توماس وحده مرة أخرى. لم تكُن لدى توماس خطة أخرى سوى العثور على أصدقائه، لكنه على الأقل قد اقترب خطوة منهم، ورغم أنه لم تكُن لديه أدنى فكرة عما عليه أن يتوقعه، فعلى الأقل قد خرج من تلك الغرفة أخيرًا، وفي الوقت الراهن أمامه حمام ساخن، وفرصة لفرك جسده وتنظيفه، لم يبدُ شيءٌ بهذه الروعة قط. خلع ملبسه القذرة، تاركًا شواغله تنساب بعيدًا، وشرع في إعادة نفسه كائنًا بشريًا.

الفصل الرابع

تيشيرت وجينز، وحذاء ركض، شبيه تمامًا بالذي كان ينتعله في المتاهة، مع جوارب نظيفة ناعمة. بعدما غسل نفسه من رأسه إلى أخمص قدميه، أحس بأنه وُلِدَ من جديد، ولم يسعه سوى الاعتقاد بأن الأمور سوف تتحسن منذئذٍ فصاعدًا، وأنه سوف يمسك بزمام حياته، وتمنى لو أن المرأة لم تذكّره بوشمه؛ الوشم الذي نُقِشَ عليه قبل الخروج إلى الأرض المحترقة، إذ يمثل تذكيرًا دائمًا لما مر به، وتمنى لو أن بمقدوره دفعه إلى غياهب النسيان.

وقف منتظرًا أمام باب الحمام، متكئًا على الجدار، عاقِدًا ذراعيه، وتساءل عما إذا كان الرجل الجرد سوف يعود، أم تركه ليهيم في أرجاء المكان ليبدأ تجربة أخرى؟! وحالما بدأت هذه الأفكار تتسلسل وتتناسل، سمع وقع أقدام، ثم رأى هيئة الرجل ابن عرس البيضاء تنعطف عند الزاوية.

علّق الرجل الجرد قائلًا، وحافتا شفثيه تنعقفان على خديه بابتسامة متزعزعة:

- طيب، ألا تبدو أنيقًا؟

طفح عقل توماس بمئة رد تهكُّميٍّ، لكنه كان يعلم أن عليه أن يجاري الأمور برصانة، فكل ما يهمه أن يجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات، ثم العثور على أصدقائه. قال:

- في الواقع، أشعر بأنني بخير، لذا... شكرًا.

واصطنع ابتسامة على وجهه، وأردف:

- متى سأرى أصدقائي؟

- حالًا.

صار الرجل الجرد عمليًا، وأما ناحية الاتجاه الذي جاء منه، وأشار لتوماس أن يتبعه:

- جميعكم مررتُم بأنواع مختلفة من الاختبارات في المرحلة الرابعة من التجارب، وكنا نأمل أن يكتمل تحديد معالم أنماط المقتل بنهاية المرحلة الثانية، لكن تعيّن علينا الارتجال لنذهب خطوة أبعد، وكما قلت، إننا قريبون للغاية، وسوف تكونون شركاء كاملين في الدراسة الآن، بإعانتنا على وضع اللمسات الأخيرة، والتعمق في التنقيب من أجل حل هذه الأحجية.

ضيّق توماس عينيه، وخمن أن مرحلته الثالثة كانت الغرفة البيضاء، لكن ماذا عن الآخرين؟ فبقدر ما كره تجربته، كان بوسعه تخيّل إلى أي مدى قد تجعلها وِكد أسوأ، وتمنى ألا يعرف أبدًا ما ابتدعوه لأصدقائه.

وصل الرجل الجرد إلى باب أخيرًا، ففتحه دون تردد، وخطا إلى الداخل. دخلا قاعة اجتماعات صغيرة، فغمر الريحاح توماس، إذ رأى أصدقاءه جالسين دون نظام بين عشرات صفوف المقاعد آمنين، ويبدون بصحة جيدة. أفراد الجلاید، وفتيات المجموعة (ب)، ومينهو، والسيد طاسة، ونيوت، وأريس، وسونيا، وهارييت، الجميع يبدون سعداء؛ يتحدثون ويبتسمون ويضحكون، رغم أن كل شيء قد يكون زائفًا بطريقة ما، كما افترض توماس أنهم أيضًا قليل لهم إن كل شيء كاد ينتهي، لكنه شك في أنهم قد صدقوا ذلك، فهو قطعًا لم يصدق، ليس بعد.

جال بناظريه في أنحاء المكان بحثًا عن خورخي وبرندا، راغبًا بشدة في رؤية برندا، فقد ظل قلقًا عليها منذ اختفائها بعدما أخذتها البيرج، وخشي أن تكون وِكد قد أعادتها مع خورخي إلى الأرض المحترقة كما هددتهما، لكنه لم يجد أثرًا لأيٍّ منهما، وقبل أن يتمكن من سؤال الرجل الجرد عنهما، شق صوت طريقه وسط الجلبة، ولم يستطع توماس أن يكف نفسه عن الابتسام.

هتف مينهو:

- لا بد أنني قضيت نحبي، وأتيت إلى الجنة، إنه توماس!
وأعقب إعلانة صفيّرٌ وصيحات جذلة، فامتزج إحساس الريحاح بالقلق الذي ينهش أحشاء توماس، فتابع بحثه بين الوجوه التي في الغرفة، مبتسمًا طوال الوقت، وقد أعجزه انفعاله عن الكلام، حتى وقعت عيناه على تيريسا. نهضت، واستدارت من كرسيها في نهاية الصف لتواجهه، شعرها أسود نظيف وممشط لامع، ينسدل فوق كتفيها، ويحيط بوجهها الشاحب، انفرجت شفتاها الحمراء عن ابتسامة عريضة، أضاءت قسماتها، وجعلت عينها

الزرقاوين تشعّان، فكاد توماس يذهب إليها، لكنه كبح نفسه، إذ تلبّد عقله بذكريات جليّة عما فعلته به، وعما قالته بشأن سعي وكد للخير، حتى بعد كل ما قد حدث.

قال في عقله: «أيمكنك سماعي؟»، لا لشيء سوى ليرى ما إذا استعادوا قدرتهم، لكنها لم تُجب، وكان لا يزال لا يحس بحضورها بداخله، ظلاً واقفين فحسب، يحدقان إلى بعضهما بعضاً، اشتبكت أعينهما لوقت بدا زهاء دقيقة، لكنه لا يمكن أن يكون أطول من بضع ثوان، ثم وجد مینهو ونيوت إلى جانبه، يرتبان بقوة على ظهره، ويصافحانه، ويجذبانه إلى داخل القاعة.

قال نيوت مضيّقاً عينيه:

- على الأقل، لم تُمّت يا تومي.

وبدت نبرته أشد نزعاً من المعتاد، لا سيما إذا أخذنا في الاعتبار أنهما لم يريا بعضهما بعضاً منذ أسابيع، لكن مما يُمتن له أنه سليم معافى.

رسم مینهو على وجهه ابتسامة ساخرة، لكن وميضاً قاسياً في عينيه أظهر أنه مر بوقت فظيع، وأنه لم يعد إلى طبيعته بعد، لكنه يبذل قصارى جهده ل يبدو كذلك:

- أفراد الجلايد الجبارون التأم شملهم مجدداً، سعيد برؤيتك حياً أيها الأخرق، تخيلت موتك بمئة طريقة مختلفة، وأراهن أنك كنت تبكي كل ليلة شوقاً إليّ.

غمغم توماس:

- أجل.

كان متحمساً لرؤية الجميع، لكنه لا يزال يعاني في سبيل إيجاد الكلمات، فابتعد عن الجمع، وشق طريقه نحو تيريسا، وداهمته رغبة عارمة في مواجهتها، والتوصل إلى صلح، إلى أن يقرر ما سيفعله.

- مرحباً.

أجابت:

- مرحباً، هل أنت بخير؟

أوماً توماس:

- أظنني بخير، كانت بضعة أسابيع عسيرة، أكان...؟

أمسك لسانه، إذ كاد يسألها عما إذا كانت تسمعه، وهو يحاول التواصل معها بعقله، لكنه لم يرغب في منحها الشعور بالرضا بمعرفة أنه حاول.

- حاولتُ يا توم، كل يوم كنت أحاول الحديث معك، قطعوا اتصالنا، لكن أظن أن الأمر كان يستحق المحاولة.

مدت يدها، وأمسكت بيده، الأمر الذي أطلق موجة تعليقات ساخرة من أفراد الجلاید. سحب توماس يده سريعًا من قبضتها، وأحس باحمرار وجهه، ولسبب ما جعلته كلماتها غاضبًا فجأة، لكن الآخرين فهموا حركته على أنها مجرد إحساس بالحرج.

قال مینهو:

- أوه! هذا لطيف بقدر لطف ضربتها على وجهك الأخرق بعقب الريح!
وعلق السيد طاسة:

- حب حقيقي بالفعل! لن أود رؤية ما سيحدث عندما يخوض هذان الاثنان شجارهما الحقيقي الأول! (وأعقب كلامه بضحكته التي تشبه الخوار).

لم يهتم توماس بما يقولونه، لكنه كان عازمًا أشد العزم على أن يبين لتيريسا أنها لن تفلت بكل ما فعلته به، مهما تكن الثقة التي بينهما قبل التجارب، ومهما تكن علاقتهما من قبل، فهي لا تعني شيئًا الآن. ربما يتوصل إلى صلح من نوع ما معها، لكنه عقد عزمه عندئذٍ على ألا يثق سوى بمينهو ونيوت، ولا أحد غيرهما. وكان يهم بالرد عندما سار الرجل الجرد بخطوات واسعة عبر الممر، وهو يصفق قائلًا:

- فليأخذ كل منكم مقعده، سنتحدث عن بضعة أشياء قبل أن نزيل عنكم الشرائح.

قالها بعفوية بالغة لدرجة أن توماس كاد ألا يسمعها، ثم استقرت الكلمات بذهنه: «نزيل عنكم الشرائح»، وتسمّر في مكانه.

خيم السكون على القاعة، وسار الرجل الجرد إلى المنصة التي في صدر القاعة، واقترب من المنبر، ثم أمسك بحوافه راسمًا على وجهه الابتسامة المتكلفة نفسها، وشرع في الحديث:

- سيداتي.. سادتي، هذا صحيح، أنتم على وشك استعادة ذكرياتكم..
ذكرياتكم بكاملها.

الفصل الخامس

صُعبُ توماس، ومادت به الأرض، فذهب ليجلس جوار مينهو. بعدما جاهد طويلًا في سبيل تذكُّر حياته وأسرته وطفولته، حتى ما كان يفعله قبل يوم استيقاظه في المتاهة؛ باتت فكرة استعادة كل شيء عصيَّة على استيعابه، لكن حالما بدأت تستقر في ذهنه، أدرك أن شيئًا قد تغير، لم يعد تذكُّر كل شيء أمرًا جيدًا، وأكد حدسه ما كان يشعر به منذ أن أخبره الرجل الجرد بأن كل شيء قد انتهى، بدا كلامه أسهل من أن يكون واقعيًا.

تنحج الرجل الجرد:

- كما أُخِطِرْتُم في اللقاءات الفردية، انتهت التجارب بشكلها الذي تعرفونه، وحالما تستعيدون ذكرياتكم بكاملها، فستصدقونني، ويمكننا المضي قُدُمًا. غدونا قاب قوسين أو أدنى من إكمال المخطط الأولي للمقتل، والأشياء التي نحتاج إليها من أجل تنقيح ما توصلنا إليه، سوف يكون من المستحسن تلبيتها بتعاونكم التام، وعقولكم لم يطرأ عليها تغيير. إذن.. تهانينا.

قال مينهو:

- يجب أن آتي إليك، وأهشم أنفك اللعين!

تكلم بصوت هادئ على نحو مرعب، بالنظر إلى التهديد الذي تنطوي عليه كلماته، وأردف:

- سئمت من تظاهرك بأن كل شيء على ما يرام، كأن أكثر من نصف أصدقائنا لم يموتوا!

وانفجر نيتو:

- سوف أحب رؤية أنف الجرد هذا مهشَّمًا!

فزع توماس من الغضب الذي في صوت نيوت، وتساءل عن الشيء الفظيع الذي مر به في أثناء المرحلة الثالثة.

قلب الرجل الجرد عينيه ممتعصًا، وتنهد:

- بادئ ذي بدء، جميعكم حُذّرتُم من العواقب في حال حاولتم أن تؤذوني، واطمئنوا، فنحن لا نزال مراقبين. ثانيًا، إنني متأسف على الذين فقدتموهم، لكن في نهاية المطاف، الأمر يستحق، بيد أن ما يشغلني أنه يبدو لي ما من شيء يمكنني قوله قد يجعلكم تفيقون وترتقون إلى مستوى ما نحن بصدده هنا؛ إننا نتحدث عن نجاة الجنس البشري! أخذ مينهو نفسًا عميقًا، كأنه يهَم بإطلاق سيل من الكلمات الغاضبة، لكنه تمالك نفسه، وأمسك لسانه.

عرف توماس أنه مهما بيدُ الرجل الجرد صادقًا، فلا بد أن تكون خدعة، كل شيء كان خدعة، لكنهم لن يجنوا فائدة من الشجار معه في هذه المرحلة، سواء بالكلمات أو باللكمات، وهم في أمس الحاجة إلى الصبر في الوقت الراهن.

قال توماس:

- فلنصمت جميعًا، ولنسمعه حتى النهاية.

وما إن همَّ الرجل الجرد بالمتابعة، تحدث السيد طاسة:

- لم ينبغي أن نثق بكم بشأن ما ستفعلونه ب...؟ ما اسمها؟ الشريحة؟ بعد كل ما فعلتموه بنا.. بأصدقائنا.. تريدون أن تزيلوا الشريحة؟! لا أظن، أفضل أن أظل جاهلًا بماضي، شكرًا جزيلًا لكم.

قالت تيريسا فجأة، كأنها تحدث نفسها:

- وكِد تسعى للخير!

سأل السيد طاسة:

- ماذا؟!!

والتفت الجميع لينظر إليها:

- وكِد تسعى للخير.

أعدت كلامها بصوت أعلى، واعتدلت في مقعدها لتواجه نظرات الجميع:

- من بين جميع الأشياء التي كان يمكن أن أكتبها على ذراعي عندما أفقت من غيبوبتي، اخترت هاتين الكلمتين، ولا أنفك أفكر بهما، ولا بد من سبب لهذا. أقترح أن نلزم الصمت جميعاً، ونفعل ما يقوله الرجل، فلن نفهم هذا الوضع ما لم نستعد ذكرياتنا!

صاح آريس بصوت أعلى مما بدا ضرورياً:

- أتفق!

ظل توماس صامتاً، بينما القاعة تنفجر بالجدالات، التي نشبت معظمها بين أفراد الجلاد الذين انحازوا إلى السيد طاسة، وبين أعضاء المجموعة (ب)، الذين وقفوا إلى جانب تيريسا. وما كان التوقيت ليكون أسوأ لمعركة فرض الإرادة.

- هدوء!

زأر الرجل الجرد، وهو يضرب المنصة بقبضته، ثم انتظر حتى يسود الهدوء قبل أن يتابع:

- اسمعوا، لن يلومكم أحد على عدم ثقتكم، فقد دُفِعتُم إلى أقصى حدود قدراتكم الجسدية، وشاهدتم أناساً يموتون، ومررتُم بأبشع صور الرعب، لكنني أعدكم، عندما يقال كل شيء وينتهي، فلن ينظر أيُّ منكم إلى الماضي و...

صاح السيد طاسة:

- ماذا إن لم نرغب؟ ماذا إن لم نرغب في استعادة ذكرياتنا؟!

التفت توماس لينظر إلى صديقه، شاعراً بالارتياح، فقد قال ما كان يدور بخلده هو نفسه.

تنهد الرجل الجرد قائلاً:

- هل لأنكم لا مصلحة لكم في التذكُّر، أم لأنكم لا تثقون بنا؟!

أجاب السيد طاسة:

- آه، لا أستطيع أن أتخيَّل سبباً يجعلنا لا نثق بكم!

- ألا تدركون بحلول هذا الوقت أننا إذا أردنا أن نفعل بكم ما يؤذيكم،
فستفعله ببساطة؟

خفض الرجل بصره إلى المنصة، ثم رفع رأسه مجددًا، وتابع:

- إذا لم ترغبوا في إزالة الشريحة، فلا تزيلوها، يمكنكم الوقوف جانبًا،
ومشاهدة الآخرين!

أهذا خيار أم خدعة؟ لم يستطع توماس أن يميز هذا من نبرة كلام الرجل،
لكنه رغم ذلك فوجئ بردة فعله.

ران الصمت على القاعة مجددًا، وقبل أن يجد أي أحد فرصة للكلام، ابتعد
الرجل الجرد عن المنصة، واتجه نحو الباب الذي خلف القاعة، وعندما بلغه
استدار ليوواجههم مجددًا قائلاً:

- أحقًا تريدون عيش بقية حيواتكم، وأنتم لا تتذكرون آباءكم، وأسرکم
وأصدقاءكم؟ أحقًا تريدون تضييع فرصة استعادة بعض الذكريات
الجميلة التي تعود إلى ما قبل بداية كل شيء؟ لا مشكلة لدي، لكن ربما
لن تسنح لكم هذه الفرصة مجددًا أبدًا.

راح توماس يفكر بقراره، صحيح أنه يتوق لتذكُر أسرته، وفكر بها مرات
عديدة، لكنه يعرف وكد تمام المعرفة، وما كان يسمح لنفسه بالوقوع في فخ
آخر، وسيقاتل حتى الموت قبل أن يدع هؤلاء الناس يتلاعبون بدماغه مجددًا،
وعلى أي حال، كيف له أن يصدق أي ذكريات سيعيدونها إليه؟ وكان ثمة
شيء آخر يضايقه؛ تلك الومضة التي أحس بها في عقله عندما أعلن الرجل
الجرذ في البداية أن وكد ستزيل الشريحة، وإلى جانب معرفته بأنه لن يتقبل
ببساطة أي شيء تسميه وكد ذكرياته، كان خائفًا. وإذا كان كل ما يصرون
على أنه حقيقي حقيقيًا فعلاً، فلن يرغب في مواجهة ماضيه حتى إذا كان
بمقدوره ذلك، فهو لم يستطع فهم الشخص الذي يقولون إنه كان عليه من
قبل، كما لم يحبه.

شاهد توماس الرجل الجرد يفتح الباب، ويغادر القاعة، وحالما ذهب، مال
إلى الأمام مقتربًا من مينهو ونيوت، كي لا يسمعه سوى صديقيه، وقال:

- يستحيل أن نفعل هذا، محال!

ضغط مينهو على كتف توماس قائلاً:

- أتفق. وحتى إذا وثقت بهؤلاء العراقيين، فلماذا قد أرغب بالتذكر؟! انظر إلى ما فعلته الذكريات بأبني وابن! أوما نيوت:

- علينا أن نتحرك سريعاً، وعندما نتحرك سوف أطيح ببضعة رؤوس لأشفي غليلي.

وافق توماس، لكنه كان يعلم أن عليهم توخي الحذر، فقال:

- لكن ليس الآن، يجب ألا نفسد الأمر، وعلينا أن نبحث عن أفضل فرصة مواتية. وفوجئ عندما أحس -لأول مرة منذ مدة طويلة- بأن القوة بدأت تسري بداخله؛ التأم شمله بأصدقائه، وانتهت التجارب للأبد. وبطريقة أو بأخرى، كانوا قد اكتفوا من فعل ما تريد وكِد منهم فعله. نهضوا، وساروا معاً ناحية الباب، لكن ما إن وضع توماس يده على المقبض وجذبه فاتحاً الباب، توقف، بعدما انقبض قلبه لما سمعه، كانت بقية المجموعة لا تزال تتحدث، ومعظمهم قرروا استعادة ذكرياتهم.

وجدوا الرجل الجرد بانتظارهم خارج القاعة، فاقتادهم عبر عدة منعطفات في الرواق الخالي من النوافذ حتى بلغوا أخيراً باباً فولاذياً ضخماً متيناً، بدا كأنه لا يسمح بدخول الهواء من الخارج، فأدخل مرافقهم الملتحف بالبياض مفتاحاً على شكل بطاقة في فجوة مربعة في الفولاذ، وبعد بضع نقرات، انفتح اللوح الفولاذي منزلقاً بصوت جعجعة ذكّرت توماس بأبواب الجلايد. ثم كان هناك باب آخر، وحالما امتلأت الردهة الصغيرة بالمجموعة، أغلق الرجل الجرد الباب الأول، وبالبطاقة نفسها فتح الثاني، فوجدوا على الجانب الآخر غرفة كبيرة لا يميزها شيء؛ الأرضيات المبلطة، والجدران كريمية اللون، نفسها كما في الرواق، وفيها الكثير من الخزانات والنضد، وبضعة أسِرّة مرصوفة على امتداد الجدار الخلفي، معلّق فوق كل واحد منها جهاز غريب الشكل منذر بالسوء، تتصل به أنابيب بلاستيكية وفولاذية لامعة، ولم يستطع توماس تخيّل السماح لأحدهم بوضع هذا الشيء على وجهه.

وأما الرجل الجرد ناحية الأسرة قائلًا:

- هكذا سوف نزيل الشريحة من أدمغتك، ولا تقلقوا، أعرف أن هذه الأجهزة تبدو مروعة، لكن العملية لن تؤلم بقدر ما قد تعتقدون.

ردد السيد طاسة:

- **بقدر ما قد نعتقد؟ لا يعجبني وقع هذا الكلام، إذن ما تعنيه فعلاً هو أنها تؤلم!**

قال الرجل الجرد، وهو يسير إلى الآلة الضخمة التي تومض بعشرات الأضواء والأزرار والشاشات إلى يسار الأسرة:

- سوف تشعرون بانزعاج طفيف بطبيعة الحال، إنها عملية جراحية. سوف نزيل جهازًا صغيرًا من الجزء المخصص للذاكرة طويلة المدى بأدمغتكم، لكن العملية ليست بالسوء الذي قد تبدو عليه، أعدكم.

ثم بدأ يضغط الأزرار، وامتلأت الغرفة بالطنين والهدير.

قالت تيريسا:

- مهلاً.. لحظة، هل ستمحو هذه العملية كل ما يوجد في أذهاننا، وتمكنكم من السيطرة علينا أيضًا؟

عادت إلى توماس صورة تيريسا في تلك السقيفة في الأرض المحترقة، وصورة أوبي، وهو يذوي على فراشه في بيت المزرعة، وجالي يقتل تشاك، جميعهم كانوا تحت سيطرة وكبد، فشكك توماس لوهلة وجيزة في قراره؛ هل يمكنه حقًا السماح لنفسه بأن يظل تحت رحمتهم؟ أيسمح لهم بإجراء العملية؟ لكن الشكوك تبددت، إذ لم يشعر بأدنى ثقة بهم، ورفض الاستسلام.

تابعت تيريسا:

- وماذا عن...؟

ترددت، ونظرت إلى توماس. كان يعرف أنها تفكر بمقدرتهما على التخاطر، إضافة إلى ما يصحبها من إحساس غريب ببعضهما بعضًا، كأنهما يتشاركان الدماغ نفسه تقريبًا، وأحبَّ توماس فجأة فكرة فقدان هذا الإحساس للأبد، ولربما اختفى أيضًا إحساس الخواء لعدم وجود تيريسا.

تمالكت تيريسا نفسها، وتابعت:

- هل ستُخرجون كل شيء؟ كل شيء؟

أوماً الرجل الجرد:

- كل شيء عدا جهازًا صغيرًا جدًا يتيح لنا تحديد معالم المقتل في أدمغتكم، وليس عليك قول ما يدور بخلدك، لأنني أراه في عينيك. لا، أنتِ وتوماس وأريس لن يعود بمستطاعكم ممارسة خدعتكم الصغيرة، أوقفناها مؤقتًا، لكن الآن ستفقدونها للأبد، بيد أنكم سوف تستعيدون ذاكرتكم طويلة المدى، ولن نعود قادرين على التلاعب بعقولكم، أخشى، إنها صفقة شاملة، اقبلوها أو ارفضوها.

تململ الآخرون في أماكنهم، وتبادلوا الأسئلة همسًا، ولا بد أن ملايين الخواطر كانت تتلاطم في رأس كل واحد منهم، إذ كان هناك الكثير من الأمور التي ينبغي قلبها على جوانبها، والكثير من التعقيدات والتداعيات، والكثير مما يوجب الغضب على وكد، لكن بدا أن لهيب المقاومة قد خمد بدواخلهم، وحلَّ محله توقُّ إلى الانتهاء من كل شيء.

قال السيد طاسة:

- هذه ليست بحاجة إلى تشغيل دماغ. فهتموها؟ تشغيل دماغ؟

ولم يجد استجابة سوى همهمة صادرة عن شخص أو شخصين.

أعلن الرجل الجرد:

- طيب، أعتقد أننا جاهزون تقريبًا، لكن ثمة أمر أخير؛ أمرٌ يتعين عليّ إخباركم به قبل استعادة ذكرياتكم، وسيكون من المستحسن سماعه مني بدلًا من أن... تتذكروا الفحص.

تساءلت هارييت:

- ما الذي تتحدث عنه؟

شابك الرجل الجرد يديه خلف ظهره، وارتسم الغم على ملامحه فجأةً:

- بعضكم منيعون ضد الوهج، لكن... بعضكم ليسوا منيعين. سوف أقرأ عليكم القائمة، وأرجو أن تبدلوا ما بوسعكم في تلقّي الخبر بهدوء.

الفصل السادس

خيّم على الغرفة صمّت لا يחדشه سوى هدير وصفير خافتين صادرين عن الآلات. كان توماس يعرف أن لديه مناعة -أو على الأقل هذا ما قاله له-، لكنه لم يَكُن يعرف حال الآخرين، ونسي الأمر برمّته، وغمره الخوف الخانق الذي أحس به عندما عرف أول مرة.

استرسل الرجل الجرد:

- يحتاج المرء إلى مجموعة مرجعية حتى تخرج أي تجربة بنتائج دقيقة، وبذلنا قصارى جهدنا لوقايتكم من الفيروس، لكنه ينتقل عن طريق الهواء، وشديد العدوى.

توقف، وهو يتملّى في نظرات الجميع.

فقال نيوت:

- فلنتنه من الأمر بحق الجحيم، جميعنا نعرف أننا مصابون بالمرض اللعين على أي حال. لن تنفطر قلوبنا!

وأردفت سونيا:

- أجل، دع عنك الدراما، وأخبرنا!

لاحظ توماس أن تيريسا تتملل جواره، هل قيل لها شيء أيضاً؟ وخمّن أنها منيعة لا بد، وإلا لما اختارتها وكد لتوكل لهما أدوارهما الخاصة.

تنحج الرجل الجرد قائلاً:

- حسناً إذن، معظمكم منيعون، وقد ساعدتمونا على جمع بيانات لا تُقدّر بثمن، واثنان فقط منكم يُعدّان مرشّحين الآن، لكن سوف نخوض في هذه النقطة لاحقاً، فلنطّلع على القائمة الآن. الأشخاص التالية أسماؤهم ليسوا منيعين: نيوت...

ارتجَّ صدر توماس، فأنحنى على نفسه، وهدق إلى الأرضية، ذكر الرجل الجرد بضعة أسماء أخرى، لكن توماس لم يعرف واحدًا منها، وسمعها بالكاد من خلال الطنين المُدوّخ الذي بدا أنه يملأ أذنيه، ويلبد عقله. فوجئ برده فعله، إذ لم يدرك مكانة نيوت عنده حتى سمع الإعلان، ثم خطرت له فكرة؛ قال الرجل الجرد سابقًا: «إن المجموعة المرجعية مثل الصمغ الذي يعمل على تماسك بيانات المشروع، وتجعل كل شيء متسقًا ومتصلًا ببعضه بعضًا». الصمغ هذا هو اللقب الذي أُطلق على نيوت، عبر الوشم الذي لا يزال منقوشًا حتى الآن كندبة سوداء.

- تمالك نفسك يا تومي.

رفع توماس بصره، فرأى نيوت يقف أمامه عاقدًا ذراعيه، ورأسًا على وجهه ابتسامة مصطنعة، واعتدل قائلاً:

- أتمالك نفسي؟ ذلك العرقوب العجوز قال للتو إنك لست منيعًا ضد الوهج، فكيف لك أن...؟

- لست قلقًا بشأن الوهج اللعين يا رجل، لم يخطر لي أنني سأعيش حتى هذه المرحلة قط، وحياتي لم تكن رائعة على أي حال!

لم يدر توماس ما إذا كان صديقه جادًا، أم يحاول أن يبدو قويًا فحسب؟! لكن الابتسامة المريبة لم تبرح وجه نيوت، فاصطنع توماس ابتسامة بدوره.

- إن لم تكن تمنع أن تجن ببطء، ثم ترغب في التهام الأطفال الصغار، فأظننا لن نبكي عليك!

لم يشعر بمدى خواء كلماته هكذا من قبل قط.

أجاب نيوت:

- حلو الكلام.

لكن الابتسامة تلاشت.

حوّل توماس انتباهه أخيرًا إلى بقية الموجودين في الغرفة، ورأسه لا يزال مضطرمًا بالأفكار، فرأى أحد أفراد الجلاید، فتى اسمه جاكسُن، لم تسنح له فرصة التعرف إليه من قبل، رآه يهدق إلى اللاشيء بعينين خاويتين، وآخر يحاول إخفاء دموعه، ورأى إحدى فتيات المجموعة (ب) عيناها محمرّتان منتفختان، وبعض صويحاتها مجتمعات حولها، يحاولن مواساتها.

قال الرجل الجرد:

- أردتُ أن نفرغ من هذا الأمر، حتى أتمكن من إخباركم بنفسِي، وتذكيركم بأن المغزى كله من هذه العملية هو العمل من أجل علاج، ومعظم غير المنيعين منكم في المراحل المبكرة من مرض الوهج، وكلي ثقة بأنكم سوف يعتنى بكم قبل أن يستفحل المرض، لكن التجارب تتطلب مشاركتكم.

سأل مينهو:

- وماذا إذا لم ينجح الأمر؟

تجاهله الرجل الجرد، وسار مقترباً من أقرب سرير، ثم وضع يده على الجهاز المعدنيّ الغريب المعلق من السقف، وقال:

- هذا شيء من دواعي فخرنا هنا، معجزة علمية، وهندسية طبية؛ يسمى بـ «الكماشة»، وسوف يجري هذه العملية، بوضعه على وجوهكم، وأعدكم بأن جمالكم لن يكون قد ناله شيء عندما ينتهي كل شيء. ستنزل أسلاك رفيعة من الجهاز، وتدخل قناتي الأذن، وعبرها سيزيل الجهاز الذي في أدمغتك، سوف يعطيك أطباؤنا وممرضونا مخدراً لتهدئة أعصابكم، وتخفيف الانزعاج.

توقف ليطوف ببصره في أنحاء الغرفة، ثم تابع:

- سوف تدخلون في غشية أشبه بالنعاس، والأعصاب تعالج نفسها، وذكرياتكم تعود إليكم: أي حالة مشابهة لما كنتم تمرّون به في المتاهة في أثناء ما تسمونه بالتحوّل، لكن ليس بذات السوء، أعدكم، فمعظم ذلك كان لغرض تحفيز أنماط الدماغ. لدينا عدة غرف كهذه الغرفة، وفريق كامل من الأطباء بانتظار البدء. والآن، أنا متأكد من أنكم تودون طرح ملايين الأسئلة، لكن ستجدون إجابات معظمها في ذكرياتكم، لذا سوف أنتظر إلى ما بعد العملية لأجيب عن أسئلتكم.

سكت الرجل الجرد، ثم اختتم حديثه:

- أمهلوني بضع لحظات لأتأكد جاهزية الفريق الطبي، ويمكنكم استغلال هذا الوقت لاتخاذ قراراتكم.

عبرَ الغرفة التي لم يبدد صمتها سوى حفيف بنطاله الأبيض، وتوارى خلف الباب الفولاذيّ الأول، وأغلقه خلفه، وعندئذٍ ضجّت الغرفة بأصوات جميع الفتية الذين بدؤوا يتحدثون في وقت واحد.

سارت تيريسا نحو توماس، وكان مينهو في أعقابها، ومال إلى الأمام حتى يُسمع صوته من خلال النقاشات المهتاجة:

- أنتما أيها العرقوبان، تعرفان وتذكران أكثر من أي أحد آخر، ويا تيريسا، إنك لا تروقيني، ولم أخفِ هذا الأمر قط، لكنني أريد سماع رأيك على أي حال!

كان توماس يشعر بالفضول أيضًا لسماع رأي تيريسا، فأوماً لصديقتها السابقة، وانتظرها لتتحدث، وكان جزء صغير منه لا يزال يتوقع منها بسذاجة أن تعارض فعل ما تريده وكد.

قالت تيريسا:

- ينبغي أن نجري العملية، أشعر أن هذا هو الخيار الصحيح، فنحن بحاجة إلى استعادة ذكرياتنا كي نتصرف بذكاء، ونقرر خطوتنا التالية. لم يتفاجأ توماس إطلاقاً، وانطفاً الأمل بداخله للأبد. دار عقل توماس محاولاً استيعاب كل شيء، وقال:

- يا تيريسا، أعرف أنك لست غبية، لكنني أعرف أيضًا أنك واقعة في حب وكد، لست متأكدًا مما تخططين له، لكنني لن أنخدع!
وقال مينهو:

- أنا أيضًا، يمكنهم التلاعب بنا، والعبث بأدمغتنا اللعينة يا صاح! كيف لنا أن نعرف ما إذا سوف يعيدون إلينا ذكرياتنا، أم سيقحمون ذكريات جديدة في أدمغتنا؟!
أطلقت تيريسا تنهيدة:

- إنكم لا تدركون المغزى كله يا رفاق! إن كان بإمكانهم التحكم بنا، وإن كان بإمكانهم أن يفعلوا بنا ما يحلو لهم، ويرغمونا على فعل أي شيء، فإذن لماذا عساهم أن يكلفوا أنفسهم عناء تمثيلية منحنا الخيار؟! إضافةً إلى قوله إنهم سوف يُخرجون الجزء الذي يتيح لهم التحكم بنا، أشعر بأن كل شيء على ما يرام.

قال مينهو، وهو يهز رأسه ببطء:

- حسنًا، لم أثق بك على أي حال قط، وقطعًا لم أثق بهم، أنا مع توماس. وقال نيوت الذي ظل صامتًا مدة طويلة، ولم يلاحظ توماس أنه سار، ووقف خلفه مع السيد طاسة:

- ماذا عن آريس؟ ألم تقولوا إنه كان معكما قبل أن تأتيًا إلى المتاهة؟
ما رأيه؟

جال توماس بعينه في الغرفة حتى وقعتا على آريس، وهو يتحدث إلى بعض صديقاته من المجموعة (ب)، وقد كان يقضي معهن الوقت منذ وصول توماس، الأمر الذي بدا منطقيًا له، إذ مر آريس بتجربة المتاهة مع تلك المجموعة، لكن توماس لم يستطع مسامحة الفتى على دوره في مساعدة تيريسا عندما كانوا في الأرض المحترقة بخداعه، واستدراجه إلى الغرفة التي في الجبال، وإرغامه على دخولها.

قالت تيريسا:

- سأذهب لسؤاله.

شاهدها توماس وأصدقائه، وهي تسير نحو مجموعتها، وينخرطون في همس محتدم مع بعضهم بعضًا.

قال مينهو أخيرًا:

- أمقتُ تلك الفتاة!

رد السيد طاسة:

- بحقك، إنها ليست سيئة جدًا.

قلب مينهو عينيه ممتعضًا:

- إذا أجزرت العملية، فلن أجريها!

اتفق نيوت:

- أنا أيضًا، وأنا الذي يفترض أنه مصاب بالوهج اللعين، فالأمر يهمني أكثر مما يهم أي أحد، لكنني لن أقع ضحية خدعة أخرى!

هذه كانت مسألة محسومة بالنسبة إلى توماس، وقال:

- فلنسمع ما ستقوله، ها هي قادمة.

كان حديثها قصيرًا مع آريس، وقالت لهم:

- بدا متأكدًا أكثر منا، جميعهم موافقون على العملية.

أجاب مينهو:

- طيب، هذا يحسم الأمر بالنسبة إليّ. في حال موافقة آريس وتيريسا على العملية، فأنا ضدها.

مكتبة
t.me/soramnqraa

لم يستطع توماس أن يعبر عن موقفه تعبيرًا أفضل؛ فكل غرائزه أوجت إليه بأن مينهو محق، لكنه لم يجهر برأيه، وراح يتطلع إلى وجه تيريسا، التي التفتت ونظرت إليه، فكانت نظرة يعرفها تمام المعرفة، إذ توقعت منه أن ينحاز إليها، لكن الاختلاف عندئذٍ تمثل في أنه صار متشككًا حيال سبب رغبتها الشديدة. حدق إليها باذلاً ما بوسعه ليبدو وجهه خلواً من التعابير، وارتسمت فجأة على وجهها ملامح خيبة الأمل. هزت رأسها قائلة:

- كما تشاؤون.

ثم استدارت، وسارت مبتعدة. ورغم كل ما قد حدث، انقبض قلب توماس، وهو يشيّعها بعينيه في أثناء ابتعادها. أجفل توماس، واستعاد تركيزه إثر سماع صوت السيد طاسة:

- آه يا صاح، لا يمكن أن نسمح لهم بوضع تلك الأشياء على وجوهنا، أليس كذلك؟ سأكون سعيدًا بالعودة إلى مطبخي في بيت المزرعة، أقسم إنني سأكون سعيدًا.

سأله نيوت:

- هل نسيت أمر الهوام؟

أطرق السيد طاسة لوهلة، ثم قال:

- لم تعبت الهوام معي في المطبخ قط، أليس كذلك؟

أجابه نيوت:

- أجل، طيب، إذن علينا أن نجد لك مكانًا لتطبخ فيه.

ثم أخذ بذراعي توماس ومينهو، واقتادهما بعيدًا عن المجموعة، وأردف:

- لقد سمعت ما يكفي من الجدالات، لن أستلقي على أحد تلك الأسرّة.

مد مينهو يده، وضغط على كتف نيوت قائلاً:

- أنا أيضًا.

وقال توماس:

- أنا أيضًا.

ثم عبّر أخيرًا عما يدور في رأسه منذ أسابيع هامسًا:

- فلنبقَ بالجوار، ونجاري الأمور، ونتصرف بلطف وروية، لكن حالما

تسنح لنا فرصة، سنقاتل ونشق طريقنا إلى خارج هذا المكان.

الفصل السابع

عاد الرجل الجرد قبل أن يجيب نيوت أو مينهو، لكن بالنظر إلى تعابير وجهيهما، تأكد توماس أنهما إلى جانبه، دون أدنى شك. كان المزيد من الناس يتزاحمون في الغرفة، وحول توماس انتباهه إلى ما يجري، فرأى أن كل من انضم إليهم يرتدي بدلة فضفاضة قليلاً من قطعة واحدة، مكتوباً على صدرها «وكِد». وخطر لتوماس فجأةً مدى دقة العناية بجميع تفاصيل هذه اللعبة.. هذه التجربة. هل من الممكن أن يكون الاسم الذي يستعملونه للإشارة إلى منظمتهم أحد المتغيرات منذ البداية؟ كلمة ذات دلالة ظاهرة على الوعيد، ورغم هذا يقال لهم إن جوهرها خيرٌ! على الأرجح أنها لكزة أخرى ليروا ردة فعل أدمغتهم، وما سيشعرون به. الأمر برمته لعبة تخمين، منذ البداية!

اتخذ كل طبيب مكاناً جوار أحد الأسرّة، بحسب افتراض توماس أنهم أطباء كما قال الرجل الجرد، وراحوا يعثون بالأقنعة المعلقة من السقف، ويضبطون الأنابيب، ويعدّلون مقابض ومفاتيح لا يراها توماس.

قال الرجل الجرد، وهو ينظر إلى أوراق مثبتة بلوح مزوّد بمشبك أحضره معه:

- خصصنا سريزاً لكل واحد منكم، والذين سيقون منكم في هذه الغرفة هم...

تلا سريعاً بضعة أسماء، منها سونيا وأريس، لكن لم يذكر توماس، أو أي واحد من أفراد الجلايد.

- أرجو أن يتبعني من لم يسمع اسمه.

الوضع برمته شابهته مسحة شاذة غريبة، فهو أكثر عفوية واعتيادية بالنظر إلى خطورة ما يجري، مثل أفراد عصابات يزعقون بقائمة أسماء مجموعة من الخونة الذين ينتحبون قبل أن يعدموهم. ولم يدّر توماس ما عليه

فعله سوى مجازاة الوضع حتى تحين اللحظة المناسبة. سار مع الآخرين في أعقاب الرجل الجرد إلى خارج الغرفة، ومروا عبر رواق آخر طويل بلا نوافذ قبل أن يتوقفوا أمام باب آخر، ثم قرأ مرشدهم من قائمته مجدداً، وذُكر السيد طاسة ونيوت هذه المرة.

أعلن نيوت:

- لن أجري العملية، قلت إن بإمكاننا الاختيار، وهذا هو قراري اللعين!
وتبادل نظرة حانقة مع توماس، بدا أن مفادها استعجال فعل شيء، وإلا سيفقد صوابه.

أجاب الرجل الجرد:

- لا بأس، ستغير رأيك عما قريب، ابقَ معي حتى ننتهي من توزيع الآخرين.

سأل توماس محاولاً إخفاء دهشته من مدى تساهل الرجل الجرد مع نيوت:

- وماذا عنك يا سيد طاسة؟!

بدا الطباخ خجولاً فجأةً، وتلعثم قائلاً:

- أنا... أعتقد أنني سأسمح لهم بإجراء العملية.

صُدم توماس.

وقال نيوت:

- هل جننت؟!

هز السيد طاسة رأسه، وقال محاولاً اتخاذ موقف دفاعي:

- أريد أن أتذكر، قررنا ما شئتم، ودعوني أتخذ قراري.

قال الرجل الجرد:

- فلنواصل.

اختفى السيد طاسة في الغرفة، متعجلاً، على الأرجح ليتجنب أي جدالات أخرى، وعرف توماس أنه عليه أن يتركه وشأنه في الوقت الراهن، لم يكن بوسعه القلق سوى على نفسه، والعتور على مخرج، أملاً أن يتمكن من إنقاذ الآخرين جميعهم حالما يخرج.

لم ينادِ الرجل الجرد مينهو وتيريسا وتوماس حتى وقفوا أمام الباب الأخير، ومعهم هاربيت وفتاتان أخريان من المجموعة (ب)، وحتى الآن كان نيوت هو الوحيد الذي رفض العملية. أشار الرجل الجرد للجميع بأن يدخلوا الغرفة، فقال مينهو:

- لا، شكرًا، لكنني ممتن لدعوتك، استمتعوا بوقتكم بالداخل يا رفاق.
ولوَّح بيده بحركة هازئة.

أعلن توماس:

- لن أجري العملية.

وكان قد بدأ يشعر بفؤرة الترقب، إذ كان عليهم أن يخاطروا سريعًا، ويحاولوا فعل شيء.

حدق الرجل الجرد بوجه مستغلق إلى توماس مدة طويلة. سأله مينهو:

- أأنت بخير يا سيد جرد؟!

قال بصوت منخفض متوتر، كما لو أنه يسعى جاهدًا ليظل هادئًا، وعيناه لم تفارقا توماس قط:

- اسمي المدير المساعد جانسن. تعلَّم إظهار الاحترام لمن هم أكبر منك! أجابه مينهو:

- كفوًا عن معاملة الناس كأنهم حيوانات، وربما سأفكر بذلك، ولماذا تحدق إلى توماس؟!

حوَّل الرجل الجرد (جانسن) نظراته أخيرًا إلى مينهو، وقال:

- لأن هناك الكثير من الأشياء التي ينبغي التفكير بها!

صمت، وشد قامته، ثم تابع:

- لكن لا بأس، قلنا إن بإمكانكم الاختيار بأنفسكم، وسوف نلتزم بكلمتنا، ادخلوا جميعًا، وسنبدأ عمليات الراغبين في المشاركة.

أحس توماس مجددًا برعشة تسري في بدنه، كان يعرف يقينًا أن لحظتهم تقترب، وبالنظر إلى تعابير وجه مينهو، فقد كان يعرف أيضًا، وأمام كلُّ منهما للآخر إيماءة خفيفة، وتبعًا الرجل الجرد إلى الغرفة. بدت نسخة مطابقة

للغرفة الأولى؛ بالأسرّة الستة، والأقنعة المتدلّية، وجميع الأشياء، والآلة التي تدير كل شيء قد بدأت إصدار هديرها وصفيرها الخافتين، وثمة شخص يقف جوار كل سرير مرتدياً ملابس الأطباء الخضراء كما في الغرفة الأولى.

نظر توماس فيما حوله، وأخذ نفساً عميقاً، وإلى جوار فراش عند نهاية الصف، رأى برندا ترتدي الأخضر، وتبدو أصغر بكثير من الجميع، وشعرها البنيّ ووجهها أنظف مما رأهما في الأرض المحترقة. هزت له رأسها هزة سريعة، وحوّلت ناظريها إلى الرجل الجرد، ومن ثم، قبل أن يدرك توماس ما يجري، ركضت عبر الغرفة، وتشبّثت به وعانقته، فعانقها بدوره، مصدوماً غاية الصدمة، لكنه لم يرغب في إفلاتها.

زَعَقَ جانسنُ بها:

- برندا! ما الذي تفعلينه؟! عودي إلى موقعك!

قرّبت شفّتيها من أذن توماس، ثم همست له بصوت خافت جداً كاد لا يسمعه:

- لا تثق بهم.. لا تثق بهم. لا تثق إلا بي، وبالمستشارة بايج يا توماس، ولا أحد آخر مطلقاً.

كان الرجل الجرد يصرخ:

- برندا!

وعندئذٍ أفلنته، وخطت مبتعدة، وهي تتمتم:

- آسفة، كل ما في الأمر هو أنني سعيدة باجتيازه المرحلة الثالثة، لم أتمالك نفسي.

وعادت إلى موقعها، والتفتت لتواجههم مجدداً، وقد صار وجهها خلواً من التعابير.

وبّخها جانسن:

- ليس لدينا وقت لمثل هذه الأشياء!

لم يستطع توماس أن يشيح ببصره عنها، واحتار فيما ينبغي أن يفكر، أو يشعر به، لم يكن يثق بـوكِد أصلاً، لذا فإن كلماتها تضعهم في الخندق نفسه،

لكن لماذا تعمل معهم إذن؟! ألم تكن مريضة؟ ومن هي المستشارة بايج هذه؟ هل هذا مجرد اختبار آخر؟ متغيّر آخر؟

اجتاح جسده شيءٌ عارمٌ عندما تعانقا، وتذكر أن برندا تخاطرت معه بعدما وُضع في الغرفة البيضاء، حذرتَه من أن الأمور سوف تأخذ منحى سيئاً، وكان لا يزال عاجزاً عن فهم كيفية تمكُّنها من التخاطر معه؛ أهي في صفة حقاً؟

اقتربت تيريسا منه، فقطعت حبل أفكاره بعدما ظلت صامتة منذ أن غادروا الغرفة الأولى، وهمست:

- ما الذي تفعله هنا؟ ظننت أنها نزقة!

وكانت الضغينة بيّنة في صوتها، وكل ما تفعله أو تقوله يضايق توماس. تتمم توماس:

- لا أدري. ربما... تلقي إليّ بمتغيّرٍ آخر!

وامتلاً رأسه بلمحات خاطفة من ذكرياته مع برندا في المدينة المدمرة، وعلى نحو غريب اشتاق إلى ذلك المكان؛ اشتاق إلى وجوده وحده معها.

- أعتقد أنها كانت جزءاً من اللعبة، وأُرسلت إلى الأرض المحترقة لتساعد على التحكم في الأحداث؟

- على الأرجح.

أحس توماس بوخزة ألم بداخله، وبدا من المنطقي أن تكون برندا جزءاً من وِكد منذ البداية، لكن هذا يعني أنها كذبت عليه مراراً وتكراراً، ورغب بشدة في أن يكون شيئاً مختلفاً بشأنها.

قالت تيريسا:

- إنها لا تروقني، تبدو... مأكرة!

جاهد توماس كي لا يصرخ بتيريسا، أو يضحك عليها، وبدلاً من ذلك تحدث إليها بنبرة هادئة:

- اذهبي ودعيهم يعبثوا بدماغك!

ربما كانت عدم ثققتها ببرندا أفضل إشارة إلى أنه ينبغي أن يثق ببرندا.

حدجته تيريسا بنظرة حادة، وقالت:

- احكم عليّ كما تشاء، إنني أفعل ما أراه صحيحًا فحسب.

ثم سارت مبتعدة، وانتظرت توجيهات الرجل الجرد.

وزَّع جانسنُ المرضى الراغبين على الأيسرَّة، بينما تخلَّف توماس ونيوت ومينهو في الخلف، وراحوا يراقبون الموقف، ألقى توماس نظرة خاطفة على الباب، متسائلًا عما إذا كان ينبغي أن يركضوا تجاهه، وكان يهم بنكز مينهو عندما وجَّه الرجل الجرد حديثه إليهم، كأنه قرأ أفكار توماس.

- إنكم مراقبون أيها الثلاثة المتمردون، لا تفكروا مجرد تفكير بشأن

محاولة فعل أي شيء، ثمة حراس مسلحون في طريقهم إلينا الآن!

خطرت لتوماس فكرة مقلقة بأن أحدهم ربما يكون قد قرأ أفكاره بالفعل، هل يمكنهم رصد أفكاره من أنماط أنشطة الدماغ التي ظلوا يدرسونها بدقة متناهية؟

أعاد جانسنُ انتباهه إلى استقرار الناس في أسرتهم، فهمس مينهو:

- هذا هراء، علينا أن نجرب حظنا، ولنرى ما سيحدث.

لم يجبه توماس، ونظر إلى برندا، فرأها تحديق إلى الأرض، وتبدو غارقة في التفكير، وأحس بنفسه يشفق إليها شوقًا جارفًا، وأحس برابط بينه وبينها لم يستطع سبر غوره، ولم يرغب سوى في أن يتحدث معها وحده، وليس بسبب ما قالته له فحسب.

جاء من الرواق صوت وقع أقدام مسرعة، هرع ثلاثة رجال وامرأتان إلى الغرفة، جميعهم يرتدون الأسود، ومثبته على ظهورهم مُعدّات؛ من حبال وأدوات وذخيرة، وجميعهم يحملون سلاحًا ضخماً من نوع ما، فلم يستطع توماس أن يكف عن التحديق إلى الأسلحة، إذ استتارت لديه ذكرى غابرة عجز عن استجلاء معالمها، وفي الوقت نفسه أحس كأنه يراها أول مرة. تومض الأسلحة بضوء أزرق، وفي المنتصف أنبوب شفاف مملوء بقنابل يدوية معدنية لامعة، تصدر قرقرةً وهسيساً كهربائياً، وكان الحراس يوجهونها إلى توماس وأصدقائه.

زمر نيوت بهمسة منخفضة قاسية:

- لقد انتظرنا مدة أطول مما ينبغي!

كان توماس يعرف أن الفرصة ستحين قريباً، وأجابه بهدوء، وهو يحرك شفتيه بالكاد:

- لأمسكوا بنا بالخارج على أي حال، كن صبوراً.

سار جانسن ليقف بجانب الحراس، وأشار إلى أحد الأسلحة قائلاً:

- تُسمّى بالقاذفات، وهؤلاء الحراس لن يترددوا في إطلاقها إذا تسبب أي واحد منكم في أي متاعب! والأسلحة لن تقتلكم، لكن ثقوا بي عندما أقول إنها ستجعلكم تعيشون أسوأ خمس دقائق في حياتكم.

سأله توماس، مدهوشاً من قلة اكترائه وخوفه:

- ماذا يجري؟ للتو قلت لنا إن بإمكاننا أن نقرر بأنفسنا، فلماذا جلبتم الجيش فجأة؟!

- لأنني لا أثق بكم!

ثم أطرق جانسن، كأنه يختار كلماته بعناية:

- كنا نأمل أن تفعلوا كل شيء طوعاً حالماً تستعيدون ذكرياتكم، لسارت الأمور على نحو أسهل، لكنني لم أقل إننا لم نعد بحاجة إليكم قط! قال مينهو:

- يا لها من مفاجأة! لقد كذبت مجدداً!

أجاب جانسن:

- لم أكذب بشأن أي شيء، اتخذتم قراركم، والآن تحملوا العواقب!

ثم أشار إلى الباب قائلاً:

- أيها الحراس، اصطحبوا توماس والآخرين إلى غرفهم، حيث يمكنهم التفكير ملياً في أخطائهم حتى اختبارات صباح الغد، واستخدموا أي قوة ترونها ضرورية.

الفصل الثامن

رفعت الحارستان سلاحيهما أعلى من ذي قبل، وصوبتا الفوهتين المستديرتين نحو الفتية الثلاثة.

قالت إحداهما:

- لا تُرغمونا على استخدام هذه، توخوا حذرکم إلى أقصى درجة، سنضغط الزناد إثر أي حركة خاطئة.

وضع الرجال الثلاث أربطة قاذفاتهم على أكتافهم، ثم تحركوا نحو أفراد الجلاید المُتَحَدِّين، واحد لكل فتى، وكان توماس لا يزال يشعر بهدوء غريب - منبعه جزئيًا إصراره العميق على المقاومة حتى يعجز عن القتال - وبالرضا، لأن وكد استعانت بخمسة حراس مسلحين لمراقبة ثلاثة مراهقين. كان حجم الرجل الذي أمسك بذراع توماس يبلغ ضعف حجمه، قوي البنية، سار رشيقيًا عبر الباب إلى الرواق، جاذبًا توماس خلفه، نظر توماس وراءه، فرأى حارسًا آخر يكاد يجزُّ مینهو على الأرضية ليرغمه على اتباعه، ونيوت خلفهم، يكافح بلا طائل.

سُجِب الفتية عبر دهليز تلو آخر، دون أن يُصدَّر صوت سوى عن مینهو؛ لهاث وصيحات وسباب، حاول توماس أن يطلب منه التوقف، قائلاً له إنه لا يزيد الأمر إلا سوءًا، وإنهم على الأرجح سيطلقون النار عليه، لكن مینهو تجاهله، وقاتل بكل ما يملك، حتى توقفت المجموعة أخيرًا أمام باب. استخدمت حارسة بطاقة لفتح الباب، ودفعته لتكشف عن غرفة نوم صغيرة بها سريران من طابقين، وفي ركنها الأقصى مطبخ مصغر بطاولة وكراسي، وقطعًا لم تُكُن ما توقعه توماس، إذ كان قد تخيل زنزانة الجلاید، بأرضيتها الترابية، وكرسيها نصف المكسور. قالت:

- ادخلوا، سنجلب لكم بعض الطعام، كونوا ممتنين، لأننا لن نجعلكم تتضورون جوعًا بضعة أيام نظرًا إلى تصرفاتكم، الاختبارات غدًا، فمن الأفضل أن تأخذوا قسطًا من النوم الليلة.

دفع الرجال الثلاث أفراد الجلاید إلى الغرفة، وأغلقوا الباب، فتردد صدى صوت القفل في الغرفة. وعلى الفور غمّر توماس بإحساس الأُسْر الذي تجرعه في السجن ذي الجدران البيضاء، وسار إلى الباب، وأدار المقبض، جذبته ودفعه بكل وزنه، وطرقه بقبضتيه، وهو يصيح بأعلى صوته طالباً إخراجهم. قال نيوت من خلفه:

- تمالك نفسك، لن يأتي أحد ليدسّك بحنو في فراشك!
فاستدار توماس بحدة، لكنه عندما رأى صديقه واقفاً أمامه، توقف، وتحدث مينهو قبل أن يتمكن من صياغة كلماته:
- أظننا فوّتنا فرصتنا.

تهالك على أحد الأسرّة، وأردف:
- سنكون قد هرمننا يا توماس، أو لقينا حتفنا قبل أن تأتي لحظتك السحرية قائلّة: «هَيْتَ لك!»، ليس وكأنهم سيعلنون لنا: «حان الوقت المثالي للهروب، لأننا سنكون مشغولين خلال العشر دقائق القادمة!». كان علينا أن نخاطر.

كره توماس أن يقر بأن صديقيه على حق، لكنهما كانا على حق، كان ينبغي أن يحاولوا الفرار قبل مجيء أولئك الحراس، وقال:
- آسف، لم تحن اللحظة المناسبة بعد، وحينما صوبوا كل تلك الأسلحة إلى وجوهنا، بدا أن لا جدوى من إهدار مجهودنا في محاولة فعل أي شيء. قال مينهو:

- آه، طيب.
وصمت، ثم أردف:
- أنت وبرندا حظيتما بلم شمل لطيف.
أخذ توماس نفساً عميقاً:
- لقد قالت شيئاً.

جلس مينهو منتصباً على سريره:
- ما الذي تعنيه بأنها قالت شيئاً؟
- أخبرتني بالأثق بهم، وألا أثق سوى بها، وواحدة اسمها المستشارة بايج.

سأل نيوت:

- طيب، ما حكايتها على أي حال؟ هل تعمل لصالح وِكد؟ ماذا؟! أكانت مجرد ممثلة لعينة في الأرض المحترقة؟

وأردف مينهو:

- أجل، يبدو أنها ليست بأفضل من بقيتهم.

لم يتفق توماس معه، كان عاجزًا عن تفسير الأمر لنفسه، وأعجز عن تفسيره لأصدقائه:

- انظروا، كنتُ أعمل لصالحهم أيضًا، لكنكم تثقون بي، صحيح؟ هذا لا يعني شيئًا، ربما لم يكن أمامها خيار، وربما تغيرت، لا أدري!

ضيق مينهو عينيه كما لو أنه يفكر، لكنه لم يجب، وظل نيوت مقتعدًا الأرضية، وعاقداً ذراعيه، زامًا شفثيه كطفل صغير.

هز توماس رأسه، وقد سئم من محاولة حل كل الألغاز، وسار إلى الثلجة وفتحها، شاعرًا بقرقرة بطنه من الجوع، فوجد بعض أصابع الجبن والعب، وقسمها بينهم، ثم أقحم حصته في حلقة قبل أن يتجرع قنينة عصير كاملة، والتهم الاثنان الآخران طعامهما أيضًا، دون أن يتفوه أحد بكلمة. ظهرت امرأة بعدها بوقت قصير، وهي تحمل شرائح لحم وبطاطس، فالتهموها أيضًا. كانوا في بداية المساء، بحسب ساعة توماس، لكنه لم يتخيل أنه سيكون بمقدوره النوم، اقتعد كرسياً قبالة صديقيه، متسائلًا عما ينبغي لهم فعله، وكان لا يزال مغتمًا قليلًا، كأنه كان خطؤه أنهم سيتعيّن عليهم محاولة فعل شيء، لكنه لم يقترح أي أفكار.

كان مينهو أول المتحدثين منذ مجيء الطعام:

- ربما ينبغي أن نرضخ لأصحاب الوجوه الخرقاء هؤلاء، ننصاع لما يريدونه، وذات يوم ربما نتمكن من الجلوس معًا، بُدناء وسعداء.

عرف توماس أنه لم يعنِ أي كلمة مما قاله:

- أجل، ربما تجد فتاة جميلة لطيفة تعمل هنا، وتستقر، وتتزوج وتنجب أطفالًا، بالتزامن مع نهاية العالم بطوفان المعتوهين!

تابع مينهو التهكم:

- وسوف تحل وِكد مسألة المخطط الأولي هذه، ونعيش في سعادة أبدية.

قال نيوت نكدًا:

- هذا ليس طريقًا، حتى إذا وجدوا علاجًا، فقد رأيتم الأرض المحترقة، وسوف ينقضي وقت طويل قبل أن يعود العالم إلى طبيعته، وحتى إذا عاد إلى طبيعته، فلن نراه أبدًا.

أدرك توماس أنه جالس في مكانه فحسب، يحدق إلى نقطة في الأرضية، فقال:
- لن أصدق أي شيء بعد كل ما فعلوه بنا.

لم يستطع تجاوز خبر نيوت، صديقه، الذي قد يفعل أي شيء من أجل شخص آخر، حكموا عليه بالإعدام بمرض لا يُرجى شفاؤه، لا لشيء سوى مشاهدة ما سيحدث.

تابع توماس:

- ذلك الرجل جانسن يعتقد أنه يعرف كل شيء، ويعتقد أن الهدف من كل شيء هو مصلحةٌ عليا من نوع ما، إما أن نترك الجنس البشري ينقرض، أو نقترف أفعالاً فظيعةً من أجل إنقاذه، وحتى القلة التي لديها مناعة لن تصمد طويلًا على الأرجح في عالم تتحول فيه نسبة 99.99 في المئة من الناس إلى وحوش معتوهة.

تمتم مينهو:

- ما مقصدك؟

- مقصدي هو أنني كنت أصدق كل هذه الترهات قبل أن يمسحوا ذاكرتي، لكنني لم أعد أصدقها.

كان أكثر ما يربعه عندئذٍ هو أن أي ذكريات يستعيدها ربما تجعله يغير رأيه بهذا الشأن.

قال نيوت:

- إذن، دعنا لا نهدر الفرصة التالية يا تومي.

وأضاف مينهو:

- غداً، بطريقة أو بأخرى.

نظر توماس إلى كلٍّ منهما نظرة طويلة:

- حسنًا، بطريقة أو بأخرى.

تثاءب نيوت، مما جعل رفيقيه يتثاءبان:

- إذن، من الأفضل أن نكف عن الثرثرة، وننال قسطًا من النوم.

الفصل التاسع

استغرق توماس أكثر من ساعة من التحديق إلى الظلام، لكنه نام أخيرًا، وحالما غط في النوم، داهمه طوفان أحلامٍ من الصور والذكريات المتناثرة. امرأة تقعد إلى طاولة، تبتسم، وهي ترسل نظراتها عبر السطح الخشبيّ مباشرة إلى عينيّ توماس، وفي أثناء مشاهدته لها، تحمل كوبًا فيه سائل يتصاعد منه البخار، وترشف منه رشفة أولى.. ابتسامة أخرى.. ثم تقول:

- كُلْ حبوب إفطارك الآن، يا لك من ولد مطيع!

إنها أمه، بوجهها العطوف، وحبها له الذي يتجلى في جميع تجاعيدها، وهي تبتسم. لا تكف عن مراقبته حتى يأتي على آخر طعامه، ثم تأخذ وعاءه إلى حوض الغسيل بعدما تعبت بشعره. ثم يرى نفسه على أرضية غرفة صغيرة مفروشة بالسجاد، يلعب بمكعبات فضية تبدو أنها تندمج معًا، وهو يبني قلعة ضخمة، وأمّه تقتعد كرسيًا عند الزاوية.. تبكي، ويعرف توماس السبب على الفور؛ سُخِّصَ أبوه بإصابته بالوهج، وبدأت بالفعل تظهر بعض علاماته، وهذا لا يدع مجالًا للشك في أن أمه أيضًا مصابة بالمرض، أو ستصاب به عما قريب، ويعرف توماس الحالم أنه لن ينقضي وقت طويل قبل أن يدرك الأطباء أنه في سنه الصغيرة تلك مصاب بالفيروس، لكن لديه مناعة ضد تأثيراته، وبحلول ذلك الوقت سيكونون قد طوروا الاختبار الذي يتيح لهم معرفة ذلك.

بعدها يرى نفسه راكبًا دراجته في يومٍ قائظ، والصحف يتصاعد من الرصيف، وعلى جانبي الشارع لا شيء ينمو سوى الحشائش الضارة، حيث كان هناك عشبٌ نضير. ثمة ابتسامة على وجهه الذي ينضح بالعرق، وأمّه تشاهده، وهي على مقربة، ويرى أنها تستمتع بكل لحظة. يتجهان نحو بركة مجاورة، ماؤها راكد وآسن، تجمع أمه له الحجارة ليلقيها في الأعماق

المعتكرة، في البداية يلقيها إلى أبعد مكان ممكن، ثم يحاول أن يجعلها ترتد عن سطح الماء، كما علّمه والده في الصيف الماضي، ما زال غير قادر على فعلها. يتجه مع أمه أخيرًا إلى المنزل، وقد نال منهما الإرهاق بعدما امتص الطقس الخانق طاقتهما.

ثم تتخذ الأشياء في الحلم (الذكريات) منحىً قاتمًا. يعود إلى الداخل، فيجد رجلًا يرتدي بدلة داكنة قاعدًا على أريكة، أوراق في يده، ونظرة متجهمة على وجهه، توماس يقف جوار أمه، ممسكًا بيدها. أُسّست وِكد، وهي مشروع مشترك بين حكومات العالم، التي نجت من الوهج الشمسيّ، الحدث الذي وقع قبل ميلاد توماس بوقت ليس بالقصير، والغرض من وِكد هو دراسة ما يُعرف الآن بـ «المقتل»، موضع ضرر الفيروس: الدماغ.

يقول الرجل: «إن توماس ذو مناعة، وهناك آخرون ذوو مناعة، وهم أقل من واحد في المئة من عدد السكان، غالبيتهم دون سن العشرين، يمثل العالم مكانًا خطيرًا بالنسبة إليهم، ممقوتون لمناعتهم ضد الفيروس الفضلي، ويلقّبون بالمنيعين بسخرية؛ يفعل الناس بهم أشياء فظيعة!». وتقول وِكد إن بإمكانها حماية توماس، وإن توماس بمستطاعه مساعدتهم على إيجاد علاج، ويقولون إنه ذكي، أحد أذكى الذين أُخضعوا للاختبار. لا تجد أمه بُدًا من زهابه، فهي قطعًا لا تريد لابنها أن يراها تجن ببطء. ولاحقًا تقول لتوماس إنها تحبه، وإنها سعيدة، لأنه لن يراها أبدًا تمر بما شهدها يحدث لأبيه، الذي سلبه الجنون كل ما كان يجعله ما هو عليه، وما كان يجعله إنسانًا.

تلاشى الحلم عندئذٍ، وغاص توماس في نومٍ خاوٍ عميق.

استيقظ في الصباح التالي إثر طرقي عالٍ على الباب، وكان قد اتكأ على مرفقيه بالكاد عندما فُتح الباب، ودخل الحراس الخمس من اليوم السابق أنفسهم، شاهرين قاذفاتهم، ودلف جانسن إلى الغرفة وراءهم مباشرة.

قال الرجل الجرد:

- استيقظوا يا فتية، قررنا في نهاية المطاف أن نعيد إليكم ذكرياتكم، سواء أعجبكم الأمر، أم لم يعجبكم!

الفصل العاشر

لم يستيقَ توماس تمامًا من النوم، فأحلامه التي رآها (ذكريات طفولته) ما زالت تلبّد عقله، ولم يدرك ما قاله الرجل تمام الإدراك.

أجاب نيوت:

- لا، بحق الجحيم!

كان يقف جوار فراشه، ويضم قبضتيه إلى جانبيه، رامقًا جانسن بنظرات نارية. لم يتذكر توماس أنه قد رأى عيني صديقه تقدحان شررًا هكذا، ثم استوعب أخيرًا كلمات الرجل الجرد بما تنطوي عليه من خطورة، فبددت الضباب الذي يكتنف عقله، فطوّح بساقيه إلى الأرض قائلاً:

- قلتَ لنا إننا لسنا مجبرين!

أجاب جانسن:

- أخشى أننا ليس لدينا خيار، ولّى عهد الأكاذيب، لن ينجح شيء، وثلاثتكم لا تزالون في الظلام! آسف، إننا مضطرون إلى فعل هذا. ويا نيوت، أنت أكبر المستفيدين من العلاج على أي حال.

أجاب نيوت بزمجرة خافتة:

- لم أعد أكثرث بنفسي!

استولت غرائز توماس عليه، وعرف أن هذه هي اللحظة التي ظلوا ينتظرونها، القشة التي يتعلق بها الغريق. شاهد توماس جانسن بتأن؛ لأن وجه الرجل، وأخذ نفسًا عميقًا، كما لو أنه أحس بالخطر المحدق في الغرفة، وأراد تحييده، فقال:

- نيوت، مينهو، توماس، اسمعوا، أنفهم شعوركم، فقد شهدتم بعض الأشياء الفظيعة، لكن الجزء الأسوأ انتهى، لا يمكننا تغيير الماضي،

ولا يمكننا محو ما حدث لكم ولأصدقائكم، لكن أُن يكون عدم إكمال المخطط الأولي بعدما بلغنا هذه المرحلة إهدارًا لكل ما فعلناه؟

صاح نيوت:

- لا يمكنكم تغيير الماضي؟ أهذا كل ما تقوله؟!

حذّر أحد الحراس، موجّهاً قاذفة إلى صدر نيوت:

- حذار!

خيم الصمت على الغرفة، لم يرَ توماس نيوت بهذه الحالة من قبل قط، بكل هذا الغضب، عاجزًا حتى عن التظاهر بالهدوء.

تابع جانسن:

- الوقت ينفد منا، فلنذهب الآن، وإلا فسنضطر إلى تكرار ما حدث بالأمس،

أؤكد لكم أن حراسي مستعدون!

وثب مينهو من السرير الذي فوق سرير نيوت قائلاً ببساطة:

- إنه محق، إذا لدينا فرصة لإنقاذك يا نيوت، ومن يدري كم من الآخرين،

فسنكون حمقى ببقائنا في هذه الغرفة ثانية إضافية! هيا، فلنذهب.

ورشق توماس بنظرة سريعة، وأوماً ناحية الباب. وسار متجاوزًا الرجل

الجرذ والحراس إلى الرواق دون أن ينظر خلفه. رفع جانسن حاجبيه

لتوماس، الذي كان يجد صعوبة في إخفاء دهشته، إذ كان حديث مينهو في

غاية الغرابة، لا بد أنه لديه خطة ما، فالتظاهر بمسايرة الأمور قد يوفر لهم

بعض الوقت.

استدار توماس عن الحراس والرجل الجرذ، وغمز لنيوت غمزة سريعة لا

يراهها سواه:

- فلنستمع إلى ما يريدون منا فعله. عملت مع هؤلاء الناس قبل المتاهة،

فلا يمكن أن أكون مخطئًا تمامًا، صحيح؟

حاول أن يجعل كلامه عاديًا صادقًا، لكن كان من أصعب الأشياء التي

فعلها:

- آه، أرجوك.

قلب نيوت عينيه، لكنه تحرك نحو الباب، وابتسم توماس في باطنه بنصره الصغير.

قال جانسن، وتوماس يتبع نيوت إلى خارج الغرفة:

- سوف تكونون جميعكم أبطالاً عندما ينتهي كل شيء.

أجابه نيوت:

- اخرس!

سار توماس وصديقه في أعقاب الرجل الجرد عبر الدهاليز التي تشبه متاهة، وفي أثناء سيرهم شرح جانسن الرحلة كأنه مرشد سياحي، موضحاً أن المبنى ليس مزوِّداً بنوافذ كثيرة نظراً لشراسة الطقس بالخارج، وهجمات عصابات المصابين بالفيروس، وذكر العاصفة المطرية الشديدة في ليلة اصطحاب أفراد الجلايد من المتاهة، وكيف أن مجموعة من النزقين قد اخترقت المحيط الخارجي، فرأتهم وهم يصعدون على متن الحافلة.

كانت تلك الليلة لا تزال ماثلة في ذهن توماس، ولا يزال يحس بدهس إطارات الحافلة للمرأة التي اعترضته، وبادرته بالكلام قبل أن يركبوا الحافلة، وكيف أن السائق حتى لم يهدئ سرعته، وكاد لا يصدق أن كل هذا حدث قبل أسابيع فحسب، أحس كأنما انقضت سنوات.

احتدّ نيوت أخيراً:

- أتمنى حقاً لو أنك أغلقت فمك فحسب!

وصمت الرجل الجرد بالفعل، لكنه لم يمحُ الابتسامة الباهتة المرسومة على وجهه قط. عندما بلغوا المنطقة التي كانوا فيها اليوم السابق، توقف الرجل الجرد، واستدار ليخاطبهم:

- أمل أن تتعاونوا جميعكم اليوم، لا أتوقع أقل من هذا.

سأله توماس:

- أين الجميع؟

- مواضيع الدراسة الآخرون يتعافون...

وقبل أن ينهي كلامه انقضَّ نيوت على الرجل الجرد، وأمسك بتلابيبه،
والصقه بعنف على أقرب باب قائلًا له:

- سَمَّهم مواضيع دراسة مرة أخرى، وسأدق عنقك!

اندفع حارسان نحو نيوت على الفور، وجذباه بعيدًا عن جانسن، وألقيا به
على الأرض، وصوبوا قاذفتيهما إلى وجهه.

صاح جانسن:

- مهلاً.. مهلاً! لا تعطَّوه، دعونا نفرغ من هذا الأمر فحسب.

جمع شتات نفسه، وسوَّى تجاعيد قميصه وسترته.

نهض نيوت ببطء على قدميه، رافعًا ذراعيه:

- لا تُسمُّونا مواضيع دراسة، فلسنا فئرانًا تحاول أن تجد الجبن! وقل
لأصدقائك الخُرق أن يهدؤوا، ما كنت لأؤذيك.. كثيرًا!

ووقعت عيناه على توماس، متسائلتين.

«وكِدِ تسعى للخير». لسببٍ لم يدرك توماس كنهه، قفزت هذه الكلمات
الثلاثة إلى عقله، كما لو أن ذاته السابقة، التي كانت تؤمن بأن هدف وِكدِ يبرر
أي عمل مردول؛ تحاول إقناعه بأن هذا صحيح، وأنه مهما يبُدُّ الأمر مقيتًا،
يجب عليهم أن يفعلوا كل ما يتطلبه إيجاد علاج للوهج. بيد أن شيئًا اختلف
الآن، إذ لم يستطع فهم الشخص الذي كان عليه من قبل، كيف ظن أنه لا
بأس بأيٍّ من هذا؟ لقد تغير تغيرًا جذريًا، لكن تعيَّن عليه أن يمنحهم توماس
القديم مرة أخيرة، فقال بهدوء قبل أن يتكلم الرجل الجرد مجددًا:

- نيوت، مينهو.. أظنه محققًا، أعتقد أنه حان الوقت لنفعل ما يفترض أن
نفعله، جميعنا اتفقنا على هذا ليلة أمس.

ابتسم مينهو ابتسامة متوترة، وتكوَّرت يدا نيوت.

إما الآن، أو ستضيع الفرصة للأبد.

الفصل الحادي عشر

لم يتردد توماس، طوّح مرفقه للخلف إلى وجه الحارس الذي يقف خلفه، وفي الوقت نفسه ركل ركبة الذي أمامه، فسقط كلاهما على الأرض، مصعوقين، لكنهما استعادا توازنهما سريعًا، ورأى توماس بطرف عينه نيوت يعرقل حارسًا، ويُسقطه على الأرض، ومينهو يلکم آخر، لكن الخامس امرأة، لم تُمس، وكانت ترفع قاذفتها. اندفع توماس نحوها، وأبعد فوهة السلاح نحو السقف قبل أن تتمكن من ضغط الزناد، لكنها أعادت سلاحها، وهوت به على جانب رأسه، فانفجر الألم في وجنتيه وفكه، ففقد توازنه، وتهاوى على ركبته، ثم على بطنه، ووضع يديه تحته لينهض، لكن ثقلاً ساحقًا هوى على ظهره، فألصقه بعنف على البلاط الصلب، وأفرغ رثتيه من الهواء، ثم انغrust ركبة في عموده الفقري، وأحس بمعدنٍ صلبٍ يضغط على جمجمته.

زعقت المرأة:

- أعطني الأمر! أيها المدير المساعد جانسن، أعطني الأمر... سأشوي دماغه!

لم يستطع توماس أن يرى الآخرين، لكن أصوات العراك توقفت، وعرف أن هذا يعني أن تمردهم كان قصير الأجل، أخضعوا ثلاثتهم خلال أقل من دقيقة، فمزق اليأس نياط قلبه.

زار جانسن من خلف توماس، الذي لم يسعه سوى تخيل مدى الغضب الذي يعتري وجه الرجل الشبيه بابن عرس:

- ما الذي تفكرون به؟! أتعقدون حقًا أن ثلاثة أطفال بوسعهم التغلب على خمسة حراس مسلحين؟! يُفترض أنكم أنكياها أيها الأطفال، وليس متمردين موهومين حمقى، ربما نال الوهج من عقولكم رغم كل شيء!

سمع توماس صراخ نيوت:

- اخرس! أغلق فم...

لكن شيئاً كتم بقية كلماته، وارتعش توماس غضباً عندما تخيل الحراس يؤذون نيوت، فزادت المرأة من ضغط السلاح على رأسه، وهمست في أذنه:

- لا تحاول، حتى أن تفكر مجرد تفكير!

زمجر جانسن:

- أنهضوهم! أنهضوهم!

جذبت الحارسة توماس من خلف قميصه ليقف على قدميه، وهي تَبقي الجانب الذي يؤدي العمل من القاذفة ملتصقاً برأسه، كما كان نيوت ومينهو تحت رحمة قاذفتين، والحارسان الآخران يصوبان أسلحتهما نحو أفراد الجلايد الثلاث.

اشتعل وجه جانسن احمراراً، واستدار نحو توماس قائلاً:

- يا له من أمر في غاية السُخف! لن نسمح بحدوث شيء كهذا مطلقاً!

قال توماس مفاجئاً نفسه:

- كنت مجرد طفل!

فسأله جانسن:

- أستميحك عذراً؟

حدج توماس الرجل الجرد بنظرة نارية:

- كنت طفلاً، جعلوني أفعل هذه الأشياء.. أساعدهم بعدما غسلوا دماغي!

هذا ما كان ينهشه منذ أن بدأت الذكريات تعود إليه، منذ أن بدأ يضع

النقاط فوق الحروف.

قال جانسن بنبرة محايدة:

- لم أكن موجوداً في البداية، لكن أنت بنفسك اعتمدت تولي هذه الوظيفة

بعدما جرى تطهير المؤسسين الأصليين، ويجدر بك أن تعرف أنني لم

أر شخصاً قط، سواء كان صبيّاً أو بالغاً، يضاھيك في الحماسة للمهمة.

ابتسم، ورجب توماس أن ينزع عنه وجهه:

- لا أكثر بما ت...

زعق جانسن:

- كفى! سنجري له العملية أولاً.

وأشار إلى أحد الحراس قائلاً:

- أحضر ممرضة إلى هنا، برندا بالداخل، كانت تلح في رغبتها في المساعدة، ربما سيسهل التعامل معه إذا كانت هي الفنية التي تعمل معه. خذوا الآخرين إلى غرفة الانتظار، أود أن أجري عملياتهم واحدًا تلو الآخر، عليّ الذهاب لتفقد أمر آخر، سألتقيكم هناك.

كان توماس من الاستياء بحيث لم يركز على اسم برندا، وانضم حارس آخر للحراسة، أتى خلفه وأمسك كلُّ منهما بذراع. صرخ توماس، وقد استولت عليه الهستيريا، وارتعب لفكرة معرفة دوره في الماضي:

- لن أسمح لكم بإجراء العملية! يستحيل أن تضعوا ذلك الشيء على وجهي!

تجاهله جانسن، وخاطب الحراس مباشرة:

- احرصوا على أن تخدّره برندا.

ثم سار مبتعدًا.

جذب الحارسان توماس نحو الباب، وقدماه تُجرَّان خلفه، فقاوم وحاول تحرير يديه، لكن يديهما كانتا كأصفاة حديدية، فاستسلم أخيرًا ليوفر طاقته، وارتطم بإدراك أنه ربما خسر المعركة، وتمثّل أمله الوحيد في برندا. كانت برندا تقف جوار سرير بداخل الغرفة، متحجرة الوجه، حاول توماس قراءة عينيها، لكنهما كانتا غائمتين. اجتذبه أسراه بشدة إلى داخل الغرفة، عجز عن استيعاب سبب وجود برندا، وهي تساعد وكِد على فعل هذا، وسمع صوته واهنًا، وهو يسألها:

- لماذا تعملين لصالحهم؟

أداره الحراس.

أجابته برندا:

- من الأفضل أن تمسك عليك لسانك، عليك أن تثق بي مثلما كنت تثق بي في الأرض المحترقة، لأجل مصلحة الجميع!

لم يُكن قادرًا على رؤيتها، لكن ثمة شيء في صوتها؛ شيءٌ من دفء، رغم ما قالته. هل يمكن أن تكون إلى جانبه؟

جذب الحارسان توماس إلى السرير الأخير في الصف، ثم أفلتته الحارسة، وصوبت إليه قاذفتها، والرجل ممسك بتوماس عند حافة الفراش.

قال الحارس:

- تمدد.

زمجر توماس:

- لا!

لوح الحارس بيده، ولطم توماس على خده:

- تمدد الآن!

- لا!

رفع الرجل توماس من كتفيه، وهوى به على الفراش:

- ستُجرى العملية مهما يُكن، فمن الأفضل لك ألا تقاوم!

كان القناع المعدني، بأسلاكه وأنابيبه، معلقًا فوقه كعنكبوت ضخم يوشك أن يكتم أنفاسه:

- لن تضعوا هذا الشيء على وجهي!

تسارعت نبضات قلب توماس تسارعًا خطيرًا، وداهمه الخوف الذي ظل يكتبه، وبدأ يسلبه كل هدوء قد يعينه على التوصل إلى مخرج من مأزقه. أمسك الحارس برسغي توماس، وضغطهما على الفراش، وهو يميل إلى الأمام بكل ثقله ليتأكد عدم تحرك توماس قيد أنملة، وقال:

- خذّريه!

أرغم توماس نفسه على الهدوء، ليدخر طاقته من أجل مجهود أخير للهروب. ألمته رؤية برندا، التي صار مقرّبًا منها أكثر مما كان يعتقد، وإذا ساعدت في إرغامه على العملية، فهذا يعني أنها أيضًا في صف الأعداء، وشق عليه مجرد التفكير في الاحتمال. قال:

- أرجوك يا برندا، لا تفعلوها، لا تدعيهم يفعلوا هذا!

اقتربت منه، ولامست كتفه برفق قائلة:

- سيكون كل شيء على ما يرام، لا يسعى الجميع لجعل حياتك تعيسة. سوف تشكرني لاحقًا لما أنا مقبلة على فعله، والآن كُف عن النحيب، واسترخِ.

كان لا يزال عاجزًا عن سبر غورها مهما يحاول:

- أهذا كل شيء؟! بعد كل ما حدث في الأرض المحترقة؟ كم مرة أفلتنا من الموت بأعجوبة في تلك المدينة؟ ستتخلين عني بعد كل ما مررنا به؟!

- توماس...

حارت كلماتها، وأردفت دون أن تكلف نفسها إخفاء إحباطها:

- لقد كان عملي!

- سمعتُ كلماتك في رأسي، حذرتني من أن الأمور سوف تأخذ منحى سيئًا، أرجوك قولي لي إنك لستِ حقًا إلى جانبهم!

- عندما عدنا إلى المقر الرئيسي بعد نهاية تجارب الأرض المحترقة، ولجأتُ إلى نظام التخاطر، لأنني أردت تحذيرك، وجعلك مستعدًا. لم أتوقع أن نغدو أصدقاء في ذلك الجحيم قط!

وعلى نحو ما، مجرد سماع أنها تبادلته الشعور جعل كل شيء مقدورًا عليه قليلاً، وعندئذٍ عجز عن تمالك نفسه، فسألها:

- هل أنتِ مصابة بالوهج؟

أجابت بعبارات مقتضبة سريعة:

- كنت أمثل، أنا وخورخي من ذوي المناعة، وقد علمنا بالأمر منذ مدة طويلة، لهذا استعانوا بنا. والآن اصمت.

صاح الحارس فجأة:

- انتهى من الأمر!

رمقت برندا الرجل بنظرة صارمة، لكنها لم تقل شيئًا، ثم حوّلت ناظرها إلى توماس، وفاجأته بغمزة خفيفة:

- حالما أحقن المخدر، ستنام في غضون ثوانٍ، هل تفهم؟

شدت على الكلمة الأخيرة، ثم غمزت له من طرف خفيٍّ مجددًا، ولحسن الحظ كان الحارسان يركزان انتباههما على أسيرهما، وليس عليها. تحركت برندا نحو النضد الذي خلفها، وشرعت في إعداد ما تحتاج إليه، وواصل الحارس اتكائه بكل ثقله على رسغي توماس، قاطعًا عنهما الدورة الدموية، ونضح جبين الرجل بالعرق، لكن كان من الواضح أنه لن يفلت توماس قبل أن يغيب عن الوعي، وكانت الحارسة تقف بجانبه مصوبةً قاذفتها إلى وجه توماس.

عادت برندا حاملةً بيسراها حقنة، إبرتها متجهة للأعلى، وإصبعها على الزناد، ولاح سائل ضارب إلى الصفرة من الفتحة الصغيرة على جانبها:

- حسنًا يا توماس، سنفعل هذا بلمح البصر، مستعد؟

أومأ لها، ليس واثقًا مما ترمي إليه، لكنه عزم على أن يكون مستعدًا.

أجابت:

- جيد، من الأفضل لك أن تكون مستعدًا.

الفصل الثاني عشر

ابتسمت برندا، وتحركت نحو توماس، ثم تعثرت بشيء، وفقدت توازنها، وهي تتحرك للأمام، فأمسكت بالسريير بيدها، لكنها سقطت بطريقة جعلت إبرة الحقنة تنغرس في ذراع الحارس الذي يمسك برسغَي توماس، وعلى الفور ضغطت زناد الحقنة، فأطلقت هسيًا حادًا قبل أن يجفل الحارس مبتعدًا.

صاح الرجل:

- ماذا بحق الجحيم!؟

لكن عينيه كانتا قد صارتا زجاجيتين.

شرع توماس في العمل على الفور، وقد تحرر من القبضتين الحديديتين، فاندفع مغادرًا الفراش، وأطلق ساقه في قوس نحو الحارسة، التي بدأت تستفيق بعد وهلة تسمر من الصدمة، فركلت إحدى قدمي توماس القاذفة، والأخرى كتفها، فأطلقت صرخة، أعقبها صوت ارتطام رأسها بالأرض. اندفع توماس وجيلًا نحو القاذفة، ممسكًا بها قبل أن تنزلق بعيدًا عن متناوله، وصوبها نحو المرأة، التي تمسك رأسها بيديها، وكانت برندا قد ركضت حول السريير لتحمل سلاح الرجل، وصوبته نحو جسده الهامد. شهق توماس، وصدرة يعلو ويهبط مع سريان الأدرينالين في أوصاله، لم يراوده مثل هذا الإحساس الرائع منذ أسابيع.

- عرفتُ أنك...

أطلقت برندا قاذفتها قبل أن ينهي كلامه. شق صوتٌ حادُّ الهواء، ازدادت حدته لكسر من الثانية قبل أن ينطلق السلاح ويرتد، مما جعل برندا تجفل للخلف، فانبثقت إحدى القنابل الصغيرة اللامعة، وارتطمت بصدر المرأة وانفجرت، فغمرت جسدها بخيوط ضوئية كهربائية، جعلتها تتشنج دون سيطرة. بُهت توماس، مصعوقًا بما تفعله القاذفة بالمرء، ومبهورًا بأن برندا

أطلقتها دون أن يطرف لها جفن، وإذا كان بحاجة إلى إثبات آخر على عدم ولاء برندا لوكيد، فقد رآه رأي العين، ورنا ببصره إليها مشدوهاً.

بادلته النظرات بوجهٍ تعلوه ابتسامة خفيفة:

- كنتُ أتوق لفعل شيء كهذا منذ مدة طويلة، لحسن الحظ نجحت في إقناع جانسن بأن يعهد إليّ بإجراء العملية لك.

انحنيت، وأخذت بطاقة الرجل فاقد الوعي، وأقحمتها في جيبتها قائلة:

- ستوصلنا هذه إلى أي مكان.

قاوم توماس رغبة عارمة في معانفتها، وقال:

- هيا، علينا أن نحرر نيوت ومينهو، ثم جميع الآخرين.

ركضا عبر عدة التواءات، ومنعطفات في الأروقة، وبرندا في الأمام، فتذكر توماس عندما كانت تقوده عبر الأنفاق تحت الأرض المحترقة، وحثها على الإسراع، إذ يعلم أن مزيداً من الحراس يمكن أن يظهروا في أي لحظة. بلغا باباً، فمررت برندا البطاقة لتفتحه، فأصدر هسيساً قصيراً، ثم انفتح اللوح المعدني، فهرع توماس إلى الداخل، وبرندا في أعقابه. كان الرجل الجرد يقتعد كرسيًا، لكنه انتصب سريعاً على قدميه، وتلوت تعابير وجهه سريعاً بنظرة رعب، وقال:

- باسم الرب، ما الذي تفعلونه؟!

أطلقت برندا قنبلتين يدويتين على الحارسين؛ رجل وامرأة، فتهاويا على الأرض، وصارا يتشجان وسط سحابة من الدخان وخيوط البرق الصغيرة. وعرقل نيوت ومينهو الحارس الثالث، وأمسك مينهو بسلاحه. صوب توماس قاذفته نحو جانسن، ووضع إصبعه على الزناد قائلاً:

- أعطني بطاقتك، ثم تمدد على الأرض، ويداك فوق رأسك.

كان صوته ثابتاً لم يفصح وجيب قلبه. سلم جانسن بطاقته لتوماس، وتحدث بصوت منخفض، بادياً عليه الهدوء على نحو دهش بالنظر إلى الظرف الذي هو فيه:

- هذا جنون محض! فرصكم معدومة في مغادرة هذا المجمع، المزيد من الحراس في طريقهم إلى هنا.

كان توماس يعرف أن فرصة نجاحهم ضئيلة، لكنها متاحة:

- هذا لا شيء مقارنة بكل ما مررنا به.

وابتسم إثر إدراكه أن كلامه صحيح، وأردف:

- شكراً لكم على التدريب، والآن، تفوه بكلمة أخرى وستجرب... كيف كان تعبيرك؟ «أسوأ خمس دقائق في حياتك»؟
- كيف يمك...؟

ضغط توماس الزناد، فامتلأت الغرفة بالصوت الحاد، أعقبه انطلاق قنبلة صغيرة، ارتطمت بصدر الرجل، وانفجرت بوهج كهربائيٍّ برّاق، فصرخ وهو يتهاك على الأرض، متشنجاً، والدخان يتصاعد من شعره وملابسه، فامتلأت الغرفة برائحة مريعة؛ نتانة زكرت توماس بالأرض المحترقة، عندما ضربت صاعقة مینهو.

قال توماس لأصدقائه:

- لا يمكن أن يمنح ذلك شعوراً طيباً.
- فوقع صوته هادئاً على أذنيه لدرجة أزعبته، وفي أثناء مشاهدتهم لخصمهم اللدود، وهو يرتعش، كاد يشعر بالخزي من نفسه لعدم إحساسه بأي ذنب.. كاد.

قالت برندا:

- من المفترض أنها لن تقتله.
- أجاب مینهو، وهو ينهض بعدما شد وثاق الحارس غير المصاب بحزامه:
- هذا أمر مؤسف، لكان العالم مكاناً أفضل دونه!
- انتزع توماس انتباهه من الرجل المرتعش عند قدميه قائلاً:
- سنغادر الآن.

قال نيوت:

- سأشرب نخب ذلك.
- فأردف مینهو:
- هذا ما كنت أفكر فيه بالضبط.

استداروا جميعهم لينظروا إلى برندا، فرفعت قاذفتها بين ذراعيها، وأومات، متحفزة للقتال، وقالت:

- أمقت هؤلاء الناس بقدر ما تمقتونهم. أنا معكم.

للمرة الثانية خلال الأيام القليلة المنصرمة، غمّر توماس بإحساس غريب بالسعادة؛ عادت برندا. ألقى نظرة نحو جانسن، فرأى أن قرعة خيوط الضوء

الكهربائية بدأت تخدم، وعينا الرجل مغمضتان، وقد توقف أخيرًا عن الحركة، لكنه ما زال يتنفس.

قالت برندا:

- لا أدري إلى متى يدوم مفعول إحدى هذه الطلقات، وهو قطعًا سيستيقظ غاضبًا. علينا مغادرة هذا المكان.

سأل نيوت:

- ما الخطة؟

لم تكن لدى توماس أدنى فكرة، فقال:

- سنرتجلها في أثناء تحركنا.

اقترحت برندا:

- خورخي طيار، إذا تمكنا بطريقة ما من بلوغ حظيرة الطائرات، حيث البيرج...

وقبل أن يتمكن أيٌّ منهم من الرد، تناهت إلى مسامعهم أصوات وقع أقدام وصيحات قادمة من الصالة.

قال توماس مرتطمًا بإدراك حقيقة دقة موقفهم مجددًا:

- إنهم قادمون.

ما كان أحدٌ يسمح بمرورهم مرور الكرام إلى خارج المبنى، ومن يدري عدد الحراس الذين عليهم اجتيازهم.

ركض مينهو إلى الباب، واتخذ مكانه جواره قائلاً:

- لا بد أنهم جميعًا سيدخلون من هنا.

تعالت الأصوات القادمة من الرواق.. الحراس يقتربون.

قال توماس:

- نيوت، تولّ الجانب الآخر من المدخل، أنا وبرندا سنصيب أول اثنين يدخلان، وأنتما عليكما بالبقية من الجانبين، ثم اخرجنا إلى الرواق، وسنكون خلفكما مباشرة.

أخذوا مواقعهم.

الفصل الثالث عشر

اعترى وجه برندا مزيج من تعابير الغضب والحماسة، وهياً توماس نفسه إلى جوارها، قابضاً على القاذفة بإحكام، وكان يعلم أن الثقة ببرندا مقامرة، فقد خدعه الجميع في هذه المنظمة، ولا يحتمل أن يقلل من شأن وكيد. بيد أنها كانت السبب الوحيد في بلوغه هذا الحد، وإذا أراد أن يصطحبها معه، فليس بمقدوره الشك بها.

وصل الحارس الأول؛ رجل يرتدي العتاد الأسود نفسه كما هو حال الآخرين، لكنه يتأبط سلاحاً من نوع مختلف؛ أصغر وأخف. أطلق توماس قاذفته، وشاهد القنبلة الصغيرة تعلق بصدر الرجل، فجعلته يتقهقر ويرتعش، ويتسنج مسربلاً بشبكة من الخيوط الكهربائية. تبعه مباشرة اثنان؛ رجل وامرأة، شاهرين قاذفتيهما.

تحرك مينهو قبل أن يتمكن توماس من فعل شيء، فأمسك المرأة من قميصها، وجذبها بقوة نحوه، ثم طوح بها حوله، وهوى بها على الجدار، فأطلقت طلقة، لكن القنبلة الفضية تهشمت على الأرض، دون أن تمس أحداً بأذى، وأطلقت دفقة قصيرة من الكهرباء عبر الأرضية المبلطة. وأطلقت برندا قاذفتها نحو الرجل، فأصابته في ساقيه، فانتشرت إلى باقي جسده خيوط كهربائية رفيعة، فصرخ متراجعاً إلى الرواق بعدما سقط سلاحه على الأرض. جرد مينهو المرأة من سلاحها، وأرغمها على أن تجثو على ركبتيها، وصوب قاذفة إلى رأسها.

عبر رجل رابع الباب، لكن نيوت أطاح بسلاحه، ولكمه في وجهه، فتهاك على ركبتيه واضعاً يده على فمه الدامي، ورفع الحارس بصره، كأنه يهم بقول شيء، لكن نيوت أخذ خطوة للوراء، وعاجله بطلقة في الصدر، ومن هذه المسافة القريبة أصدرت القنبلة فرقة رهيبية، وهي تنفجر على الرجل،

فأطلق من حلقة صريرًا مروّعًا، وهو يسقط على الأرض متلويًا داخل شبكة من الكهرياء النقية.

قال نيوت، وهو يومئ نحو شيء في مؤخرة الغرفة:

- تلك الخنفساء المعدنية تشاهد كل ما نفعله هنا، علينا الخروج من هنا، سيواصلون المجيء.

استدار توماس، فرأى عذاءة روبوتية قابضة في مكانها تصدر ضوءًا أحمر، ثم أعاد نظره إلى المدخل الذي كان فارغًا. ثم واجه المرأة، التي تبعد فوهة سلاح مينهو عن رأسها بضع بوصات.

سألها توماس:

- كم عددكم هنا؟ هل من مزيد قادمون؟

لم تجبه في البداية، لكن مينهو مال إلى الأمام حتى لامس سلاحه خدها، فقالت بسرعة:

- هناك خمسون مناوبون في الخدمة.

سألها مينهو:

- أين هم إذن؟

- لا أدري.

صاح مينهو:

- لا تكذبي علي!

- نحن... ثمة أمر آخر يجري، لا أدري ما هو، أقسم!

ألقي توماس عليها نظرة من كئيب، ورأى في تعابير وجهها أكثر من مجرد خوف. أكان إحباطًا؟ وبدت أنها تقول الحقيقة. وسألها:

- أمر آخر؟ مثل ماذا؟

هزت رأسها:

- كل ما أعرفه هو أن مجموعة منا استُدعيت إلى قسم آخر، هذا كل شيء.

غَلَف توماس صوته بالشك بقدر ما يمكنه:

- ألدريك فكرة عن السبب؟ يصعب عليّ تصديق هذا!

- أقسم لك.

أمسك مينو بها من خلف قميصها، وجذبها لتقف على قدميها، وقال:

- إذن، سنأخذ هذه السيدة اللطيفة رهينةً، فلنذهب.

وقف توماس أمامه قائلاً:

- يجب أن تتقدمنا برندا، فهي تعرف أرجاء هذا المكان، وأنا خلفها، ثم

أنت وصديقتك الجديدة، ثم نيوت في المؤخرة.

أسرعت برندا لتقف جوار توماس قائلة:

- ما زلت لا أسمع صوت أحد، لكن ينبغي ألا نتوانى، هيا.

واسترقت النظر إلى الرواق، ثم انسلت خارجةً من الغرفة.

استغرق توماس ثانية ليمسح يده المتعرقه على بنطاله، ثم قبض على

القاذفة وتبعها، انعطفت برندا يميناً، وسمع الآخرين يتبعونه، وبلمحة سريعة

رأى أسيرة مينو تركض معهم أيضاً، ولا تبدو مسرورة بخطر الحمام

الكهربائي الذي يحيق بها على بُعد بضعة بوصات.

بلغوا نهاية الرواق الأول، وانعطفوا يميناً دون أن يتوقفوا، وبدا مسارهم

الجديد مثل الذي قبله تماماً؛ زقاق كريمي اللون يمتد أمامهم لخمسین قدماً

على الأقل قبل أن ينتهي ببابين، وبطريقة ما نكّره المنظر بالمساحة الأخيرة

في المتاهة قبل الجرف، عندما ركض هو وتيريسا وتشاك قاصدين المخرج،

بينما الآخرون جميعهم يقاتلون الهوام لتأمين عبورهم. ومع اقترابهم من

البابين، أخرج توماس بطاقة الرجل الجرد من جيبيه.

زعقت رهينتهم به:

- لا أنصحكم بفتح الباب! أراهن أن هناك عشرين سلاحاً بانتظار إحراقكم

أحياء على الجانب الآخر.

ثمة شيء في نبرة صوتها دلّ على اليأس. أمن الممكن أن وكّد قد أفرطت

في ثقّتها بنفسها، وأرخت قبضتها الأمنية؟ مع عدم تبقي سوى عشرين أو

ثلاثين مراهقاً، من المؤكد أنهم ليس لديهم أكثر من رجل أمن لكل واحدٍ من

مواضيع دراستهم.. إن كانوا بهذا العدد!

كان على توماس وأصدقائه العثور على خورخي والبيرج، لكن عليهم أيضًا أن يعثروا على الآخرين جميعهم، وفكر بالسيد طاسة وتيريسا، ما كان ليتخلى عنهم لا لشيء سوى أنهم اختاروا أن يستعيدوا ذكرياتهم. توقف أمام البابين منزلقًا على قدميه، واستدار ليواجه مينهو ونيوت قائلًا:

- ليس معنا سوى أربع قاذفات، ومن الأفضل لنا أن نتوقع وجود المزيد من الحراس بانتظارنا على الجانب الآخر من هذين البابين، هل نحن مستعدون لهذا؟

اقترب مينهو من لوحة البطاقة، صاحبًا الحارسة من قميصها:

- ستفتحين لنا هذا الباب حتى يمكننا التركيز على رفاقنا، قفي هنا، ولا تفعلي شيئًا حتى نأمركِ.. لا تعبثي معي!

واستدار إلى توماس قائلًا:

- ابدأ إطلاق النار حالما تتحرك الأبواب.

أومأ توماس، وقال:

- سأجثو، قف فوق كتفي يا مينهو، برّندا إلى اليسار، ومينهو إلى اليمين. انخفض توماس، وثبتت فوهة سلاحه حيث يلتقي البابان في المنتصف، ووقف مينهو وراءه، مصوبًا سلاحه مثله، واتخذ نيوت وبرّندا موقعيهما.

قال مينهو:

- سنفتح عند الرقم ثلاثة، وأنت أيتها السيدة، إذا حاولت فعل شيء أو الهروب، أوكد لك أن أحدنا سينال منك! توماس، ابدأ العد.

أخرجت المرأة بطاقتها، ولم تنبس ببنت شفة.

بدأ توماس:

- واحد.. اثنان.

توقف، مُمهلاً نفسه ليأخذ نفسًا عميقًا، لكن قبل أن يصيح بالرقم الأخير، دوت صافرات الإنذار، وانطفأت المصابيح.

الفصل الرابع عشر

رمش توماس عدة مرات سريعاً، محاولاً التكيف مع الظلام، والإنذار يُدوي بصريز متقطع ثاقب يصم الأذان. استشعر مينهو يقف، ثم سمعه يتحسس ما حوله، ويصيح:

- اختفت الحارسة! لا أجدها!

وما إن لفظ الكلمة الأخيرة، ملأ صوت شحن الطاقة فجوات الصمت التي في طنين الإنذار المتقطع، وأعقبه صوت خروج قنبلة، وانفجارها على الأرض، فأضاءت الغرفة بالخيوط الكهربائية، ورأى توماس هيئة شبحية تركض في الرواق مبتعدة عنهم، وتتلاشى في العتمة.

تمتم مينهو بصوت مسموع بالكاد:

- إنه خطئي!

قال توماس، وهو يخشى ما قد يعنيه الإنذار:

- عد إلى موقعك، وتحسس الفجوة التي سينفتح منها البابان، سأستخدم بطاقة الرجل الجرد، استعدوا!

تحسس الجدار حتى عثر على المكان المطلوب، ثم مرر البطاقة، فصدرت تكة مسموعة، وبدأ أحد البابين ينفتح إلى الداخل.

صاح مينهو:

- ابدؤوا الإطلاق!

بدأ نيوت وبرندا ومينهو إطلاق القنابل في الظلام عبر المدخل، واتخذ توماس موقعه بعناية، وحذا حذوهم، مطلقاً قاذفته نحو خيوط الكهرباء المتراقصة التي تفرقع على الجانب البعيد عن البابين، والقاذفة تستغرق

بضع ثوانٍ بين الدورات، لكن سرعان ما خلقوا عرضًا باهرًا من الأضواء والانفجارات. ما من أثر لأناس في أي مكان، وما من طلقات من الجانب الآخر.

خفض توماس سلاحه إلى جانبه صائحا:

- توقفوا! لا تهدروا المزيد من الذخيرة!

أطلق مينهو قنبلة أخيرة، لكن عندئذٍ وقفوا جميعهم، وانتظروا خفوت الكهرباء حتى يأمنوا الدخول إلى الغرفة.

التفت توماس إلى برندا، وتكلم بصوتٍ عالٍ حتى يُسمع من خلال الضجيج:

- ذكرياتنا الشحيحة لا تسعفنا، هل تعرفين شيئًا قد يساعدنا؟ أين الجميع؟ ولماذا الإنذار؟

هزت رأسها:

- لا بد أن أصدقك القول.. ثمة شيء غير معتاد!

صاح نيووت:

- أراهن أن هذا اختبار آخر من اختباراتهم اللعينة! كل هذا خُطِّط لوقوعه، ويجري تحليلنا من جديد.

كان توماس قادرًا بالكاد على سماع أفكاره، ونيوت لم يكن يساعده. رفع قاذفته، وسار عبر المدخل، أراد أن يصل إلى مكان أكثر أمانًا قبل أن يتلاشى ضوء القنابل تمامًا. ومن ذكرياته الضئيلة التي عادت إليه، عرف أنه ترعرع في هذا المكان، وتمنى لو تذكر تفاصيله. وأدرك مجددًا مدى أهمية برندا لحريتهم، وخورخي أيضًا، إن رغب في التحليق بهم خارج هذا المكان.

توقف الإنذار.

- ماذا...؟!!

بدأ توماس سؤاله بصوتٍ عالٍ جدًا، ثم خفضه:

- ماذا الآن؟

أجابه مينهو:

- على الأرجح سئموا من نزيف آذانهم بسبب الضجيج. إيقافهم الإنذار لا يعني شيئًا.

اختفى توهج الخيوط الكهربائية، لكن الغرفة التي على الجانب الآخر من المدخل كانت بها مصابيح طوارئ تسربل كل شيء بغشاوة حمراء. وكانوا يقفون في منطقة استقبال شاسعة بها أرائك وكراسي ومكتبان، ولم يقع بصرهم على أحد.

قال توماس، وقد بدا له المكان مألوفًا فجأة:

- لم أرَ شخصًا واحدًا في غرف الانتظار هذه قط، المكان بأكمله خال ومخيف قليلًا.

أجابت برندا:

- لقد انقضى وقت طويل منذ أن كانوا يسمحون بقدوم الزوار هنا، أنا متأكدة.

سأل نيوت:

- ما خطوتنا التالية يا تومي؟ لا يمكننا الوقوف هنا طوال اليوم.

راح توماس يفكر لحظة، عليهم أن يجدوا أصدقاءهم، لكن ضمان مخرج لهم بدا هو الأولوية، وقال:

- حسنًا، برندا، إننا في أمس الحاجة إلى مساعدتك، علينا أن نبلغ حظيرة الطائرات ونجد خورخي، ونجعله يجهز إحدى سفن البيرج، ويبقى معه نيوت ومينهو لدعمه، وأنا وبرندا سنبحث عن أصدقائنا في المكان. برندا... أتعرفين من أين يمكننا التزود بالأسلحة؟

قالت برندا:

- مستودع الأسلحة في الطريق إلى حظيرة الطائرات، لكن عليه حراسة على الأرجح.

قال مينهو:

- لقد مررنا بما هو أسوأ، سنطلق أسلحتنا عليهم حتى نتغلب عليهم، أو يتغلبوا علينا.

أردف نيوت بصوت أقرب للزمجرة:

- سنصرعهم، ونشق طريقنا فوق جثثهم جميعهم، هؤلاء الأوغاد!

أشارت برندا إلى أحد الرواقين اللذين يتفرعان من غرفة الاستقبال:
- من هذا الاتجاه...

اقتادت برندا توماس وأصدقاءه عبر منعطف تلو منعطف، تضيء طريقهم مصابيح الطوارئ الحمراء الباهتة، ولم تقابلهم مقاومة، لكن من حين لآخر تتقاذف جوارهم خنفساء معدنية، وهي تصدر أصوات نقرات سريعة. أطلق مينهو سلاحه نحو إحداها، وأخطأها على نحو سيئ، فكاد يحرق نيوت، الذي عوى وأراد -بالنظر إلى تعابير وجهه- أن يطلق عليه سلاحه أيضًا.

وبعد خمس عشرة دقيقة من الركض، وصلوا إلى مستودع الأسلحة، فتوقف توماس في الرواق، مدهوشًا لانفتاح الباب على مصراعيه، وحسبما يمكنه رؤيته بدت الأرفف بالداخل ملأى على آخرها.

قال مينهو:

- هذا يحسم الأمر، لا مزيد من الشكوك.

عرف توماس ما يقصده تمامًا، فقد مر بما يكفي ليعرف، وغمغم:

- أحدهم ينصب لنا فخًا!

أردف مينهو:

- لا بد.. يختفي الجميع فجأة، والأبواب مفتوحة، والأسلحة تقبع هنا بانتظارنا، ومن الواضح أنهم يراقبوننا عبر تلك الخنافس المعدنية الخرقاء.

مكتبة

t.me/soramnqraa

وأضافت برندا:

- أمرٌ مريب حتمًا.

التفت مينهو نحوها إثر سماعه صوتها قائلاً:

- كيف نعرف أنك أنتِ لستِ مشتركة في هذا؟!!

أجابت بصوت منهك:

- لا يمكنني سوى أن أقسم بأنني لست مشتركة، ليست لدي أدنى فكرة عما يحدث!

كره توماس أن يعترف، لكن ما لمَّح نيوت إليه سابقًا بأن قصة الهروب هذه كلها حتى الآن ربما لا تكون شيئًا سوى تدريب مدبر؛ كان يبدو أنه الأرجح،

جعلوا منهم فئرانًا مرة أخرى؛ فئرانًا تتخبط في متاهة من نوع مختلف، وكان توماس يحدوه أمل شديد في ألا يكون هذا صحيحًا.

كان نيوت قد دخل إلى غرفة الأسلحة، وهتف:

- انظروا إلى هذا.

دخل توماس الغرفة، فرأى نيوت يشير إلى قسم خالٍ من مساحة الجدار، وأرشف خالية.

- انظر إلى الأشكال التي رسمها الغبار، من الواضح أن بعض الأشياء أُخِذت مؤخرًا، ربما قبل ساعة أو نحوها.

تفقد توماس المكان، كانت الغرفة مغبرة جدًا بما يكفي لجعل المرء يعطس إذا تحرك كثيرًا، لكن المواضع التي أشار إليها نيوت نظيفة تمامًا، كان مصيبًا تمامًا.

سأل مينهو من خلفهم:

- ما أهمية هذا؟

التفت نيوت إليه قائلاً:

- ألا يمكنك استنتاج شيء بنفسك ولو مرة، أيها العرقوب اللعين!
أجفل مينهو، وبدت عليه أمارات الصدمة أوضح من الغضب.

قال توماس:

- مهلاً يا نيوت! الوضع مقيت، أجل، لكن تمالك نفسك، ما الخطب؟

- سأخبرك بالخطب اللعين! أنت تتصرف دون خطة، متظاهرًا بشدة بأسك، وتقودنا في الأرجاء مثل مجموعة دجاجات تبحث عن الطعام، ومينهو لا يستطيع أن يخطو خطوة لعينة واحدة دون أن يسأل عن أي قدم ينبغي له استخدامها!

كان مينهو قد تعافى أخيرًا ليشعر بوخز كلام نيوت:

- اسمع أيها الأخرق، أنت الذي تتصرف كأنك عبقرئ، لأنك اكتشفت أن بعض الحراس أخذوا أسلحة من غرفة **الأسلحة**، وظننت أن عليّ أن

أَحْسِنَ بك الظن، وأتظاهر بأنك ربما اكتشفت شيئاً أعمق من ذلك. في
المرّة القادمة سوف أُربّت على ظهرك لتبيين ما هو بديهي!
التفت توماس إلى نيوت، فرأى تعابير صديقه تتغير، وبدا منكوباً،
والدموع تكاد تترقرق في عينيه.

غمغم نيوت:

- آسف.

ثم استدار، وسار إلى خارج الغرفة.

همس مينهو:

- فيمَ كان ذلك؟

لم يرغب توماس في قول ما يفكر به؛ أن سلامة نيوت العقلية تتدهور
ببطء، وأن من حسن حظه...

قالت برندا:

- لم تفهموا مقصده **بالفعل** يا رفاق!

سأل مينهو:

- وقد كان..؟

- لا بد أنه كانت توجد دزيتان أو ثلاث من الأسلحة والقاذفات في هذا
القسم، والآن اختفت جميعها، في وقت قريب جداً، قبل ساعة أو نحوها،
كما قال نيوت.

- ومن ثم؟

حَثَّها مينهو على الكلام كما خطر لتوماس.

رفعت برندا يديها كأنما ينبغي أن تكون الإجابة واضحة:

- لا يأتي الحراس إلى هنا إلا إذا احتاجوا إلى سلاح بديل، أو استخدام
سلاح آخر إلى جانب القاذفات، فلماذا يضطرون **جميعهم** إلى فعل
ذلك في الوقت نفسه؟! **اليوم**؟! والقاذفات ثقيلة جداً، لا يمكنك إطلاقها،
وأنت تحمل سلاحاً آخر أيضاً، فأين الأسلحة التي يُفترض أن يتركوها
خلفهم؟!

الفصل الخامس عشر

كان مينهو أول من قدّم تفسيرًا:

- ربما كانوا يعرفون أن شيئًا كهذا قد يحدث، ولا يرغبون في قتلنا، فهذه القاذفات تصعق المرء مدة فحسب، على ما يبدو، إلا إذا أُصيب في رأسه مباشرة، لذا جاؤوا جميعهم، وأخذوا القاذفات ليستخدموها مع أسلحتهم العادية.

كانت برندا تهز رأسها حتى قبل أن ينهي مينهو كلامه:

- لا، الوضع الطبيعيُّ بالنسبة إليهم، هو أن يحملوا القاذفات طوال الوقت، لذا ليس من المنطقي أن يعودوا جميعهم دفعة واحدة ليأخذوا قاذفات جديدة، وأيًا كان رأيكم في وِكد، ليس هدفهم هو قتل أكبر عدد ممكن من الناس، حتى عندما يقتحم النزقون المكان.

سأل توماس:

- **اقتحم النزقون هذا المكان من قبل؟**

أومأت برندا:

- كلما ازدادت حدة إصابتهم، وكلما توغلوا في طور الجنون، يصيرون أشدّ يأسًا. يخامرني شك قوي في أن الحراس...

قاطعها مينهو:

- ربما هذا هو ما حدث، ربما اقتحم بعض النزقين المكان، وأخذوا الأسلحة التي كانت هنا، أيًا كانت، وراحوا يصعقون الناس، ويأكلون جثثهم. ربما لم نر سوى حراس قليلين، لأن بقيتهم ميتون!

كان توماس قد رأى نزقين تجاوزوا طور الجنون، وداهمته الذكريات. النزقون الذين عاشوا مصابين بالوهج مدة طويلة، ونهش أدمغتهم حتى لم تبقَ فيهم ذرة عقل، صاروا أشبه بحيوانات في هيئة بشرية.

تنهدت برندا:

- أكره قول هذا، لكن ربما تكون على حق.

وفكرت لوهلة قبل أن تردف:

- جدياً، هذا قد يفسر الأمر. جاء أحدهم إلى هنا، وأخذ مجموعة من الأسلحة.

اجتاحت توماس رعشة باردة:

- في هذه الحالة، فإننا في ورطة أسوأ بكثير مما نظن!

- سعيد برؤية أن الذي ليست لديه مناعة ضد الوهج ليس الوحيد الذي لديه دماغ لا يزال يعمل.

استدار توماس، فرأى نيوت واقفاً عند الباب.

قال مينهو بصوت مجرد من أي عاطفة:

- في المرة القادمة، وضّح مقصدك بدلاً من أن تتحاذق! لم أظنك ستفقد صوابك بهذه السرعة، لكنني سعيد بعودتك، فربما نحتاج إلى نزع ليتعقب متشمماً النزقين الآخرين إذا اقتحموا المكان بالفعل!

أجفل توماس إثر سماعه التعليق الجارح، ونظر إلى نيوت ليعرف ردة فعله. لم يكن الفتى الأكبر سنّاً سعيداً. هذا كان جلياً في تعابيره، وقال:

- دائماً ما لا تعرف متى عليك أن تغلق فمك، أليس كذلك يا مينهو؟ دائماً يجب أن تكون كلمتك الأخيرة!

رد مينهو:

- اخرس أيها الأخرق!

كان صوته هادئاً للحظة، لدرجة أن توماس لأمكنه أن يقسم على أن مينهو يفقد صوابه هو نفسه، وكاد التوتر يكون محسوساً في الغرفة. دنا نيوت ببطء من مينهو، وتوقف أمامه، ومن ثم بسرعة لدغة أفعى لكمه على وجهه، فترنح مينهو للخلف، وارتطم برف الأسلحة الفارغ، ثم اندفع للأمام، وأسقط نيوت على الأرض. حدث كل شيء بلمح البصر، فلم يصدق توماس ما يجري، فهرع، وبدأ يجذب قميص مينهو صائحاً:

- توقفا!

لكن فردَي الجلايد ظلّا مشتبكين لدرجة يصعب معها تمييز أطرافهما.
تدخلت برندا لتساعد توماس، وأخيرًا أفلحا في الإمساك بمينهو جيدًا،
وأوقفاه على قدميه، وقبضتاه تتحركان بعنف، وارتطم مرفق طائش بذقن
توماس، فملأه بالألم والغضب؛ صاح توماس، وهو يثبّت ذراعَي مينهو خلف
ظهره:

- هل بلغت حماقتكما هذه الدرجة؟! إننا نهرب من عدو واحد على الأقل،
ربما اثنين، وأنتما تتشاجران؟

زعق مينهو، ورذاذ لعبه يتطاير نحو برندا:

- هو البادئ!

مسحت وجهها، وسألته:

- هل أنت طفل في الثامنة أم ماذا؟!

لم يُجب مينهو، وجاهد بضع ثوانٍ لتحرير نفسه قبل أن يستسلم، واشمأز
توماس من الوضع برمّته، ولم يدرِ أيهما أسوأ؛ حقيقة أن نيوت بدأ يفقد رشده،
أم طيش مينهو الذي كان ينبغي أن يكون قادرًا على السيطرة على نفسه!
وقف نيوت على قدميه، وهو يتحسس بحذر البقعة الحمراء على خده،
حيث وقعت إحدى لكلمات مينهو، وقال:

- إنه خطئي، تستثيرني أتفه الأشياء، فكروا فيما ينبغي لنا فعله يا رفاق،
أنا بحاجة إلى استراحة.

واستدار، وسار إلى خارج الغرفة مجددًا.

أطلق توماس تنهيدة إحباط، وأفلت مينهو، وعدّل قميصه. ليس لديهم
الوقت للخوض في الجدالات الجانبية، وإذا أرادوا الخروج من هذا المكان،
فعليهم أن يتكاتفوا، ويعملوا بوصفهم فريقًا.

- مينهو، اعثر لنا على المزيد من القاذفات لنحملها معنا، ثم بضعة
مسدسات من ذلك الرف هناك. برندا، يمكنك ملء صندوق بأكبر قدر
ممكّن من الذخيرة؟ سأذهب إلى نيوت.

- حسنًا.

أجابته، وقد التفتت بالفعل لتبحث في أنحاء المكان، ولم يتفوه مینهو بكلمة، وشرع في البحث بين الأرفف.

خرج توماس إلى الصالة، وكان نيوت قد اقتعد الأرض على بعد عشرين قدمًا تقريبًا، متكئًا على الجدار. دمدم نيوت عندما انضم توماس إليه:
- لا تقل أي كلمة.

فكر توماس مع نفسه: «بداية رائعة!».

- اسمع، ثمة أمر غريب يجري، إما أن وكِد تختبرنا، وإما أن بين ظهرانينا نزقین يقتلون الناس يمينًا وشمالًا، ومهما يكُن الأمر، علينا أن نعثر على أصدقائنا، ونغادر هذا المكان.

أجاب نيوت:

- أعرف.

ولم يعقب.

- إذن قُم وعُد إلى الغرفة لمساعدتنا، أنت الذي كنت محببًا، وتتصرف كأننا ليس لدينا وقت نضيعه في العبث، والآن تريد الجلوس بالخارج هنا في الصالة زامًا شفتيك؟!

- أعرف!

الرد نفسه.

لم يرَ توماس نيوت بهذه الحالة مطلقًا، بدا الشاب فاقداً كل أمل، وغمر منظره توماس بموجة من اليأس.

- جميعنا نفقد صوا...

أمسك لسانه، ما كان ليتخيل أن يقول شيئًا أسوأ.

- أقصد...

قال نيوت:

- اخرس فحسب، أعرف أن شيئًا قد بدأ في رأسي، لا أشعر بأنني على ما يرام، لكن ينبغي ألا تنهش نفسك بالقلق، أمهلني لحظة، وسأكون بخير، سنخرجكم من هنا يا رفاق، ثم سوف أتعامل مع الوضع.

- ما الذي تقصده بـ «سنخرجكم يا رفاق»؟

- نخرج أنفسنا، لا يهم، دعني وحدي للحظة فحسب.

بدا كأنهم عاشوا في عالم الجلايد قبل دهور، فهناك لطالما كان نيوت هو الرزين المتمالك نفسه، وهنا الآن يهدد بتشتيت شمل المجموعة، كأنه يقول إنه لا يهم إذا هرب هو نفسه في حال هروب الآخرين جميعهم.
أجاب توماس، وأدرك أن الأمر الوحيد الذي يمكنه فعله هو معاملة نيوت كما يعامله دومًا:

- طيب، لكنك تعرف أننا لا يمكننا إهدار المزيد من الوقت، برندا تجمع الذخيرة، وعليك مساعدتها على حملها إلى حظيرة الطائرات.
هَبْ نيوت واقفًا، وقال:

- سأفعل، لكن أولًا عليّ الذهاب لإحضار شيء، لن أستغرق وقتًا طويلًا.
وسار مبتعدًا عائدًا نحو غرفة الاستقبال.
صاح توماس، متسائلًا عما يدبره صديقه:

- نيوت! لا تكن أحمق! علينا أن نتحرك، وعلينا أن نظل معًا.
لكن نيوت واصل المشي، لا يلوي على شيء، وقال:

- اذهب واجمعوا ما عليكم جمعه، لن أستغرق سوى دقيقتين.

هز توماس رأسه، متحسرًا على عجزه عن فعل أو قول أي شيء من شأنه إعادة رفيقه العقلاني الذي كان يعرفه، واستدار عائدًا إلى غرفة الأسلحة.
جمع توماس ومينهو وبرندا كل ما يمكن لثلاثتهم حمله، علّق توماس قاذفتين بكتفيه إضافةً إلى التي يحملها بيديه، وأقحم مسدسين محشوين في جيبيه الأماميين، وعدة أمشاط ذخيرة في جيبيه الخلفيين، وحذا مينهو حذوه، وحملت برندا صندوقًا من الورق المقوى مملوءًا بالقنابل الصغيرة الضاربة للزُرقة، والمزيد من الرصاص، وفوقه قاذفتها.

قال توماس، وهو يشير إلى الصندوق:

- هذا يبدو ثقيلًا، ربما يجـ...

قاطعته برندا:

- بوسعي تدبّر أمري حتى يعود نيوت.

قال مينهو:

- مَنْ يدري ما يعتزم ذلك الشاب فعله؟! لم يتصرف على هذا النحو من قبل قط! لا بد أن الوهج قد بدأ ينهش دماغه!
- سئم توماس من سلوك مينهو الذي يزيد الطين بلة:
- قال إنه سيعود حالاً، واحذر مما تقوله في حضوره، فأخر ما نحتاج إليه هو استفزازه مجدداً.

سألت برندا توماس:

- أتتذكر ما قلته لك في الشاحنة، عندما كنا في مدينة الأرض المحترقة؟ فوجئ توماس بالتغيير المبالغت في مجرى النقاش، وازدادت مفاجأته بذكر الأرض المحترقة، ولم تسترِع انتباهه إلا لحقيقة أنها قد كذبت عليه، فسألها:

- ماذا؟! تقصدين أن بعض الأشياء التي قلّتها حقيقية؟

- كان قد شعر بتقاربهما الشديد في تلك الليلة، وأدرك أنه يأمل أن تجيب بـ «نعم».

- آسفة، لأنني كذبت عليك بشأن وجودي هناك يا توماس، وبشأن ما قلته عن أنني كنت أحس بالوهج يؤثر في عقلي، لكن الباقي كان حقيقياً، أقسم لك. (أطرقت قليلاً، ناظرةً إليه، وعيناها تقطران رجاءً، وأردفت) على أي حال، تحدثنا عن كيف أن زيادة مستويات نشاط الدماغ تسرّع من وتيرة الضرر، يسمى التدمير المعرفي، ولهذا يشيع تناول ذلك الدواء (النعيم) بين الذين يمكنهم تحمّل تكلفته، فالنعيم يبطل وظائف الدماغ، ويطيل الزمن قبل بلوغ طور الجنون، لكنه باهظ الثمن.

- فكرة وجود أناس في العالم ليسوا جزءاً من تجربة، أو يختبئون في مبانٍ مهجورة، كما رأى في الأرض المحترقة؛ بدت لتوماس غير واقعية.

- هل لا يزال بإمكان الناس تأدية وظائفهم (يعيشون حياتهم، ويذهبون لأعمالهم) أيّاً كانت، وهم تحت تأثير الدواء؟

- يمكنهم فعل ما يريدون فعله، لكنهم أكثر استرخاءً حيال كل شيء، مثلاً: قد يحاول رجل إطفاء إنقاذ ثلاثين طفلاً من نيران تتلظى، لكنه لن يقلق أو ينزعج إذا حدث أن أسقط بضعة أطفال في السنة اللهب في أثناء عمله.

ارتعب توماس من فكرة وجود مثل هذا العالم:

- هذا... عَته!

تمتم مينهو:

- عليّ أن أحصل على شيء من ذلك الدواء.

قالت برندا:

- لم تدركا مقصدي، فكرا بالجحيم الذي عاشه نيوت، وكل القرارات التي تعيّن عليه اتخاذها، لا عجب أن الوهج يتحرك سريعًا بداخله؛ اضطرر دماغه بطوفان من المحفزات، أكثر بكثير من المحفزات التي يتعرض لها الشخص العاديّ في حياته اليومية.

تنهد توماس، وعاد الحزن الذي أحس به سابقًا ليعتصر قلبه مجددًا:

- طيب، ما من شيء يمكننا فعله حيال الأمر حتى نبلغ مكانًا آمنًا.

- حيال ماذا؟

التفت توماس، فرأى نيوت عند المدخل مجددًا، ثم أغمض عينيه لوهلة، وتمالك نفسه قائلاً:

- لا شيء، لا تشغل بالك.. أين ذهبت؟

- أريد التحدث معك يا تومي على انفراد، لن أستغرق أكثر من بضع ثوانٍ. سأله مينهو:

- ما هذا الهراء؟!

- اعذرني قليلًا، أريد أن أعطي شيئًا لتومي هنا، تومي، ولا أحد سواه.

عدّل مينهو أربطة قاذفته على كتفيه قائلاً:

- لا يهم، تفضّل، لكن علينا أن نسرع.

خطا توماس إلى الصالة مع نيوت، خائفًا أيما خوف من مدى جنون ما قد يقوله صديقه.. والثواني تمضي. سارا لبضع أقدام من الباب قبل أن يتوقف نيوت، ويواجهه، ثم ناوله ظرفًا صغيرًا مغلقًا، وقال:

- اقحم هذا في جيبك.

- ما هذا؟

أخذه توماس وقلبه، فلم يَكُن مكتوبًا عليه شيء من الخارج.

- ضع الشيء اللعين في جيبك فحسب!

صدع توماس بما أمر به مشوشًا، وقد اعتراه الفضول. وفرقع نيوت أصابعه قائلًا:

- الآن انظر إلى عيني.

انقبضت معدة توماس لما رآه فيهما من التبايع:

- ما الأمر؟!

- لست بحاجة إلى أن تعرف الآن.. يجب ألا تعرف، لكن عليك أن تقطع لي عهدًا... أنا لا أعبت معك!

- ماذا؟!

- أقسم لي إنك لن تقرأ ما بداخل هذا الظرف اللعين حتى يحين الوقت المناسب.

لم يستطع توماس أن يتخيل انتظاره ليقراه، وبدأ يجذب الظرف من جيبه، لكن نيوت أمسك ذراعه ليووقفه.

سأله توماس:

- متى الوقت المناسب؟ كيف لي أن...؟

أجاب نيوت قبل أن يتمكن توماس من سؤاله، وبدأ أن جسد الفتى بكامله يرتعش مع كل كلمة:

- سوف تعرف! والآن أقسم لي، أقسم!

بلغ قلق توماس على صديقه مبلغًا عظيمًا عندئذ:

- طيب! أقسم إنني لن أقرأه حتى يحين الوقت المناسب. أقسم، لكن لمانا...؟

قاطعته نيوت:

- حسنًا إذن، إذا نكثت بعهدك، فلن أسامحك أبدًا.

رغب توماس في أن ينقض على صديقه ويهزه، وأن يلکم الجدار ليفرغ إحباطه، لكنه لم يفعل، وقف دون حراك، ونيوت يستدير مبتعدًا عنه عائذًا نحو غرفة الأسلحة.

الفصل السادس عشر

تعيّن على توماس أن يثق بنيوت، وكان عليه أن يؤدي هذه الخدمة لصديقه، لكنه اصطلى بنار الفضول التي تستعر بداخله، بيد أنه كان يعلم أن الوقت يضيق خناقه عليهم، ويجب أن يُخرجوا الجميع من مجمع مباني وكِد، يمكنه خوض مزيد من النقاش مع نيوت على متن البيرج.. إذا تمكنوا من بلوغ حظيرة الطائرات وإقناع خورخي بمساعدتهم.

عاد نيوت خارجًا من غرفة الأسلحة، حاملاً صندوق الذخيرة بنفسه، وفي أعقابه مينهو، ثم برندا، يحملان زوجين من القاذفات مع مسدساتهما الممّحمة في جيوبهما.

قال توماس:

- فلنذهب ونعثر على أصدقائنا.

ثم سار سالكا الطريق التي جاؤوا منها، ولحق به الآخرون تباعا. بحثوا مدة ساعة، لكن بدا أن أصدقاءهم اختفوا، ولم يجدوا أثرا للرجل الجرد والحراس حيث تركوهم، ووجدوا الكافيتريا والمهاجع والحمامات وغرف الاجتماعات كلها خاوية على عروشها، لم يقع بصرهم على أي شخص أو نزق، وارتعب توماس لفكرة وقوع خطبٍ جلل، وأن عليهم أن يواجهوا العواقب. وأخيرا، بعدما بدا لهم أنهم قد بحثوا في كل ركن وشق من المبنى، خطر لتوماس شيء، فسأل:

- هل كان مسموحًا لكم -يا رفاق- بالتجول في أرجاء المكان عندما كنتُ محبوسًا في الغرفة البيضاء؟ أمتأكدون أننا لم نفوت مكانًا؟

أجاب مينهو:

- ليس على حد علمي، لكن سأُصدم في حال عدم وجود بعض الغرف الخفية.

اتفق توماس معه، لكنه رأى عدم قدرتهم على تحمّل إنفاق المزيد من الوقت في البحث، فكان خيارهم الوحيد هو المضي قدمًا، فأوماً قائلًا:

- حسنًا، لنتخذ طُرقًا متعرجة إلى حظيرة الطائرات، وتابعوا البحث عنهم في أثناء سيرنا.

كانوا قد ظلوا يسيرون مدة من الزمن عندما تسمّر مينهو في مكانه فجأةً، مشيرًا إلى أذنه، وكانت الرؤية الواضحة متعذرة، لأن الرواق لم يكن مضاءً إلا بمصابيح الطوارئ الحمراء الخافتة. توقف توماس مع الآخرين، محاولًا الإصغاء، وإبطاء تنفسه، وسمّعه على الفور؛ صوت أنين خافت، بعث رعشة في بدن توماس، قادم من على بُعد بضع ياردات أمامهم عبر إحدى النوافذ النادرة في الرواق التي تطل على غرفة شاسعة، ومن حيث يقف توماس بدت الغرفة غارقة في ظلام دامس، وقد تهشم زجاج النافذة من الداخل، وتناثرت شظاياها على الأرض أسفلها.

انبعث الأنين مجددًا. وضع مينهو إصبعًا على شفتيه، ثم أنزل ببطء وحذر قاذفتيه الإضافيتين، فحذا توماس وبرندا حذوه، ووضع نيوت صندوق الذخيرة على الأرض، ثم أمسك أربعتهم أسلحتهم، وتقدّمهم مينهو، وهم يزحفون ببطء نحو مصدر الصوت، الذي بدا كصوت رجل يحاول الاستيقاظ من كابوس فظيع. تصاعد توجس توماس مع كل خطوة، خائفًا مما هو مقبل على اكتشافه. توقف مينهو، وظهره ملتصق بالجدار عند حافة إطار النافذة، وكان باب الغرفة على الجانب الآخر من النافذة، مغلقًا.

همس مينهو:

- استعداد.. الآن.

استدار على عقبيه، وصوب قاذفته إلى ظلام الغرفة، وفي الوقت نفسه تحرك توماس إلى يساره، وبرندا إلى يمينه، شاهرين أسلحتهم، وتولى نيوت حماية ظهورهم. اقتربت إصبع توماس من الزناد، مستعدًا للضغط عليه في أي لحظة، لكن لم تكن هناك حركة في الغرفة، فاحتار فيما كان يراه داخل الغرفة، التي لم يكشف ضوء مصابيح الطوارئ عن الكثير فيها، لكن بدا أن الأرضية

بأكملها مغطاة بأكوام داكنة، أشياء تتحرك ببطء، ثم تكيفت عيناه تدريجيًا، وبدأ يستبين هيئات الأجساد والملابس السوداء، ووقع بصره على حبال.

شق صوت برندا جدار الصمت:

- إنهم حراس!

صدرت شهقات مكتومة من الغرفة، وأخيرًا تمكن توماس من رؤية عدة وجوه، وأفواه مكمّمة، وأعين مذعورة ومفتوحة على اتساعها. كان الحراس مقيدين ومطروحين على الأرضية، جنبًا إلى جنب، ويملؤون الغرفة بأكملها، بعضهم ساكن، لكن معظمهم يجاهدون للإفلات من قيودهم. فوجد توماس نفسه يحدق، وعقله يبحث عن تفسير.

تنفس مینهو الصُعداء:

- جميعهم هنا إذن.

مال نيوت إلى الأمام ليلقي نظرة:

- على الأقل ليسوا مشنوقين من السقف اللعين، وألسنتهم متدلّية كما في المرة السابقة.

وافقه توماس الرأي تمام الموافقة، إذ كان يتذكر ذلك المشهد بكل جلاء، سواء كان حقيقيًا أم مزيّفًا.

قالت برندا، وهي تتجه نحو الباب:

- علينا أن نسألهم، ونعرف ما حدث.

أمسك توماس بها قبل أن يتسنى له الوقت للتفكير:

- لا.

- ما الذي تعنيه بـ «لا»؟ لم لا؟! يمكنهم إخبارنا بكل شيء!

أفلتت ذراعها من قبضته، لكنها انتظرت لسماع ما سيقوله:

- ربما يكون فخًا، أو أيًا كان الذي فعل هذا قد يعود قريبًا، ما علينا سوى مغادرة هذا المكان فحسب.

قال مینهو:

- أجل، هذا ليس مطروحًا للمناظرة، لا أكثرث إذا كان النزقون أو المتمردون أو الغوريلات هم الذين يتراكمون في أرجاء هذا المكان. هؤلاء الحراس الخُرق ليسوا مثار قلقنا الآن!

هزت برندا كتفيها:

- حسنًا.. رأيت أن بإمكاننا معرفة بعض المعلومات فحسب.
- صمتت، ثم أشارت قائلة:
- حظيرة الطائرات في هذا الاتجاه.

جمع توماس ورفاقه أسلحتهم وذخيرتهم، وركضوا عبر رواق تلو رواق، محاذرين الاصطدام بمن قهر جميع أولئك الحراس، وتوقفت برندا أخيرًا عند باب مزدوج آخر، أحدهما موارب قليلًا، فهبَّ عبره نسيم داعب ملابسها. اتخذ مينهو ونيوت موضعيهما على جانبي الباب، دون كلام، وجها قاذفتيهما، وأمسكت برندا بمقبض الباب، وهي تصوب مسدسًا إلى فتحته، ولم تكن هناك أصوات قادمة من الجانب الآخر. أحكم توماس قبضته على قاذفته، مسندًا عقبها إلى كتفه، وفوهتها مصوبة للأمام، ثم قال، وقلبه يخفق بشدة:

- افتحيه.

دفعت برندا الباب حتى نهايته، فهرع توماس عبره، وأرجح قاذفته يمينًا ويسارًا، وتقدّم دائرًا حول نفسه. بدت حظيرة الطائرات الضخمة كأنها سُيدت لتأوي ثلاثًا من سفن البيرج العملاقة، لكن لم توجد سوى اثنتين في موضعي شحنهما، ولاحت هبئتهما التي تبعث على الرهبة كأنهما ضفدعان هائلان، معدنهما مسفوع، وحوافهما مهترئة، كأنهما حلقتا بالجنود إلى مئات المعارك الجحيمية. وعدا بضعة صناديق شحنات، وما بدا كورش ميكانيكيين، لم تكن بقية المنطقة سوى مساحة مفتوحة. اندفع توماس باحثًا في أرجاء الحظيرة، وانتشر الثلاثة الآخرون حوله.. كل شيء ساكن سكوتًا تامًا.

هتف مينهو:

- مهلاً! هنا.. ثمة شخص في...

لم يمهله كلامه، لكنه توقف جوار صندوق ضخم مصويًا سلاحه نحوه. كان توماس أول الواصلين إلى جوار مينهو، وفوجئ برؤية رجل يرقد متخفيًا عن الأنظار على الجانب الآخر من الصندوق الخشبي، ويدلُّك رأسه متأوِّهاً، لم يظهر أثر لدم من خلال شعره الداكن، لكن بالنظر إلى معاناته في سبيل الجلوس منتصبًا، عرف توماس يقينًا أنه ضُرب ضربًا مبرحًا.

حذره مينهو:

- حذار يا صاح! بهدوء وروية، لا تأتِ بأي حركة مفاجئة، وإلا فستفوح منك رائحة لحم الخنزير المحروق قبل أن تدرك ما يحدث!

اتكأ الرجل على مرفقه، وعندما أنزل يده عن وجهه، أطلقت برندا صرخة قصيرة، وهرعت نحوه، وعانقته: «خورخي»، أحس توماس بدفقة ارتياح تسري في أوصاله، لقد وجدوا طيارهم، وهو بخير، حتى مع رضوضه الطفيفة. لم يبدُ على برندا أنها تشارك توماس نظرتة، إذ راحت تتفقدُ خورخي بحثًا عن إصابات محتملة، والأسئلة تندفق منها:

- ماذا حدث؟ كيف تأذيت؟ من أخذ البيرج؟ أين الجميع؟

تأوه خورخي مجددًا، ودفعها عنه بلطف قائلًا:

- اهدئي يا أختي، أحس برأسي كأنه دُهِس تحت أقدام نزقين يرقصون، أمهليني لحظة لأستجمع شتات عقلي.

أفسحت برندا له مجالًا وقعدت، محمّرة الوجه، وتعايرها تنم عن التوتر، وراودت توماس ملايين الأسئلة أيضًا، لكنه كان يعرف إحساس خبطة الرأس تمام المعرفة، فشاهد خورخي، وهو يستعيد تركيزه ببطء، وتذكر مدى خوفه من هذا الشاب ذات يوم، ومدى ارتعابه منه، إذ إن صور عراك خورخي ومينهو في ذلك المبنى المتضعض في الأرض المحترقة لن تبارح مخيلته أبدًا، لكن في نهاية المطاف، أدرك خورخي، مثلما أدركت برندا، أنه يشارك أفراد الجلايد الخندق نفسه.

أغمض خورخي عينيه بشدة، وفتحهما بضع مرات، ثم شرع في الحديث:

- لا أدري كيف فعلوها! لكنهم بسطوا سيطرتهم على المجمع، وتخلصوا من الحراس، وسرقوا سفينة بيرج، وحلّقوا مغادرين هذا المكان مع طيار آخر، وقد كنت أحرق، وحاولت حملهم على الانتظار حتى أعرف المزيد عما يحدث، والآن يدفع رأسي ثمن حماقتي!

سألته برندا:

- مَنْ؟ من الذين تتحدث عنهم؟ من الذين غادروا؟

لسببٍ ما نظر خورخي إلى توماس، ثم أجاب:

- تلك الفتاة تيريسا، هي وبقية مواضيع الدراسة، أو جميعهم.. ما عداكم يا شباب.

الفصل السابع عشر

ترنح توماس خطوة أو خطوتين إلى يساره، وتمالك نفسه متشبهاً بصندوق ثقيل. كان قد ظل يفكر باحتمال هجوم النزقين، أو اختراق مجموعة أخرى لوكد واصطحابهم، أو حتى إنقاذهم لتيريسا والآخرين، لكن تيريسا هي التي قادت الهروب؟ شقوا طريقهم خارجين بالقتال، وأخضعوا الحراس، وحلّقوا بسفينة بيرج؟ دونه والآخرين؟ ثمة عناصر كثيرة في هذا السيناريو، لكن أيّاً منها لم يبدو له مترابطاً أو منطقيّاً.

زعم خورخي في خضم جلبة الأسئلة المنهمرة عليه من مينهو ونيوت، فأجفل توماس عائداً من شروده:

- احرصوا! إنكم تثقون رأسي.. كّفوا عن الحديث دقيقة، فليساعدني أحدكم على النهوض!

أمسك نيوت بيد الرجل، وجذبه ليقف على قدميه قائلاً:

- من الأفضل لك أن تبدأ بشرح ما حدث من البداية.

أردف مينهو:

- وبسرعة.

اتكأ خورخي على الصندوق الخشبيّ، وعقد ذراعيه، وهو لا يزال يتألم مع كل حركة:

- اسمع يا رجل، أخبرتك للتو أنني لا أعرف الكثير، ما قلت إنه حدث هو ما حدث.. أحس برأسي كأنه...

انفجر مينهو:

- أجل، أجل، فهمنا، لديك صداع!.. أخبرنا بما تعرفه فحسب، وسأجد لك أسبريناً لعيناً!

أطلق خورخي ضحكة قصيرة:

- كلمات شُجاعة أيها الفتى! إن لم تُخُنِّي الذاكرة، فأنت الذي اعتذرت،
وتوسّلت للإبقاء على حياتك عندما كنا في الأرض المحترقة!
تقلص وجه مينهو، واحمر:

- الشجاعة سهلة عندما تكون في حماية مجموعة من المعتوهين الذين
يحملون السكاكين، الوضع مختلف قليلاً الآن!
قالت برندا لهما:

- هلاً انتهيتما! جميعنا في الجانب نفسه!

قال نيوت:

- قُل وانته من الأمر، تكلم حتى نعرف ما علينا فعله.

كان توماس لا يزال مصدوماً، وظل واقفاً يستمع إلى خورخي ونيوت ومينهو،
لكنه أحس كأنه يشاهد حدثاً على شاشة تلفاز، وليس شيئاً يحدث أمامه. كان
يظن أن لغز تيريسا لا يمكن أن يزداد غموضاً بالنسبة إليه.. والآن هذا.
قال خورخي:

- اسمعوا، كنت أقضي معظم وقتي في هذه الحظيرة، وبدأت أسمع
صيحات، وتحذيرات قادمة من المجمع، ثم بدأت مصابيح الإنذار
الصامت تومض، فذهبت لأتحقق مما يجري، وكدت أفقد رأسي.
تمتم مينهو:

- لما عاد يؤلمك على الأقل!

إما أن خورخي لم يسمع تعليقه وإما أنه تجاهله، لكنه تابع:

- ثم انطفأت الأضواء، وركضت عائداً إلى هنا لأبحث عن مسدسي، وما
أعرفه بعد ذلك هو أن تيريسا وبعض أصدقائها المشاكسين جاؤوا
راكضين إلى هنا، كأنما حلّت نهاية العالم، وهم يجرون توني العجوز
ليحلّق بسفينة بيرج، فألقيت مسدسي الأخرق عندما صوّبت نحو
صدرى سبع أو ثماني قاذفات، ثم توسلت إليهم بأن ينتظروا ويشرحوا
لي الوضع، لكن فتاة شقراء هوت على جبيني بعقب سلاحها، فأغشيت
عليّ، وأفقت على مرأى وجوهكم القميئة، وهي تحرق إليّ، وقد اختفت
ببرج واحدة. هذا كل ما أعرفه.

استوعب توماس كل كلامه، لكنه أدرك عدم أهمية كل التفاصيل، ولم يبرز
له من المسألة برمتها سوى شيء واحد؛ شيء أربكه، وألمته مواجهته.

كاد يهمس:

- تركونا خلفهم، لا أصدق.

سأله مينهو:

- ها؟

وأردف نيوت:

- ارفع صوتك يا تومي.

تبادل توماس مع كليهما نظرات طويلة:

- لقد تركونا، نحن عدنا، وبحثنا عنهم على الأقل، لكنهم تركونا هنا لتفعل
ويكد بنا ما يحلو لها.

لم يجيبا، لكن أعينهما أفصحت عن أن الأمر جال بخاطريهما أيضًا.

قالت برندا:

- ربما بحثوا عنكم، ولم يتمكنوا من العثور عليكم، أو ربما احتدم تبادل
إطلاق النار، واضطروا إلى المغادرة.

سخر مينهو من كلامها قائلاً:

- جميع الحراس مقيدون هناك في الغرفة، فكان أمامهم متسع من الوقت
ليبحثوا عنا. مُحال.. لقد تخلوا عنا.

قال نيوت بصوت خافت:

- عمدًا.

لم يبدُ أيُّ من هذا متسقًا بالنسبة إلى توماس:

- ثمة شيء ليس في محله! كانت تيريسا تتصرف مؤخرًا كأنها كبيرة
معجبات ويكد، فلماذا قد تهرب؟! لا بد أن في الأمر خدعة. هيا يا برندا..
قلت لي ألا أثق بهم، فلا بد أنك تعرفين شيئًا، تكلمي.

هزت برندا رأسها:

- لا أعرف شيئًا عن هذا، لكن لماذا يصعب تصديق أن مواضيع الدارسة
الآخرين يمكن أن تخطر لهم الفكرة نفسها؟ أن يهربوا.. لقد أحسنوا
التنفيذ فحسب.

أصدر مينهو صوتًا أشبه بزمجرة ذئب:

- ليس من المُحبَّذ إهانتنا الآن، وإذا استخدمتِ عبارة «مواضيع دراسة»
مجددًا، فسأصفعك، سواء كنت فتاة أو غير فتاة!
تحذاه خورخي:

- حاول، اصفعها، وستكون صفعتك آخر ما تفعله في حياتك!
أدارت برندا عينيها في محجريها:

- هلاً كففنا عن الألاعيب الرجولية قليلاً؟! علينا أن نقرر ما سنفعله الآن.
عجز توماس عن زحزة ضيقه من أن تيريسا والآخرين حتى السيد
طاسة قد غادروا دونهم، فإذا كانت مجموعته هي التي قيدت جميع الحراس،
أما كانوا ليبحثوا حتى يجدوا بقية أصدقائهم؟ ولماذا رغبت تيريسا في
المغادرة؟ هل أعادت ذكرياتها شيئاً لم تتوقعه؟

أشار نيوت إلى بيرج، وقال:

- ما من قرار علينا أن نتخذه.. سنغادر هذا المكان.

وافقته توماس الرأي، والتفت إلى خورخي:

- هل أنت طيار حقاً؟

ابتسم الرجل ابتسامة واسعة:

- بلا شك أيها الشاب. أحد أفضل الطيارين.

- لماذا أرسلوك إلى الأرض المحترقة إذن؟ أليس من المفترض أن تكون
قيماً؟

نظر خورخي إلى برندا:

- حيثما تذهب برندا، أتبعها، وأكره قول هذا، لكن التوجُّه إلى الأرض
المحترقة بدا لي أفضل من المكوث هنا، اعتبرتُها رحلة، واتضح أنها
شاقة أكثر مما...

دوّت صافرات إنذار، الطنين نفسه كما في السابق، فبلغ قلب توماس
حنجرته، وبدا أن الضجيج أعلى في الحظيرة مقارنةً بالصالة، مرتدًا عن
الجدران والسقف العاليتين. حملت برندا إلى الباب الذي جاؤوا منه، والتفت
توماس ليرى ما استرعى انتباهها؛ رأى اثني عشر على الأقل من الحراس
المُتلفعين بالسواد يتدفقون عبر الباب، شاهرين أسلحتهم، وبدؤوا بإطلاق
النار.

الفصل الثامن عشر

أمسك شخص بقميص توماس من الخلف، وجذبه بشدة إلى اليسار، فتعثر وسقط خلف صندوق الشحن في نفس اللحظة التي ضجت فيها الحظيرة بأصوات تهشُم الزجاج وقرقعة الكهرباء، وتعرجت عدة خيوط برق حول الصندوق وفوقه، سافعةً الهواء، وما كادوا يختلسون نظرة حتى انهمرت زخة رصاص على الخشب.

صاح مينهو:

- من أطلق سراحهم؟!

صاح نيوت مجيبًا:

- لا أظن أن هذا يهم الآن!

انكمشت المجموعة للأسفل، متلاصقة أجسادهم، وبدا من المستحيل أن يقوموا من هذه الوضعية.

صاح خورخي:

- سيطوقوننا في أي لحظة! علينا أن نبادلهم إطلاق النار!

انتبه توماس إلى فحوى كلامه رغم الهجوم الضاري الذي يحاصرهم، وقال له:

- أنت معنا إذن؟

نظر الطيار إلى برندا، وقال:

- بما أنها تساعدكم، فسأساعدكم أيضًا. وفي حال لم تلاحظ، إنهم يحاولون قتلي أيضًا!

غمرت توماس موجة ارتياح في خضم رعبه، الآن ما عليهم سوى ركوب إحدى سفينتي البيرج.

توقف الهجوم الشرس برهة، فسمع توماس وقّع أقدام وزمجرة بأوامر،
وتعَيَّن عليهم أن يتصرفوا بسرعة لكسب أفضلية ما. وجّه سؤاله لمينهو:
- ما العمل؟ أنت المسؤول هذه المرة.

رمقه صديقه بنظرة حادة، لكنه أوماً إيماءة مقتضبة قائلاً:

- حسنًا، سأطلق النار من اليمين، ونيوت من اليسار، برندا وتوماس..
أطلقًا من فوق الصندوق، خورخي.. استكشف لنا مسارًا إلى سفينتك
الخرقاء. أطلقوا النار على كل شيء يتحرك، أو يرتدي الأسود.. استعدوا.
جثا توماس مواجهًا الصندوق، متأهبًا للقفز على قدميه عند إشارة مينهو،
برندا إلى جواره، تمسك مسدسين بدلًا من القاذفة، وعيناها تقدحان شرًا.
سألها توماس:

- أتخططين لقتل شخصٍ ما؟

- لا، سأصوب نحو سيقانهم، لكن لا ندرى على وجه التأكيد، ربما
سأصوب للأعلى بالخطأ.

وغمرته بابتسامة، فزاد توماس إعجابًا بها.

صاح مينهو:

- حسنًا! الآن!

تحركوا.. نهض توماس رافعًا قاذفته فوق الصندوق، وضغط الزناد دون
أن يلقي نظرة جيدة، وحالما سمع صوت القنبلة قبل أن تنطلق من القاذفة
أطلق سهام عينيه بحثًا عن هدف محدد، وكان ثمة رجل يتحرك نحوهم ببطء
من الجانب الآخر من المكان، فصوب توماس نحوه، وأطلق.. انفجرت القنبلة
الصغيرة بخيوط الكهرباء حالما ارتطمت بصدر الرجل، فألقته على الأرض
متسجًا. امتلأ هواء حظيرة الطائرات بأصوات الطلقات والصيحات، إلى
جانب قرعة الكهرباء، تساقط الحارس تلو الحارس، ممسكين بجراحهم،
التي معظمها في سيقانهم، كما وعدت برندا، وآخرون لاذوا بالفرار.

صرخ مينهو:

- جعلناهم يهربون! لكن لن يدوم الأمر طويلًا.. على الأرجح لم يكونوا
يعرفون أننا لدينا أسلحة. خورخي، أيُّ بيرج لك؟

أشار خورخي نحو أقصى الركن الأيسر من الحظيرة:

- تلك.. تلك هي صغيرتي، لن يستغرق تجهيزها للطيران وقتاً طويلاً.
التفت توماس إلى حيث أشار خورخي، فرأى كوة البيرج الضخمة -التي تذكرها عند هروب المجموعة من الأرض المحترقة- مفتوحة ومتكئة على الأرض بانتظار الركاب ليركبوا ركضاً على منحدرها المعدني، لم يبدو له شيئاً مغريباً بهذا القدر من قبل قط.

أطلق مینهو قنبلة أخرى، وقال:

- حسناً، أولاً أعيدوا التقييم، ثم سأجري التغطية مع نيوت في أثناء ركض توماس وخورخي وبرندا إلى البيرج. خورخي.. شغل المحركات بينما يغطينا توماس وبرندا من خلف الكوة. أتبدو هذه خطة جيدة؟
سأل توماس:

- هل تستطيع القاذفات إلحاق ضرر بالبيرج؟

وكان الجميع مشغولين بإقحام المزيد من الذخيرة في أسلحتهم وجيوبهم.
هز خورخي رأسه:

- ليس كثيرًا، هذه الوحوش أقوى من جمال الأرض المحترقة، وإذا أخطؤونا وأصابوا سفينتي، فهذا أفضل. هيا يارفاق!
- إذن اذهبوا.. هيا هيا!

صاح مینهو دون سابق إنذار، وبدأ هو ونيوت إطلاق قنابلهما كالمجانين، وأمطرا المنطقة المفتوحة أمام البيرج التي تنتظرهم بوابل منها. أحس توماس بدفقة أدرينالين عارمة، واتخذ مع برندا موضعيهما إلى يسار ويمين خورخي، وركضوا بسرعة بعيدًا عن حماية صندوق الشحن، وامتلأ الهواء بجلبة إطلاق النار والكهرباء والدخان، بحيث استحال التصويب على أي أحد، وكان توماس، مثل برندا؛ يطلق سلاحه بقدر مستطاعه في أثناء ركضه، أقسم إنه كان يحس بالرصاصات، وهي تؤز جواره، وتخطئه بالكاد، وكانت قنابل القاذفات تنفجر بالأضواء الساطعة، وأصوات تهشم الزجاج في كل مكان حولهم.

صاح خورخي:

زاد توماس من سرعته وساقاه تؤلمانه، وانطلقت خناجر خيوط الكهرباء من كل الاتجاهات، وارتد أزيز الرصاصات من جدران الحظيرة المعدنية، وانتشرت دوامات الدخان، مثل: غلالات الضباب في الأماكن الغرائبية، فقامت المشاهد حول توماس، وهو يركز بصره على البيرج، التي لم يعد يفصلهم عنها سوى بضع عشرات من الأقدام. كانوا على وشك الوصول إليها عندما ارتطمت قنبلة قاذفة بظهر برندا، فصرخت وسقطت، وارتطم وجهها بالأرضية الخرسانية، وتسربل جسدها بشبكة من خيوط الكهرباء.

توقف توماس وقد احتكت قدماه بالأرض، وصاح باسمها، ثم انخفض على الأرض، كي لا يجعل من نفسه هدفًا بارزًا، تلوّت حول جسد برندا محاليق الكهرباء الشبيهة بالبرق، ثم خفتت، وصارت ذوائب دخانية زاحفة على الأرض، انبطح توماس على بطنه على بُعد عدة أقدام، وهو يحاول تفادي شرائط النار التي لا تهدأ في أثناء بحثه عن طريقة ليقترّب منها.

كان من الواضح أن نيوت ومينهو قد رأيا التحول الكارثي في الأحداث، وتخليا عن الخطة، فركضا نحوهما، وهما يواصلان إطلاق النار. نجح خورخي في الوصول إلى البيرج، واختفى في الكوة، لكنه عاد خارجًا، وهو يحمل قاذفة من نوع مختلف، تنفجر قنابلها مطلقة جمًا من النيران المستعرة عندما تصطدم بالهدف، صرخ عدة حراس، وقد علق بهم أسنة اللهب، وتراجع الآخرون قليلًا بسبب التهديد الجديد.

اجتاح القلق توماس، وهو ينتظر منبطحًا جوار برندا، وراح يلعن عجزه عن المساعدة، إذ كان يعرف أنه عليه الانتظار ريثما تهمد الكهرباء قبل أن يتمكن من الإمساك بها، وسحبها إلى البيرج، لكنه لم يكُن واثقًا من أن أمامه متسعًا من الوقت. ابيضّ وجه برندا ابيضاضًا تامًا، وتقطر الدم من أنفها، وسال لعابها من فمها، وتشنجت أطرافها، وبدا جذعها كأنه ينتفض في مكانه، وعيناها مفتوحتان على اتساعهما، ومجمدتان بالصدمة والرعب.

وصل نيوت ومينهو إليه، وانخفضا على الأرض.

صاح توماس:

- لا! تابعا الركض إلى البيرج، احتميا خلف الكوة، وانتظرا حتى نبدأ التحرك، ثم أجريا تغطيتنا، وأطلقا النار بجنون حتى نصل.

صاح مينهو به أيضًا:

- هيا! دعنا من هذا!

وأمسك بكتفي برندا، فحبس توماس أنفاسه مع جفول صديقه، إذ تسارعت عدة خيوط كهرباء على ذراعه، لكن الطاقة كانت قد ضعفت كثيرًا، وتمكن مينهو من الوقوف جاذبًا برندا خلفه. شبك توماس ذراعه تحت كتف برندا، ورفع نيوت ساقيهما، وتراجعا نحو البيرج، صارت حظيرة الطائرات عالمًا من الضجيج والدخان والأضواء المومضة، خدشت رصاصة ساق توماس، فانبعثت منها موجة ألم حادة، ثم نضحت دمًا، نجته بوصة من العرج مدى الحياة، أو النزف حتى الموت، وأطلق صرخة غاضبة، وتخيل الجميع يرتدون الأسود كالذي أصابه. اختلس نظرة نحو مينهو، فكان وجه الفتى تعثره تعابير الجهد الذي يبذله في سحب برندا. سخر توماس دفقة الأدرينالين الغاضبة، وقرر المخاطرة، فرفع قاذفته من تحته بيد واحدة، وأطلقها في اتجاهات عشوائية مستخدمًا يده الأخرى ليساعد على سحب برندا على الأرض. بلغوا أسفل كوة البيرج، فألقى خورخي سلاحه الضخم على الفور، وانزلق على المنحدر ليمسك إحدى ذراعي برندا، وأفلت توماس قميصها، وترك مينهو وخورخي يجذبانها إلى السفينة بالخطوط البارزة على المنحدر التي تمنع الانزلاق. بدأ نيوت يطلق سلاحه مجددًا، قاذفًا القنابل يمينًا ويسارًا حتى نفذت ذخيرته، وأطلق توماس مرة أخرى، وفرغت قاذفته أيضًا. كان من الواضح أن الحراس الذين في الحظيرة قد أدركوا أن وقتهم يكاد ينفد، فاندفعت مجموعة منهم نحو السفينة، وفتحوا النار مجددًا.

صاح توماس:

- انس إعادة التلقيم! لنذهب!

استدار نيوت، واندفع وجلاً إلى أعلى المنحدر، وتوماس في أعقابيه، وكان قد اجتاز عتبة الكوة بالكاد عندما ارتطم شيء بظهره. وفي لحظة أحس بالقوة الحارقة لألف صاعقة تضربه دفعة واحدة، فسقط للخلف، وتهاوى رأسًا على عقب حتى استقر على أرض الحظيرة، وجسده يرتعش.. وغام بصره.

الفصل التاسع عشر

كانت عينا توماس مفتوحتين، لكنه غير قادر على رؤية أي شيء. لا، ليس هذا ما كان عليه الوضع، تراقصت خطوطاً من الأضواء الساطعة في مجال بصره، فجعلته أعمى؛ لم يكن قادراً على أن يرمش بعينه، ويغمض جفنيه ليحجب الضوء، سرى الألم في جسده، وأحس بجلده يذوب فوق عضلاته وعظامه، حاول أن يصرخ، لكن بدا كأنه فقد سيطرته على وظائف جسده. ظلت ذراعه وجذعه وساقاه يرتجفون مهما يبذل من جهد لإيقافها. امتلأت أذناه بقعقة الكهرباء وأزيزها، لكن سرعان ما حلّ محلها ضجيج آخر؛ طنينٌ نابض عميق يضرب أذنيه، ويخشخش في رأسه. كان يتمسك بأهداب وعيه بالكاد، وأحس بنفسه ينزلق داخلاً وخارجاً من لُجّة تريد ابتلاعه، لكن شيئاً في أعماقه ميز هذا الصوت. دارت محركات البيرج، وتوهجت منظومة الدفع الصاروخية بلهبها الأزرق.

ظن على الفور أنهم يتركونه؛ أولاً تيريسا والآخرين، والآن أعز أصدقائه وخورخي. لم يعد قادراً على تحمّل المزيد من الخيانات، إنها تؤلم ألماً ممضاً، أراد أن يصرخ، وإبر الألم تخز كل بوصة من جسده، ودوّخته رائحة الاحتراق. كلا، ما كانوا ليتركوه خلفهم.. كان يعرف هذا في قرارة نفسه. بدأت رؤيته تتضح تدريجياً، وانخفضت موجات الحرارة في جِدتها، ومرات مداهمتها. رمش، ورأى هينتين، ثم ثلاثاً، ترتدي الأسود واقفة فوقه، مصوّبة أسلحة إلى وجهه.. الحراس! هل سيقتلونه، أم سيجرّونه صاغراً إلى الرجل الجرد ليُجري عليه المزيد من الاختبارات؟ تكلم أحدهما، لكن توماس لم يستطع سماع الكلمات، إذ كان أزيز الكهرباء لا يزال يطن في أذنيه.

اختفى الحراس على حين فجأة، أبعدوا -على ما يبدو- بإصبعين تحومان في الهواء. أصدقاؤه، لا بد أنهم أصدقاؤه، رأى توماس من خلال غلالة الدخان

سقف الحظيرة بعيدًا فوقه، تلاشى الألم تقريبًا، وحلَّ محله خَدْر جعله يتساءل عما إذا كان بإمكانه التحرك، تلملم إلى يمينه، ثم تدرج إلى يساره، ثم رفع نفسه متكئًا على مرفق واهن متضعض، وانسربت آخر خيوط الكهرباء من جسده، وتلاشت في الأرض الخرسانية، وكان يأمل أن يكون الأسوأ قد انتهى. تلملم مجددًا، ونظر إلى الخلف فوق كتفه، فرأى كلاً من مينهو ونيوت يعتلي حارسًا، وينهال عليه بضرب مبرح، وخورخي يقف بين فردي الجلاید فاتحًا قاذفته النارية على جميع الاتجاهات، لا بد أن معظم الحراس قد استسلموا أو أُصيبوا، وإلا لما بلغ توماس والآخرين هذا الحد، أو أن الحراس -جال بخاطر توماس- كانوا يتظاهرون.. يقدمون عرضًا تمثيليًا، مثل جميع الآخرين في هذه التجارب.

لم يكثرث، ولم يرغب سوى في مغادرة هذا المكان، وكان الهروب مائلًا أمامه. انقلب على بطنه متأوهًا، ثم دفع نفسه ليستند على يديه وركبتيه. تشبَّع الهواء حوله بأصوات تهشُّم الزجاج وقرقعة الكهرباء، ودوي الأسلحة ورنين الرصاصات التي تصطدم بالمعدن. إذا أصابه أحدهم الآن، فما من شيء يمكنه فعله حيال هذا، لم يقوَ سوى على جر نفسه نحو البيرج، وكانت منظومة دفع السفينة تهدر وترتج بكاملها، لترج الأرض تحته أيضًا، لم تكن الكوة سوى على بُعد بضع أقدام.. كان عليهم الصعود على متن السفينة.

حاول أن يصيح بكلام إلى مينهو والآخرين، لكن لم يند عنه سوى تأوُّه متحشرج، فبدأ يزحف على يديه وركبتيه مثل كلب مصاب، نحو الأمام بأقصى سرعة يسمح بها جسده، وتعيَّن عليه اعتصار كل مثقال ذرة من قوة كامنة فيه، بلغ شفة المنحدر، ورفع نفسه فوقها، ثم تابع زحفه السلحفائي، أخذت عضلاته تنبض بالألم، وأنشب الغثيان مخالبه في معدته، وهوت مطارق جلبة المعركة على أذنيه، فشدت أعصابه، وتوقع أن يصيبه أي شيء في أي لحظة. قطع نصف المسافة، والتفت لينظر إلى أصدقائه، فرآهم يتقهقرون نحوه، وثلاثتهم يطلقون النار، اضطر مينهو إلى التوقف، وإعادة التلقيم، وأيقن توماس أنه سيتعرض لرصاصة، أو انفجار قنبلة، لكن صديقه استأنف إطلاق النار، بلغ الثلاثة أسفل الكوة، اقتربوا الآن. حاول توماس أن يتكلم مجددًا، والآن أصدر صوتًا مثل كلب مصاب.

زَعَقُ خورخي:

- فاض الكيل! أمسِكْ بمؤخرته، واسحبه إلى الداخل!

ركض خورخي أعلى المنحدر متجاوزًا توماس، واختفى بالداخل، أصدر شيء صوت طقطقة عاليًا، ثم بدأ المنحدر يتأرجح للأعلى، ومفاصله تثن، وأدرك توماس أنه تهالك، ورأسه مستند إلى الخطوط البارزة التي تمنع الانزلاق تحته، رغم أنه لم يستطع تذكر وقت تهالكه. أحس بأيدي تجذب قميصه، وأحس بنفسه يُرفع في الهواء، ثم هوى للأسفل إلى الداخل قليلًا من الكوة مع انغلاقها، واستحكام أقفالها.

تمتم نيوت في أذنه:

- آسف يا تومي، كان ينبغي أن نترفّق بك قليلًا.

ورغم أن توماس كان على شفير فقدان الوعي، غُمر قلبه بهجة لا توصف؛ كانوا يهربون من وكِد. ندت عنه همهمة واهنة، وهو يحاول أن يشارك أصدقاءه بهجته، ثم أغمض عينيه، وغاب عن الوعي.

الفصل العشرون

استيقظ توماس، فرأى وجه برندا يحدق إليه، بدت قلقة، جلدها شاحب، وعليه آثار الدم الجاف، يعلو جبهتها سخام أسود، وقد تشكلت كدمة على خدها، وكأنما نكّرته جراحها بوخزات آلامه في جسده بأكمله، لم تكُن لديه فكرة عن كيفية عمل قنابل القاذفات، لكنه كان سعيدًا بإصابته بها مرة واحدة فحسب.

قالت برندا:

- أنا نفسي استيقظت للتو، كيف تشعر؟

تحرك توماس ليتكئ على مرفقه، وأجفل من الألم الحاد الذي تفجر من ساقه، حيث خدشته الرصاصة، وقال:

- مثل دلوٍ من الوحل!

كان يتمدد على سرير متنقل منخفض بداخل عنبر شحن، ليس فيه سوى بعض الأثاث غير المتناسق، وكان مينهو ونيوت ينعمان بغفوة مستحقة على أريكتين متهاككتين، تغطي جسديهما ملاءتان حتى ذقنيهما، وتسلس إلى توماس شكُّ بأن برندا هي التي غطتهما، كانا كطفلين صغيرين هائنين ودافئين. كانت برندا جاثية إلى جوار سريره المتنقل، ونهضت عندئذٍ لتقتعد كرسيًا قديمًا ذا ذراعين على بُعد بضع أقدام.

- ظللنا نائمين نحو عشر ساعات.

- حقًا؟

لم يصدق توماس، بدت له غفوة قصيرة غير مقصودة، أو أن العبارة الأدق على الأرجح هي أنه **أغمي عليه**.

أومأت برندا:

- ظللنا في الجو كل هذه المدة؟ إلى أين نحن ذاهبون؟ القمر؟

أنزل توماس قدميه، وجلس على حافة السرير:

- لا، حَلَّق خورخي بنا مسافة مئة ميل تقريبًا، وهبط في مساحة شاسعة خالية، إنه نائم أيضًا، لا يمكن أن يطير بنا طيار مرهق.

فرك توماس وجهه، وأطلق تثاؤبًا طويلًا، ثم تفحص بعض حروق ذراعيه:

- لا أصدق أن كلينا أُصيب بقاذفة، كان يعجبني دور الذي يضغط الزناد. أتعتقدين أنها سوف تُخَلَّف ندوبًا؟

ضحكت برندا:

- أهذا ما يهمك من بين جميع الأمور التي عليك القلق بشأنها؟!

لم يسعه سوى الابتسام، فقد كانت على حق:

- إذن...

استهل كلامه، ثم تابع ببطء:

- بدا الهروب من وِكد فكرة عظيمة عندما كنا هناك، لكن.. لا أعرف حتى كيف هو العالم الحقيقي؟ إنه ليس مثل الأرض المحترقة، صحيح؟

أجابت:

- لا، الأقاليم الواقعة بين المدارين وحدها هي الأراضي القاحلة، وكل مكان آخر يشهد تقلبات طقس متطرفة. هناك بضع مدن آمنة يمكننا الذهاب إليها، ولا سيما لكوننا منيعين يمكننا العثور على وظائف بسهولة.

- وظائف!

كرر توماس الكلمة، كأنها أغرب شيء سمعه قط:

- أتفكرين منذ الآن في الحصول على وظيفة؟

- تنوي أن تأكل، أليس كذلك؟

أطرق توماس، وأحس بوطأة الواقع الثقيلة، إذا رغبوا حقًا في الهروب إلى العالم الواقعي، فعليهم أن يبدؤوا العيش مثل الناس الواقعيين، لكن هل هذا ممكن حتى في عالم يتفشى فيه الوهج؟ وفكر بأصدقائه، وقال:

- تيريسا.

تراجعت برندا قليلاً متفاجئة:

- ماذا عنها؟

- هل من طريقة لمعرفة المكان الذي ذهبت إليه مع الآخرين؟

- عرف خورخي سابقاً.. تفقّد نظام التعقب في البيرج. ذهبوا إلى مدينة اسمها دنفر.

أحس توماس بوخزة إنذار:

- أيعني هذا أن وكّد سيكون بمقدورها العثور علينا؟

قالت، وعلى وجهها ابتسامة شريرة:

- أنت لا تعرف خورخي.. يمكنه التلاعب بالنظام بطرق لن تتخيلها، سنكون قادرين على أن نتقدم عليهم بخطوة مدة من الوقت، على الأقل.
- دنفر.

قال توماس بعد هنيهة، بدا نطق الاسم غريباً على لسانه، وسأل:

- أين هذا المكان؟

- جبال الروكي، منطقة مرتفعة، أحد الخيارات البديهية لبناء منطقة حجر صحيّ، لأن الطقس تحسن سريعاً هناك منذ بدء وهج الشمس، من الوجهات المفضلة لدى الكثيرين.

لم يكثرث توماس كثيراً بشأن الموقع، وكان موقناً أنه عليه العثور على تيريسا والآخرين، وأن يجمع شملهم، لم يَكُن واثقاً بالسبب بعد، وقطعاً لم يَكُن مستعداً لمناقشة الأمر مع برندا، لذا ماطل ليجد الوقت للتفكير.

سألها أخيراً:

- كيف الوضع هناك؟

- مثل معظم المدن الكبيرة؛ لا تأخذهم رافة بشأن عدم إدخال النزّقين، ويخضع السكان لفحص الوهج عشوائياً، وعلى نحو متكرر، وفي الواقع لديهم بلدة أخرى مشيدة على الجانب الآخر من الوادي، حيث يرسلون المصابين حديثاً، وتُدفع للمنيعين أموال طائلة مقابل العناية

بهم، رغم ما ينطوي عليه العمل من خطورة بالغة، والمكانان عليهما
حراسة مشددة.

رغم استعادة توماس لبعض ذكرياته، لم يُكن يعرف الكثير عن فئة
السكان التي لديها مناعة ضد الوهج، بيد أنه تذكر شيئاً أخبره به الرجل
الجرذ:

- قال جانسن إن الناس يمقتون أصحاب المناعة، ويسمونهم المنيعين.
ما الذي قصده بهذا؟

- عندما تصاب بالوهج، توقن أنك سوف تجن وتموت، إنها مسألة وقت
ليس إلا. ورغم الجهد الكبير الذي يبذله العالم، دائماً ما يجد الفيروس
طريقة للتسلل إلى الأماكن المحجورة، فتخيل معرفة هذا، ومن ثم
معرفة أن أصحاب المناعة سيكونون بخير، وأن الوهج لا يمسه بسوء،
حتى إنهم لا ينقلون الفيروس. أما كنتَ لتمتت الأصحّاء؟
- على الأرجح.

قال توماس، وهو سعيد بكونه في صف المنيعين، فمن الأفضل أن يكون
ممقوتاً من أن يكون مريضاً. وسأل:

- لكن أليس في الاحتفاظ بهم قيمة؟ أعني مع معرفة أنهم لا يمكن أن
يصابوا بالمرض؟
هزت برندا كتفيها:

- يُستعان بهم بلا شك، لا سيما في الأدوار الحكومية والأمنية، لكن
الآخرين يعاملونهم معاملة الحثالة، والذين ليس لديهم مناعة أكثر منهم
بكثير، لذا يتقاضى المنيعون أموالاً طائلة مقابل عملهم حراساً، وإلا لما
أدوا العمل. حتى إن كثيرين منهم يحاولون إخفاء مناعتهم، أو يذهبون
إلى العمل لصالح وكِد، مثلما فعلنا أنا وخورخي.

- إذن تقابلتما قبل انضمامكما إلى وكِد؟
- التقينا في ألاسكا، بعدما اكتشفنا أننا منيعان، فهناك مكان تجمّع لمن
هم أمثالنا؛ معسكر خفيّ من نوع ما، وصار خورخي مثل عم بالنسبة

إليّ، وتعهد بحمايتي، وكان أبي قد قُتِلَ قبل ذلك، وأبعدتني أمي حالما أُصِيبَت بالوهج.

مال توماس إلى الأمام واضعاً مرفقيه على ركبتيه:

- قلت لي إن وِكدَ قتلتَ أباك، ورغم هذا ذهبت وتطوعت للعمل لصالحهم؟
عبرت صفحةً وجهها نظرة قاتمة:

- النجاة يا توماس! إنك لا تدري مدى سعد حظك بترعرعك في كنف وِكدَ،
فهناك في العالم الحقيقيّ يفعل الناس كل شيء في سبيل النجاة يوماً
إضافياً واحداً. النزقون وأصحاب المناعة يواجهون مشكلات مختلفة،
أجل، لكن القاسم المشترك هو النجاة، الجميع ينشدون الحياة.

لم يُجب توماس، ولم يدرِ ما ينبغي له قوله، فكل ما يعرفه عن الحياة
يتمثل في المتاهة، والأرض المحترقة، ونُتفَ ذكريات طفولته مع وِكدَ. أحس
بالخواء والتهيه، كأنه فقد كل انتماء له. اعتصر قلبه ألمٌ مباغت، وقال مفاجئاً
نفسه:

- أتساءل عما حدث لأمي؟

سألته برّندا:

- أمك؟ أتتذكرها؟

- رأيتهَا في بضعة أحلام، أعتقد أنها كانت ذكريات.

- ما الذي تذكرته؟ كيف كانت أمك؟

- كانت... مثل أي أم، كما تعرفين؛ تحبني، وتعتني بي، وتقلق عليّ..

تهدّج صوت توماس:

- لا أعتقد أن أي أحد قد شملني بهذا الاهتمام منذ أن أخذوني منها، يحز
في نفسي تخيلها، وهي تفقد صوابها، وتخيلُ ما يُحتمل أنه حدث لها،
ربما صارت نَزقة.. مجنونة.. متعطشة للدم...

- توقف يا توماس، كفى!

أمسكت يده، وضغطت عليها، فأراحته قليلاً، وأردفت:

- ففكر في مدى سعادتها بمعرفة أنك ما زلت حيًا، وما زلت تقا تل، لقد ماتت، وهي تعرف أنك ذو مناعة، وأن لديك فرصة لتكبر وتشبخ، مهما تبلغ درجة تردى العالم. علاوةً على أنك مخطئ تمامًا.

كان توماس يحرق إلى الأرض، لكنه عندئذٍ رفع بصره إلى برندا:
- ها؟

- مينهو، ونيوت، والسيد طاسة، وجميع أصدقائك يهتمون لأمرك، ويقلقون عليك، حتى تيريسا، فهي حقًا لم تقترف كل تلك الفِعال في الأرض المحترقة، إلا لأنها ظنت أنها ليس أمامها خيار.

صمتت برندا، ثم أردفت بصوت خافت:
- وتشاك.

اشتدت وخزات الألم التي يشعر بها توماس في صدره:

- تشاك.. إنه.. لقد...

اضطر إلى التوقف لحظة، كي يستجمع شتات نفسه، فعندما فكر بالأمر، كان تشاك هو السبب الأوضح الذي حمّله على احتقار وكِد، كيف يمكن لأي خير أن يأتي من قتل صبي مثل تشاك؟!

تابع أخيرًا:

- شاهدت ذلك الصبي، وهو يموت، وفي آخر لحظاته انطبعت على عينيه نظرة رعب محض، لا يجوز فعل هذا، لا يجوز فعل هذا بإنسان، لا أكثر بما يقوله لي أي أحد، ولا أكثر بجنون الكثير من الناس، ثم موتهم، ولا أكثر إذا انقرض الجنس البشري الأخرق بكامله، حتى إذا كان قتله هو الشيء الوحيد الذي يجب أن يحدث من أجل إيجاد العلاج، فسأعارضه!

- اهدأ يا توماس، ستهشم أصابعك!

لم يتذكر متى أفلت يدها، نظر إلى الأسفل، فرأى يديه مشتبكتين ببعضهما بعضًا بقوة، وقد ابيضَّ جلده تمامًا، فخفف قبضته، وأحس بالدماء تسري عائدة إليهما.

أومأت برندا بوقار:

- لقد تغيرتُ للأبد عندما كنت في مدينة الأرض المحترقة، آسفة على كل شيء.

هز توماس رأسه:

- ليس لديك سبب واحد يدفعك للاعتذار أكثر مما لدي، الأمر برمته فوضى عبثية!

تأوّه، وعاد ليتمدد على السرير المنخفض، محدقًا إلى شبكة السقف المعدنية. وبعد مدة صمت طويلة، تكلمت برندا مجددًا أخيرًا:

- أتعرف؟ ربما يمكننا العثور على تيريسا والآخرين، ونتّجد، فهم قد انشقوا، مما يعني أنهم إلى جانبنا، أعتقد أنه ينبغي لنا أن نحسن بهم الظن؛ ربما لم يكن أمامهم خيار سوى المغادرة دوننا، وليس من المفاجئ إطلاقًا ذهابهم إلى حيث ذهبوا.

اعتدل توماس لينظر إليها، متجاسرًا على الأمل في أن تكون محقة:

- إذن تعتقدين أننا ينبغي لنا الذهاب إلى...

- دنفّر.

أومأ توماس، وصار موقنًا فجأة مما عليه فعله، وأحبَّ إحساس يقينه:

- أجل، دنفّر.

ابتسمت برندا قائلة:

- لكن أصدقاءك ليسوا السبب الوحيد... ثمة ما هو أهم هناك.

الفصل الحادي والعشرون

حدق توماس إلى برندا متلهفًا إلى سماع ما في جعبتها.

قالت:

- تعرف ما يوجد في دماغك، إذن ما هي أكبر شواغلنا؟

فكر توماس بكلامها:

- وكِد تتعقبنا، أو تتحكم بنا.

قالت برندا:

- بالضبط.

- ومن ثم..؟

ملأ نفاذ الصبر أحشاءه مجددًا. قعدت قبالته، ومالت إلى الأمام على ركبتيها، وهي تفرك يديها معًا من الحماسة:

- أعرف رجلًا اسمه هانز انتقل إلى دنفر، لديه مناعة مثلنا، وهو طبيب، وقد كان يعمل في وكِد حتى نشب خلاف بينه وبين كبار المسؤولين بشأن البروتوكولات المتعلقة بجراحات زراعة الأجهزة في الدماغ، إذ كان يعتقد أنها محفوفة بمخاطر جمة، وأنهم يتجاوزون الخطوط الحمراء، ويتصرفون بلا إنسانية، فلم تسمح وكِد له بالمغادرة، لكنه تمكن من الهروب.

تمتم توماس:

- على هؤلاء الناس أن ينهضوا بحراستهم الأمنية.

ابتسمت برندا ابتسامة واسعة:

- من حسن حظنا. على أي حال، هانز عبقرِيٌّ، ويعرف أدق التفاصيل عن الأجهزة المزروعة في أدمغتكم. أعرف أنه ذهب إلى دنفر، لأنه أرسل إليّ رسالة عبر «النتبلوك» قبل إنزالي في الأرض المحترقة، وإذا تمكنا من الوصول إليه، فسيقدر على إخراج تلك الأشياء من رؤوسكم، أو

تعطيها على الأقل. لا أدري كيف يجري هذا الأمر، لكن إن كان بمقدور أي أحد أن يجري العملية، فسيكون بمقدوره أيضًا، وسيجريها بكل سرور، فالرجل يمقت وكد بقدر ما نمقتها.

فكر توماس لحظة:

- إننا في ورطة كبيرة في حال تحكّمهم بنا، رأيت ما يحدث ثلاث مرات على الأقل.

ألبي، وهو يصارع قوة غير مرئية في بيت المزرعة. جالي، وهو يصيب تشاك بالمدية، وتيريسا، وهي تجاهد، كي تتكلم مع توماس خارج الكوخ في الأرض المحترقة.. جميع هذه الحوادث الثلاثة كانت ضمن أسوأ ذكرياته.

- بالضبط، يمكنهم التلاعب بك، وإرغامك على فعل أشياء، لا يمكنهم أن يروا عبر عينيك، أو أن يسمعوا صوتك، أو أي شيء من هذا القبيل، لكن علينا علاجك. إذا كانوا قد اقتربوا من هدفهم بما يكفي لوضعك تحت المراقبة، وقرروا أن الأمر يستحق المخاطرة، فسيحاولون المخاطرة، وهذا آخر ما نريده.

كان ثمة الكثير مما عليه استيعابه:

- طيب، يبدو أن الأسباب التي تدفعنا للذهاب إلى دنفر لا حصر لها، سوف نشاور نيوت ومينهو عندما يستيقظان.

أومأت برندا:

- حسنًا إذن.

نهضت على قدميها، واقتربت من توماس، ثم مالت وقبّلته على خده، فانتصب شعر صدره وذراعيه:

- أتعرف؟ معظم ما حدث في تلك الأنفاق لم يكن تمثيلاً!

ظلت واقفة، ونظرت إليه لحظة بهدوء، ثم قالت:

- سأذهب لإيقاظ خورخي، إنه نائم في مقصورة الكابتن.

استدارت، وسارت مبتعدة، وظل توماس جالسًا في مكانه، وهو يأمل أن وجهه لم يتضرر بالحمرة عندما تذكر اقترابها منه عندما كانا تحت الأرض، وضع يديه خلف رأسه، واضطجع على سريره المنخفض، محاولًا استيعاب

كل ما سمعه للتو؛ أخيرًا صارت لديهم وجهة، وأحس بابتسامة ترتسم على وجهه، وليس لأنه قُبِّلَ فحسب.

سَمَّى مينهو لقاءهم «تَجْمَعًا» إكرامًا للأيام الخوالي. وبنهايته أُصيب توماس بصداع، وظل رأسه ينبض بالألم لدرجة ظنه أن عينيه ربما ستخرجان من محجريهما. لعب مينهو دور المعارض الناقد في كل مسألة ناقشوها، ولسبب ما ظل يرمق برندا بنظرات ارتياب طوال الوقت، وكان توماس يعرف أن عليهم تناول الأمور من جميع جوانبها الممكنة، لكنه تمنى لو أن مينهو تساهل مع برندا قليلًا. وفي نهاية المطاف، بعد ساعة من الجدل والتأرجح بين الاتفاق والاختلاف عشرات المرات، قرروا بالإجماع الذهاب إلى دنفر، خططوا لأن يهبطوا بالبيرج في مطار خاص، وأن تكون قصتهم هي أنهم أصحاب مناعة، ويبحثون عن عمل حكومي في مجال النقل، ولحسن الحظ كانت البيرج مجهولة، ولا تحمل علامات مميزة، إذ لم تعلن وكِد عنها عندما خرجت إلى العالم الحقيقي على ما يبدو، وسوف يُخضعون للفحص، ويُقر بأن لديهم مناعة ضد الوباء، مما سيتيح لهم الوصول إلى جميع أنحاء المدينة، جميعهم عدا نيوت، الذي سيضطر -لأنه مصاب بالفيروس- إلى البقاء على متن البيرج حتى يجدوا حلاً ما.

تناولوا وجبة سريعة، ثم انطلق خورخي ليطير بالسفينة، قال إنه نال كفايته من الراحة، ويريد منهم أخذ قسط من النوم، لأن الرحلة إلى المدينة سوف تستغرق بضع ساعات، وبعدها من يدري مقدار الوقت الذي سوف يستغرقونه حتى يجدوا مكانًا يمضون فيه الليلة!

رغب توماس في الانعزال، فاتخذ صداعه عذرًا، ووجد في ركن ناءٍ كرسياً يتيح له الاستلقاء، تكوّر عليه مولياً ظهره للمنطقة المفتوحة خلفه، وكانت معه بطانية، فجذبها فوقه، شاعرًا براحة لم يشعر بمثلها منذ مدة طويلة، واستشعر شيئاً من الطمأنينة رغم خوفه مما هم مقبلون عليه؛ ربما اقتربوا أخيرًا من فصم عُرى علاقتهم بويكِد للأبد. استحضر هروبهم مستصحبًا جميع تفاصيله، وكلما أمعن التفكير فيما جرى، تبدّد شكه في أن أيًا مما حدث كان من تدبير وِكِد، إذ وقعت أحداث ارتجالية كثيرة جدًّا، وأولئك الحراس قاتلوا بضراوة من أجل إبقائهم هناك.

وأخيرًا أبعد النوم عنه كل هذه الأفكار، ورأى حلمًا. إنه في الثانية عشرة من عمره، يقتعد كرسياً قبالة رجل آخر يبدو غير سعيد بوجوده حيث هو موجود، وهما في غرفة مزودة بنافاذة مراقبة. يبتدره الرجل بالكلام:

- توماس، لقد ظللتَ شاردًا عنا في الآونة الأخيرة، أريدك أن تعود إلى ما هو مهم، أنت وتيريسا تبليان بلاءً حسنًا في التخاطر، والأمور تمضي على ما يرام بكل التقديرات، حان وقت استعادة التركيز.

يشعر توماس بالخزي، ثم بالخزي من شعوره بالخزي، فيشوّشه، ويجعله يرغب في الهروب، والعودة إلى مهجعه، فيستشعر الرجل ما يدور بخلده.

كلمات مثل حكم إعدام ينطق به قاضٍ متحجر القلب:

- لن نبرح هذه الغرفة حتى أقتنع بالتزامك.. سوف تجيب عن أسئلتني، ومن الأفضل لك أن ينضح الصدق من مسامات جلدك، هل تفهم؟

يوميّ توماس.

الرجل يسأل:

- لماذا نحن هنا؟

- بسبب الوهج.

- أريد سماع أكثر من هذا.. استرسل.

يطرق توماس. كان قد أحس برغبة في التمرد في الآونة الأخيرة، لكنه يعرف أنها سوف تتلاشى حالما يسرد جميع الأشياء التي يود الرجل سماعها، وسيعود صاغراً إلى فعل ما يطلبونه منه، وتعلم ما يريدون منه تعلمه.

يضغط الرجل:

- هيا.

يُطلق توماس الكلام كله دفعة واحدة، كما حفظه كلمة كلمة منذ مدة طويلة:

- انهال الوهج الشمسيُّ على الأرض، تزعزع الأمن في الكثير من المنشآت الحكومية؛ فيروسٌ من صنع البشر مصمّم للحرب البيولوجية تسرّب من مركز عسكريٍّ لمكافحة الأمراض، تفشى الفيروس في كل التجمعات السكانية الكبيرة، وانتشر انتشارًا سريعًا، صار يُعرف بالوهج؛ كُرّست الحكومات الناجية جميع مواردها لوكيد، التي جمعت أفضل وألمع أصحاب المناعة، وبدؤوا خطتهم بتحفيز الدماغ، وتحديد أنماطه المتعلقة بجميع العواطف البشرية المعروفة، ودراسة كيفية عملها رغم تجذّر الفيروس في أدمغتنا.. سوف يقود البحث إلى...

يتابع الكلام، ولا يتوقف، ويتابع التنفس، وهو يلفظ الكلمات التي يمقتها.

يستدير توماس الحالم، ويركض مبتعدًا؛ يركض إلى الظلام...

الفصل الثاني والعشرون

رأى توماس أن عليه إخبار الجميع بشأن الأحلام التي كان يراها، وبشأن شكّه في أنها ذكريات تعود إليه. وفي أثناء جلوسهم في التجمع الثاني في ذلك اليوم، جعلهم جميعًا يقسمون على الإمساك بألسنتهم حتى يفرغ من كلامه. كانوا قد جمعوا الكراسي بالقرب من قمرة قيادة البيرج حتى يتمكن خورخي من سماع كل شيء، ثم بدأ توماس بإخبارهم عن كل حلم آه؛ ذكريات طفولته، اصطحاب وِكد له عندما اكتشفوا أن لديه مناعة، وتدريبه مع تيريسا، كل شيء، ثم انتظر رد رفاقه عندما أفرغ جعبته من كل ما تمكن من تذكّره.

قال مينهو:

- لا أرى العلاقة بين هذا وكل شيء، ازدادت كراهيتي لوِكد فحسب، من الأفضل أننا غادرنا، وآمل ألا أرى وجه تيريسا الأخرق مجددًا أبدًا!

تحدث نيوت لأول مرة في التجمع بعدما ظل قلقًا وشاردًا:

- إن برندا أميرة، مقارنةً بذلك العارف بكل شيء!

أجابت برندا، وهي تقلب عينيها:

- إمم... شكرًا.

قال مينهو بحدة:

- متى تغيرتِ؟

- ها؟

- متى انقلبت على وِكد؟ لقد عملت لصالحهم، وفعلت جميع الأشياء التي أرادوا منك فعلها في الأرض المحترقة، وكنتِ على أهبة الاستعداد لمساعدتهم على وضع تلك الأقنعة على وجوهنا، والعبث بأدمغتنا مجددًا.. متى وكيف صرتِ إلى جانبنا بكل حماسة؟!

تنهدت برندا، وبدت متعبة، لكن كلماتها خرجت مخضبة بشيء من الغضب:

- لم أكن إلى جانبهم قط.. قط، لطالما عارضت الطريقة التي يعملون بها، لكن ما الذي يمكنني فعله وحدي، أو حتى مع خورخي؟! فعلت ما عليّ فعله في سبيل النجاة، لكن بعدها مررت بتجربة الأرض المحترقة معكم، وجعلتني أدرك... حسناً، جعلتني أدرك أننا لدينا فرصة.

أراد توماس أن يغير الموضوع:

- برندا، أعتقدين أن وكد سوف تبدأ بإرغامنا على فعل أشياء، والعبث أو التلاعب بنا، أياً كان؟

هزت كتفيها قائلة:

- لهذا علينا العثور على هانز، لا يمكنني سوى تخمين ما ستفعله وكد، في كل مرة رأيتهم يسيطرون على شخص ما، كان ذلك الشخص قد سبق وضعه تحت رقابة لصيقة، وبما أنكم -يا رفاق- هاريون، وليست لديهم وسيلة لرؤية ما تفعلونه تحديداً، فربما لن يرغبوا في المخاطرة.

سأل نيوت:

- لماذا؟ لماذا لا يجعلوننا نطعن أنفسنا في سيقاننا، أو نقيد أنفسنا بسلاسل إلى كرسي حتى يعثروا علينا؟!

أجابت برندا:

- كما قلت، إنهم ليسوا قريبين بما فيه الكفاية، ومن البديهي أنهم يحتاجون إليكم يا رفاق، ولن تسعهم المخاطرة بتأذيكم أو موتكم، أراهن أنهم أطلقوا خلفنا أناساً كثيرين، وحالما يقتربون منا بالقدر الذي يتيح لهم مراقبتنا، عندئذٍ ربما يبدؤون العبث بأدمغتنا، ويراودني شعور قوي بأن هذا ما سيفعلونه، لهذا يتحتم علينا الذهاب إلى دنفر.

كان توماس قد حسم أمره سابقاً:

- سنذهب، لا بد، وأقترح أن ننتظر مئة عام قبل أن نعقد اجتماعاً آخر لنناقش شيئاً!

قال مينهو:

- حلو الكلام، أنا معك.

اثنان من أصل ثلاثة، نظرا جميعهما إلى نيوت.

قال الفتى الأكبر سناً:

- أنا نَزِق، رأبي لا يهم!

قالت برندا متجاهلةً إياه:

- يمكننا إدخالك إلى المدينة، على الأقل مدة كافية ليفحص هانز رأسك،
وسنكون حريصين جدًا على إبقائك بعيدًا عن...

نهض نيوت بغتة، ولَّكَم الجدار الذي خلف كرسيه:

- قبل كل شيء، لا يهم إذا كان لدي شيء مزروع في دماغي، سأتجاوز
الطور قريبًا على أي حال، ولا أريد أن أموت عالمًا بأنني جُبت أنحاء
مدينة أناس أصحاء، ونقلت إليهم العدوى!

تذكر توماس الظرف الذي في جيبيه؛ الشيء الذي كاد ينساه حتى هذه
اللحظة، وارتعشت أصابعه راغبةً في إخراجه وقراءته. لاذ الجميع بالصمت.

اكفهر وجه نيوت، وزمجر أخيرًا:

- حسنًا، لا تتعبوا أنفسكم بمحاولة إقناعي بالكلام، جميعنا يعلم أن علاج وِكد
الرائع لن ينجح أبدًا، رغم أنني أريد نجاحه. ليس لدي ما أعيش من أجله
في كوكب الوحل هذا. سوف أبقى في البيرج في أثناء زهابكم إلى المدينة.
ثم استدار مبتعدًا بخطوات قوية، واختفى عند زاوية الصالة.

تمتم مينهو:

- سار الأمر على ما يرام.. أظن أن التجمع انتهى.

ثم نهض، وتبع صديقه.

عبست برندا، ثم ركزت نظراتها على توماس:

- إنك... إننا نفعل التصرف الصحيح.

قال توماس، وهو يسمع الخدر في صوته، وكان يرغب بشدة في النوم:

- أعتقد أنه لم يُعد يوجد ما هو صحيح، وما هو خطأ.. لا شيء سوى ما
هو فظيخ، وما يقل عنه فظاعةً قليلًا!

نهض لينضم إلى فردي الجلايد الآخرين، مداعبًا بأصابعه الرسالة التي
في جيبيه. تساءل، وهو يسير خارجًا؛ ما الذي يمكن أن يكون مكتوبًا عليها؟

وكيف عساه أن يعرف أن الوقت المناسب لفتحها قد حان؟!

الفصل الثالث والعشرون

لم يتسنَّ لتوماس الوقت الكافي للتفكير فيما يبدو عليه العالم خارج نطاق سيطرة وِكد، لكن الآن وهو مقبل على مواجهته، اشتعلت أعصابه بالترقب، وانقبضت معدته؛ كان على وشك دخول أرض مجهولة.

سألت برندا:

- هل أنتم مستعدون لهذا يا رفاق؟

كانوا يقفون خارج البيرج أمام باب الشحنات المنحدر، على بُعد نحو مئة قدم أمام الجدار الأسمنتيّ ذي البوابات الحديدية الضخمة. نخر خورخي بضحكة:

- نسيت مدى لطف هذا المكان.

سأله توماس:

- أمتأكد أنك تعرف ما تفعله؟

- امسك لسانك عليك يا أخي، ودعني أتولى زمام الأمور. سنستخدم أسماءنا الأولى الحقيقية مع أسماء عائلات مزيفة. وكل ما يهتمون به حقًا في نهاية المطاف هو أننا أصحاب مناعة، وسوف يودون تسجيل أسمائنا. ليس أماننا أكثر من يوم أو يومين قبل أن يطاردونا ليطلبوا منا فعل شيء من أجل الحكومة، إننا قيّمون، ولن أكتفي من التشديد على هذا يا توماس؛ عليك أن تبقى فمك الثرثار مغلقًا!

أردفت برندا:

- وأنت أيضًا يا مينهو، فهمت؟ زيّف خورخي وثائق لنا جميعًا، وهو بارع في الكذب كِص محترف!

غمغم مينهو:

- أجل، بلا شك.

اتجه خورخي وبرندا نحو الأبواب، ومينهو في أعقابهما، تردد توماس، وتطلّع إلى الجدار، فذكّرهُ بالمتاهة، وبرقت في ذهنه ذكريات خاطفة فظيعة من ذلك المكان، تحديداً الليلة التي ربطوا فيها ألبي وسط اللبلاّب الكثيف ليخفوه عن الهوام، وكان ممتناً، لأن هذه الجدران جرداء. بدا أن السير نحو المخرج يستغرق دهرًا، والجدران والأبواب تزداد علوًا مع اقتراب المجموعة منها، وعندما بلغوا الأبواب الضخمة، انبعث طنين إلكترونيّ من مكانٍ ما، ثم أعقبه صوت أنثويّ:

- اذكروا أسماءكم، والغرض من مجيئكم.

أجاب خورخي بصوت مرتفع:

- أنا خورخي غالاراغا، وهؤلاء شركائي؛ برندا ديسبين، وتوماس مورفي، ومينهو بارك، نحن هنا من أجل جمع بعض المعلومات، والاختبارات الميدانية. إنني طيار بيرج مرخّص، ولدي جميع الأوراق اللازمة، لكن يمكنك تفقدها.

أخرج بضع بطاقات بيانات من جيبه الخلفيّ، ورفعها أمام الكاميرا المثبتة على الجدار.

وجّههم الصوت:

- انتظروا من فضلكم.

كان توماس يتعرق، وقد داهمه يقينٌ بأن المرأة ستطلق الإنذار في أي لحظة، ويتدفق الحراس حولهم، ويعيدونه إلى وكِد، إلى الغرفة البيضاء، أو ما هو أسوأ.

انتظر - والخواطر تموج في ذهنه - مدة كأنها عدة دقائق قبل أن تصدر سلسلة أصوات نقرات أرعشت الهواء، تبعها ارتطام مدوّ، ثم تآرجح أحد الأبواب إلى الداخل، ومفاصله تصدر صريرًا، فحدق توماس عبر الشق الذي يزداد اتساعًا، وغمره ارتياح عندما رأى أن الرواق الضيق على الجانب الآخر كان خاليًا، وعند نهايته ينتصب جدار ضخم آخر به أبواب أخرى، لكن تلك الأبواب بدت حديثة، مثبتت إلى يمينها عدة شاشات ولوحات.

قال خورخي:

- هيا.

وسار عبر الباب المفتوح، كما لو أنه يمر عبره يوميًا، فتبعه توماس ومينهو وبرندا في الرواق نحو الجدار الخارجي، حيث توقفوا. الشاشات واللوحات التي رآها توماس بدت معقدة عندما نظر إليها من كثب. ضغط خورخي زرًا على الشاشة الأكبر، وبدأ يُدخِل أسماءهم وأرقام تعريفهم المزيفة، وأدخل بضع معلومات أخرى، ثم أقحم بطاقات بياناتهم في الفتحة الضخمة.

انتظرت المجموعة بصمت في أثناء مرور بضع دقائق، وقلق توماس يتصاعد مع مرور كل ثانية، فحاول ألا يظهره، لكنه أحس فجأة أنهم اقتربوا خطأً جسيمًا، كان ينبغي لهم أن يذهبوا إلى مكان إجراءاته الأمنية أخف، أو يحاولوا التسلل إلى المدينة بطريقة ما، فهؤلاء الناس سوف يعرفون ما يضمرونه، وربما نشرت وكِد سابقًا إعلانًا تطلب فيه ترقب وصول هاربين. قال لنفسه: «تمالك نفسك يا توماس!»، ولنصف ثانية قلق من أنه قالها بصوت عالٍ.

عاد صوت المرأة:

- الأوراق سليمة، الرجاء الانتقال إلى قسم الفحص الفيروسي.

خطا خورخي إلى اليمين، وانفتحت لوحة في الجدار، وشاهد توماس ذراعًا ميكانيكية تنبثق منه، كان جهازًا غريبًا مزودًا بما بدا كتجويفين للعينين. مال خورخي إلى الأمام، وألصق وجهه بالآلة، وحالما تراصفت عيناه على التجويفين، تلوَّى سلك صغير خارجًا، ووخز عنقه، وصدر عن الجهاز أزيز ونقرات، ثم انسحب السلك عائدًا إلى الجهاز، وتراجع خورخي. دارت اللوحة بكاملها عائدة إلى الجدار، واختفى الجهاز الذي استخدمه خورخي، وحل محله جهاز جديد بدا نسخة طبق الأصل منه.

قالت المرأة:

- التالي.

تبادلت برندا نظرة قلق خاطفة مع توماس، ثم خطت نحو الآلة، ومالت نحوها، ووخز السلك عنقها، وأصدر الجهاز أزيزًا ونقرات، وانتهى الأمر، فتراجعت مبتعدة، وهي تتنفس الصُعداء. همست لتوماس:

- مضى وقت طويل منذ أن استخدمت واحدًا من هذه الأجهزة، إنه يوترني، كأنني سأفقد مناعتي فجأة!

جاء صوت المرأة مجددًا:

- التالي.

اجتاز مينهو العملية، وأخيرًا حان دور توماس. سار نحو لوحة الفحص، وهي تدور مجددًا، وحالما ظهر الجهاز الجديد، واستقر في مكانه، مال إلى الأمام، ووضع عينيه حيث ينبغي وضعهما، واستعد للألم الذي سينجم عن السلك، لكنه بالكاد شعر بالوخزة على عنقه قبل أن يختفي، ولم يرَ بداخل الآلة سوى بضع ومضات ضوء وألوان، وأحس بنفحة هواء جعلته يغمض عينيه بشدة، وعندما فتحهما لم يرَ سوى الظلام. مرت بضع ثوانٍ، وتراجع في انتظار أيًا كان ما سيحدث بعد ذلك.

تحدثت المرأة مجددًا أخيرًا:

- اجتزتم جميعكم الـ VCT بنجاح، وتأكدت مناعتكم، لا بد أنكم تدركون أن فرص أمثالكم كثيرة هنا في دنفر، لكن لا تبالغوا في الإعلان عن أنفسكم في الشوارع، الجميع هنا أصحاء، وغير مصابين بالفيروس، لكن هناك كثيرون لا يستلطفون أصحاب المناعة.

قال خورخي:

- جئنا من أجل بضع مهام بسيطة، بعدها سنغادر، خلال أسبوع، أو نحوه على الأرجح، ونأمل أن نُبقي سِرِّنا الصغير... سرًّا.

همس توماس لمينهو:

- ما هو الـ VCT؟

- أعتقد أنني أعرف؟!

قالت برندا قبل أن يسألها توماس:

- «تهديد العدوى الفيروسية»، لكن اخفض صوتك، فكل من لا يعرف هذا سيبدو مثيرًا للريبة هنا.

انفرجت شفتا توماس ليقول شيئًا، لكنه أجفل إثر سماعه صفييرًا عاليًا مع انفتاح الأبواب، كاشفةً عن رواق آخر، جدرانه مشيدة من المعدن، وعند نهايته أبواب مغلقة، فتساءل: «إلى متى ستستمر هذه العملية؟».

قالت المرأة، وبدا أن صوتها يتبعهم إلى هذا الرواق الثالث:

- ادخلوا آلة الرصد. السيد غالاراغا أولًا.

ولج خورخي في المساحة الضيقة، وأغلق البابان خلفه.

سأل توماس:

- ما هي آلة الرصد؟

أجابت برندا باقتضاب:

- آلة ترصد الأشياء.

عبس توماس في وجهها، وانبعث طنين إنذار مجددًا، بأسرع مما توقع، وانفتحت الأبواب.. لم يعد خورخي هناك. جاء صوت المرأة، وقد شابهُ الملل:

- الآنسة ديسبَيْن هي التالية.

أومأت برندا لتوماس، ودلفت إلى آلة الرصد، وبعد دقيقة أو نحوها حل دور مينهو. نظر مينهو إلى توماس، ووجهه يكتسي بتعابير جادة، وقال له بصوت مفعم بالحيوية:

- إذا لم أرك على الجانب الآخر، تذكّر أنني أحبك.

وأطلق ضحكة نصف مكبوتة لمرأى توماس، وهو يقلب عينيه ممتعضًا، قبل أن يسير عبر الباب وينغلق. وسرعان ما دعت المرأة توماس للدخول. تحرك إلى الداخل، وانغلق الباب خلفه، ضربته نفحة هواء تزامنت مع صفير خافت، ثم انزلق الباب الذي أمامه، ورأى أناسًا في كل مكان، فتسارع وجيب قلبه، لكن بصره وقع على أصدقائه الذين ينتظرونه، فاسترخى، وانضم إليهم مذهولًا بكل النشاط الذي حوله؛ حشدٌ مائجٌ من الرجال والنساء، كثيرون منهم يغطون أفواههم بكمامات، تعج بهم ردهة شاسعة يعلوها سقف زجاجي شاهق يتدفق عبره فيضٌ من أشعة الشمس، من أحد أركانه رأى قمم عدة ناطحات سحاب، وهذه -التي لا تشبه في شيء تلك التي مر بها في الأرض المحترقة- تتألق تحت ضوء الشمس. كان توماس مأخوذًا بكل الأشياء التي يراها، حتى كاد ينسى مدى توتره قبيل لحظات.

سأله خورخي:

- لم يكن الأمر سيئًا جدًّا، أليس كذلك يا شباب؟

قال مينهو:

- أحببته نوعًا ما.

كان توماس مسحورًا تمامًا، ولم ينفك يشرب بعنقه ليستوعب المبنى العملاق الذي دخل إليه، وتمكن من النطق أخيرًا:

- ما هذا المكان؟ ومن كل هؤلاء الناس؟

ونظر إلى رفاقه الثلاثة، منتظرًا إجابة، فبدا خورخي وبرندا مُحَرَجَيْنِ، لأنهما برفقته، لكن تعابير برندا تغيرت فجأة، واكتست بما يشبه الحزن، وتمتت باسطة ذراعيها، مشيرةً إلى ما حولها:

- أنسى دائمًا أنك فقدت ذكرياتك! يسمّى المول، وهو يمتد بمحاذاة الجدار المحيط بالمدينة بأكملها، معظمه متاجر ومكاتب أعمال.

- لم يسبق لي أن رأيت هذا العدد....!

تلاشى صوته، وكان رجل يرتدي سترة زرقاء داكنة يقترب منهم، مثبتًا نظراته على توماس، ولم يبدُ سعيدًا جدًّا.

همس توماس، وهو يومئ ناحية الغريب:

- مهلاً!

وصل الرجل إليهم قبل أن يتمكن أحدهم من الرد، وأومأ للمجموعة إيماءة مقتضبة، وقال:

- نعلم أن بعض الشباب هربوا من وكد، وبالنظر إلى البيرج التي جئتم على متنها، أظنكم جزءًا من تلك المجموعة، وأوصيكم بشدة بأن تقبلوا النصيحة التي سأسديها لكم، لا تخشوا شيئًا، لا نريد سوى المساعدة، وسوف تتلقون الحماية عندما تصلون.

ناول توماس قصاصة ورق، ثم دار على عقبيه، وسار مبتعدًا دون أن يتفوه بكلمة أخرى.

سأل مينهو:

- فيم كان ذلك؟ ما المكتوب عليها؟

خفض توماس بصره، وقرأها:

- مكتوبٌ عليها: «عليكم القدوم لملاقاتي على الفور.. أنا مع مجموعة اسمها «الذراع اليمنى». زاوية شارع كينوود وبروكشاير، الشقة 2792».

أحس توماس بغصة في حلقه عندما رأى التوقيع أسفل قصاصة الورق، وتطلّع إلى مينهو بوجه شاحب:

- إنها من جالي!

الفصل الرابع والعشرون

اتضح أن توماس لم يَكُن مضطراً إلى تقديم أي تفسير، إذ عمل خورخي وبرندا لدى وِكد مدة كافية ليعرفا من هو جالي، فكانا يعرفان أنه كان منبوذاً نوعاً ما في الجلايد، وأنه وتوماس كانا عدوين لدودين بسبب ذكريات جالي التي عادت إليه بعد مروره بالتحوُّل، لكن توماس لم يتذكر سوى الفتى الغاضب الذي ألقى المديّة التي قتلت تشاك؛ تلك التي جعلت الفتى ينزف حتى الموت على الأرض، وهو بين ذراعيه. كان قد فقد صوابه عندئذٍ؛ انهال ضرباً على جالي حتى ظن أنه قتله، وأحس بارتياح عميق عندما أدرك أنه لم يقتله. إذا جاءت هذه الرسالة من جالي فعلاً، فبقدر ما كره توماس ذلك الفتى، لم يرغب في أن يكون قاتلاً!

قالت برندا:

- لا يمكن أن يكون هو!

سألها توماس، وقد بدأ ارتياحه يتلاشى:

- لماذا؟ ماذا حدث له بعدما خرجنا من الجلايد؟ هل...؟

- مات؟ لا، أمضى نحو أسبوع في المستوصف، لتُشفى عظمة خده المكسورة، لكن هذا لا شيء مقارنةً بالضرر النفسي؛ لقد استغلوه ليقتل تشاك، لأن الأطباء النفسيين كانوا يعتقدون أن الأنماط سوف تكون قيّمة، حُطِّط لكل شيء، وأرغموا تشاك على التحرك أمامك.

كل الغضب الذي كان توماس يشعر به نحو جالي تحول إلى وِكد، مغذياً كراهيته المتعاضمة دوماً للمنظمة. كان الفتى وغداً أحرق، لكن إذا كان ما قالته برندا صحيحاً، فهو لم يَكُن سوى أداة طيِّعة في يد وِكد، وازداد غضب توماس عليهم استعازاً لسماع أن مقتل تشاك بدلاً منه لم يَكُن خطأً.

تابعت برندا:

- سمعتُ أن أحد الأطباء النفسيين قد صمَّم الحادثة لتكون «متغيِّراً» ليس لك أنت وأفراد الجلايد الذين شهدوها فحسب، بل.. بل لتكون متغيِّراً لتشاك أيضاً في أثناء لحظاته الأخيرة.

للحظة وجيزة لكن مرعبة، ظن توماس أن غضبه سينفلت من عقاله، وأنه سينقض على أي غريب من الحشد، ويوسعه ضرباً، كما فعل بجالي. أخذ نفساً عميقاً، ومرر يده المرتعشة عبر شعره، ثم قال، وهو يجز بأسنانه:

- لم يُعد شيءٌ يفاجئني!

قالت برندا:

- عجز عقل جالي عن استيعاب ما اقترفه، وحن جنونه تمامًا، فاضطروا إلى التخلي عنه وإبعاده. وأنا متأكدة أنهم ظنوا أن لا أحد سوف يصدق قصته.

- إذن لماذا تعتقدون أن الذي راسلنا لا يمكن أن يكون هو؟ ربما تحسَّن، ووجد طريقه إلى هنا!

هزت برندا رأسها:

- اسمع، كل شيء ممكن، لكنني رأيت الفتى، كان كأنه أُصيب بالوهج؛ يحاول أن يلتهم الكراسي، ويزبد، وينتزع شعره!

أردف خورخي:

- رأيتَه أيضًا، تجاوز الحراس ذات يوم، وركض عبر الصالات صائحًا بأعلى صوته بشأن خنافس في عروقه.

حاول توماس استجلاء عقله:

- أتساءل عما يعنيه بالذراع اليمنى.

أجاب خورخي:

- ثمة شائعات عنهم منتشرة في كل مكان، يُفترض أنها مجموعة سرية عازمة على القضاء على وِكد.

- سبب إضافيٌ لنتبع الرسالة إذن.

بدأت أمارات الشك على وجه برندا:

- أعتقد أنه ينبغي لنا العثور على هانز قبل أن نُقدِّم على أي خطوة أخرى.

رفع توماس قصاصة الورق، وهزها:

- سوف نذهب لمقابلة جالي، نحن بحاجة إلى شخص يعرف المدينة. لكن علاوةً على ذلك، أخبره حدسه بأن هذا هو المكان الذي ينبغي أن يبدؤوا منه:

- ماذا لو كان فخاً من نوع ما؟

قال مينهو:

- أجل، ربما ينبغي لنا التفكير في هذا الاحتمال.

هز توماس رأسه قائلاً:

- كلا، لن نخوض معهم لعبة التخمين بعد الآن، فهم أحياناً يفعلون أشياء الغرض منها دفعي إلى فعل عكس ما يعتقدون أنني أعتقد أنهم يعتقدون أنني أريد فعله!

- ها؟!

سألوا ثلاثتهم بصوت واحد، والتشوش بإد على وجوههم.

أوضح توماس:

- من الآن فصاعداً، سأفعل ما أشعر بأنه صحيح، وثمة شيء يخبرني بأن علينا الذهاب إلى هذا المكان، ومقابلة جالي، على الأقل لنعرف إذا كان هو فعلاً، وهو له صلة بالجلويد، ولديه جميع الأسباب الممكنة ليكون في صفنا.

حدق الآخرون إليه بوجوه جامدة، كأنهم يحاولون الإتيان بمزيد من الحجج.

قال توماس:

- جميل، سأفهم من جميع هذه النظرات أنكم موافقون، وإنني لسعيد بأنكم جميعكم توافقونني الرأي، والآن كيف يمكننا الوصول إلى هناك؟

أطلقت برندا تنهيدة طويلة:

- هل سمعتَ بالتاكسي من قبل؟

بعدما تناولوا وجبة في المول سريعًا، استقلوا تاكسي ليأخذهم إلى المدينة، وعندما ناول خورخي السائق بطاقة ليدفع بها الأجرة، قلق توماس مجددًا بشأن تعقُّب وِكد لهم، وحالما استقروا في أماكنهم، سأل خورخي عن الأمر هامسًا حتى لا يسمعه السائق. لم تبدر من خورخي سوى نظرة اضطراب.

خمن توماس:

- إنك قلق، لأن جالي عرف أننا قادمون، صحيح؟

أوما خورخي قائلاً:

- قليلًا، لكن الطريقة التي قدّم بها الرجل نفسه... أمل أن خبر هروبنا قد تسرب، وأن جماعة الذراع اليمنى ظلت تبحث عنا منذئذٍ، فقد سمعت أن مركزهم هنا.

اقترحت برندا:

- أو ربما للأمر علاقة بقدم مجموعة تيريسا هنا أولاً.

لم يرتح توماس لكلامها، وسأل خورخي:

- أمتأكد من أنك تعرف ما تفعله؟

- سنكون على ما يرام يا فتى. بما أننا هنا الآن، فستجد وِكد صعوبات جمة في اللحاق بنا، الاندماج والذوبان هنا، في المدينة، أسهل مما تتصور، استرخ.

لم يَكُن توماس واثقًا بأنه سيجد وقتًا للاسترخاء، لكنه تراجع متكئًا على مقعده لينظر إلى خارج النافذة. حبست الرحلة عبر شوارع دِنفر أنفاسه، وتذكر المركبات الطائرة من أيام طفولته؛ مركبات مسلحة تابعة للشرطة لا اسم رسميًا لها، لكن الجميع كانوا يسمونها آلات الشرطة، لكن كثيرًا من الأشياء لم يسبق له أن رآها من قبل قط؛ ناطحات السحاب العملاقة، والإعلانات البراقة ثلاثية الأبعاد، والأعداد التي لا تحصى من البشر. عجز عن تصديق أن كل ما يراه حقيقي، وكان جزء منه يتساءل عما إذا كانت وِكد تتلاعب بطريقة ما بأعصابه البصرية، وعما إذا كان كل شيء برنامج محاكاة آخر. وتساءل عما إذا كان قد عاش في مدينة كهذه من قبل، وإذا عاش في مثلها، فكيف له أن ينساها بكل عظمتها!؟

وفي أثناء عبورهم الشوارع المكتظة، خطر له أن الوضع ربما لا يكون سيئاً جداً رغم كل شيء، فهنا مجتمع بأكمله، آلاف الناس يعيشون حياتهم اليومية، لكن رحلة التاكسي تواصلت، وبدأ يركز تدريجياً على تفاصيل لم يلاحظها من قبل، ومع استمرار رحلتهم، ازداد عدم ارتياح توماس، فكل شخص رآه بدا مضطرباً مشغول البال، وبدوا أنهم جميعهم يتجنبون بعضهم بعضاً، وليس بداعي التهذيب فحسب، بدا أنهم يتخذون إجراءات واضحة من أجل الحفاظ على مساحة بينهم، وكما كان الوضع في المول؛ كثيرون منهم يضعون كمادات، أو يمسكون بخرق تغطي أفواههم وأنوفهم في أثناء سيرهم. جدران المباني مشوّهة بالملصقات واللافتات، معظمها ممزقة أو مموّهة بطلاء الرذاذ، قليل من الملصقات تحمل صور نزيقن تجاوزوا الطور بمراحل. لمح توماس ملصقاً عليه صورة مقربة لامرأة نحيلة الوجه، شعرها معقود في الخلف، وأسفل الملصق مكتوب الشعار: «المستشارة بايج تحبكم». المستشار بايج..! تعرّف توماس على الاسم فوراً، كانت هي التي قالت له برندا إنهم يثقون بها.. الوحيدة، فالتفت ليسأل برندا عنها، لكنه توقف، أوحى له حدسه بأن ينتظر حتى يكونا وحدهما. ولاحظ في أثناء رحلتهم أيضاً ملصقات تعبّر عن الإعجاب بها، لكن معظمها مغطاة بالجرافيتي، وكان يصعب تمييز ملامح المرأة تحت قرون الشيطان، والشوارب العبثية المرسومة عليها.

ثمة قوة أمنية من نوع ما تجوب كل شارع بأعداد كبيرة، بالمئات، جميعهم يرتدون قمصاناً حمراء، ويضعون أقنعة غاز، ويحملون سلاحاً بيد، وبالأخرى نسخة مصغرة من جهاز الفحص الفيروسي الذي فحص توماس وأصدقائه قبل دخولهم المدينة، وكلما ابتعدوا عن الجدار الخارجي العازل، ازدادت الشوارع اتساعاً؛ القمامة في كل مكان، والنوافذ مهشمة، ورسومات الجرافيتي على كل جدار تقريباً، والظلام يخيم على المكان رغم وميض الشمس عبر النوافذ الشاهقة فوقهم.

انعطف التاكسي إلى زقاق، وفوجئ توماس بأنه مهجور، ثم هدأت السيارة من سرعتها، وتوقفت عند مبنى خرسانيّ يبلغ ارتفاعه عشرين طابقاً على الأقل، فأخرج السائق بطاقة خورخي، وناولها إياها، ففهم توماس أنها إشارة للنزول من السيارة. وحالما تزلجوا جميعهم، وابتعد التاكسي، أشار خورخي إلى أقرب سلم:

- رقم 2792 هناك، على الطابق الثاني.

صَفَّرَ مينهو، ثم قال:

- يبدو مكانًا لطيفًا حقًا!

وافقه توماس، كان المكان كثيبًا موحشًا، وتوتر لمرأى القرميد الرماديّ الشاحب المغطى بالجرافيتي، ولم يرغب في صعود تلك السلالم، ومعرفة مَنْ ينتظرهم بالداخل. دفعته برندا من الخلف قائلة:

- إنها فكرتك.. تقدّمنا.

ازدرد ريقه، لكنه لم يقل شيئًا، سار إلى السلالم، وتسلقها ببطء، ولحق به الآخرون تباعًا. بدا باب الشقة 2792 الخشبيّ المشقق كأنه رُكِّب قبل ألف عام، ولم تبقَ عليه سوى بقايا طلاء أخضر باهت.

همس خورخي:

- هذا جنون، هذا جنون محض!

نخر مينهو ضاحكًا:

- أوسع توماس ضربًا من قبل، ويمكنه فعلها مجددًا!

عاجله خورخي:

- ما لم يخرج شاهرًا أسلحته!

قال توماس:

- هلاً صمتمًا؟!

كان مشدود الأعصاب، وبدون كلمة أخرى مد يده، وطرق الباب، وبعد بضع ثوانٍ مؤرقة انفتح. عرف توماس على الفور أن الفتى ذا الشعر الأسود الذي فتح الباب هو جالي رفيق الجلاید، دون أدنى شك، لكن وجهه تغطيه ندوب كثيفة وخطوط ناتئة، كأنها بزاقات بيضاء رفيعة، وبدت عينه اليمنى متورمة ورمًا دائمًا، وأنفه الذي كان كبيرًا وغريب الشكل قليلًا قبل حادثه تشاك، صار معوجًا على نحو واضح.

قال جالي بصوته المشروخ:

- سعيد بقدمكم، لأن نهاية العالم صارت وشيكة...

الفصل الخامس والعشرون

أخذ جالي خطوة إلى الوراء، وفتح الباب على اتساعه قائلاً:
- تفضلوا.

أحس توماس بوخزة تأنيب ضمير لمرأى ما فعله بجالي، ولم تكن لديه أدنى فكرة عما عليه فعله أو قوله، فاكتفى بإيماءة، وأرغم نفسه على دخول الشقة. كانت غرفة مظلمة، ودون أثاث، وثمة ملاءة صفراء معلقة فوق النافذة الكبيرة، أضفت على المكان وهجاً مهيباً.

قال جالي:

- تفضلوا بالجلوس.

لم يخطر لتوماس سوى السعي لمعرفة كيفية علم الذراع اليمنى بوجوده في دنفر، وما يريدونه، لكن غرائزه أوحى إليه بأنه عليه أن يخوض اللعبة وفقاً لشروطهم قبل أن يتمكن من الحصول على إجابات، فاقتعدوا الأرضية العارية، أصدقاؤه في صف، وجالي قبالتهم كأنه قاضٍ. بدا وجه جالي مريعاً في الضوء الخافت، وعينه المصابة محتقنة بالدماء.

قال توماس محرّجاً:

- تعرف مينهو.

فتبادل مينهو، وجالي إيماءتين مقتضبتيين:

- وهذه برندا، وهذا خورخي، إنهما من وكِد لكن...

قاطع جالي، لم يبدُ غاضباً، لكنه خَدِر قليلاً:

- أعرفهما، هذان الأخرقان أعادا لي ذكريات ماضيٍّ، وربما تجدر بي إضافة أنهما فعلا ذلك دون موافقتي!

ثم تركزت نظراته على مينهو:

- مهلاً، كنتَ لطيفاً جداً معي في آخر تجمُّع لنا، شكراً لك.
كان التهكم لازعاً. انكمش توماس عندما تذكر الحادثة؛ مينهو يلقي جالي
على الأرض، ويهدده.. كان قد نسي الأمر.

أجاب مينهو:

- كان يومي سيئاً!

تعذر مع تعابيره معرفة إذا ما كان جاداً، أو يشعر بأقل قدر من الأسف.

قال جالي:

- أجل، حسناً، فلننس الماضي، صحيح؟

لكن ضحكته المكبوتة أوضحت بجلاء أنه لن ينساه أبداً.

ربما لم يساور مينهو أي ندم، خلافاً لتوماس، الذي قال:

- إنني آسف لما فعلته يا جالي.

ونظر في عيني الفتى في أثناء كلامه، راغباً في أن يصدقه جالي، وأن

يعرف أنه يفهم أن وكِد هي عدوهم المشترك.

- إنك آسف؟ أنا قتلت تشاك، إنه ميت.. بسببي!

لم يجد توماس عزاءً في سماع كلماته، ولم يشعر سوى بالحزن.

قالت برندا بنبرة مهدئة:

- لم يكن خطأك.

قال جالي بجفاء:

- هذا هراء! إذا كنت أتحدى بأدنى قدر من الجرأة، لتمكنت من الإفلات من

سيطرتهم، لكنني سمحت لهم بالتحكم بي، لأنني ظننت أنني سأقتل

توماس، وليس تشاك، لا يمكن أبداً أن أسمح لنفسني بقتل ذلك الصبي

المسكين.

قال مينهو:

- يا له من لطفٍ منك!

سأله توماس متفاجئاً بمدى صراحته:

- إذن كنت تريد موتي؟

قال جالي ساخرًا:

- لا تنتحب لي، كنت أكرهك أكثر مما كرهت أي أحد في حياتي، لكن ما حدث في الماضي لم تُعد له أي أهمية الآن، علينا أن نتحدث عن المستقبل، عن نهاية العالم.

قال خورخي:

- مهلاً يا فتى! بادئ ذي بدء، ستخبرنا بأدق تفاصيل ما حدث لك منذ إخراجك من وِكد إلى أن انتهى بك المطاف بقعودك حيث أنت قاعد الآن.

وأردف مينهو:

- أريد أن أعرف كيف عرفت أننا قادمون، ومتى، ومن كان ذلك الرجل غريب الأطوار الذي سلّمنا الرسالة؟

أطلق جالي ضحكة مكبوتة أخرى، جعلت وجهه يبدو مخيفًا أكثر مما هو عليه:

- أظن أن التعامل مع وِكد لا يفرس في المرء الثقة بالناس، أليس كذلك؟

قال توماس:

- إنهما محقان، عليك إخبارنا بما يجري، لا سيما إذا أردت منا مساعدتك.

سأل جالي:

- مساعدتك؟! لستُ واثقًا بأنني قد أُعبر عن الوضع على هذا النحو، لكنني متأكد من أن هدفنا واحد.

قال توماس:

- اسمع، نريد سببًا يحملنا على الثقة بك، تكلم فحسب!

أطرق جالي طويلًا، ثم شرع في الحديث:

- الرجل الذي أعطاكم الرسالة اسمه ريتشارد، وهو عضو في جماعة اسمها الذراع اليمنى، لديهم أفراد في كل مدينة وبلدة باقية على هذا الكوكب المتضعض، وتتمثل مهمتهم بأكملها في الإطاحة بأصدقائنا القدامى، وأن يستغلوا أموال وِكد ونفوذها في سبيل ما يهم فعلًا، لكن

ليس لديهم الموارد اللازمة لتمزيق منظمة بهذه الضخامة والقوة، يريدون أن يفعلوا شيئاً، لكن تنقصهم بعض المعلومات.

قالت برندا:

- سمعنا بهم، لكن كيف صرت معهم؟

- لديهم بضعة جواسيس في مجمع مباني وِكد الرئيسي، وتواصلوا معي، وأوضحوا لي أنني إذا زَيْفت إصابتي بالجنون، فسيخرجونني، ولفعلتُ أي شيء من أجل الخروج من ذلك المكان. على أي حال، أرادت الذراع اليمنى شخصاً مطَّلَعًا؛ يعرف تفاصيل المبنى والأنظمة الأمنية، لذا هاجموا السيارة التي ترافقني، واصطحبوني إلى هنا. أما فيما يتعلق بكيفية معرفتي بمجيئكم، فقد تلقينا رسالة من مجهول عبر «النتيلوك»، وافترضت أنكم أرسلتموها.

نظر توماس إلى برندا علَّها تفسر له، لكنه لم يجد منها سوى هزة كتف.

قال جالي:

- لم ترسلوها أنتم إذن، ربما كان أحدهم في المركز الرئيسي يرسل تنبيهًا إلى صائدي الجوائز.. مهما يكن، المغزى هو أننا حالما عرفنا بالأمر، صارت المهمة مجرد اختراق لنظام المطار لنعرف المكان الذي ستظهر فيه البيرج.

سأله توماس:

- وأحضرتنا هنا لتتحدث عن القضاء على وِكد؟

مجرد وجود احتمال ضئيل بحدوث شيء كهذا ملأه بالأمل.

أوما جالي ببطء وروية قبل أن يتكلم:

- تجعلون الأمر يبدو بسيطاً، لكن نعم.. هذا خلاصة الأمر، لكننا بصدد مشكلتين كبيرتين.

كانت برندا نافذة الصبر:

- ماذا؟ انطق!

- اهدئي يا فتاة!

سأله توماس:

- أي مشكلتين؟

حدج جالي برندا بنظرة نارية، ثم عاد لينظر إلى توماس:

- أولاً، ثمة إشاعة مفادها أن الوهج ينتشر انتشار النار في الهشيم في أرجاء هذه المدينة، وأن فسادًا يجري للتسُّرُّ على الأمر، لأن المرضى هم عليه القوم في الحكومة، يخفون الفيروس بعقار «النعيم»، الذي يبطن الوهج حتى يتمكن المصابون به من الاختلاط بالجميع، لكن الفيروس يواصل الانتشار، وأخمن أن الأمر نفسه يحدث في جميع أنحاء العالم؛ ما من طريقة للسيطرة على هذا الوحش!

أحس توماس بخوف في أحشائه. مرعبةٌ هي فكرة وجود عالمٍ تجوب فيه حشود النزّقين. ولم يستطع تخيُّل مدى الفظاعة التي سيصل إليها الوضع، والمناعة لن تكون ذات نفع كبير عندما يقع هذا الاحتمال.

سأل مينهو:

- ما هي المشكلة الأخرى؟ كأن هذه وحدها ليست كافية!

- الناس من أمثالنا.

رددت برندا كلامه، وقد علت وجهها نظرة ارتباك:

- الناس من أمثالنا؟! أتعني أصحاب المناعة؟

مال جالي إلى الأمام:

- نعم، إنهم يختفون.. يُخطفون، أو يهربون، أو يتبخرون.. لا أحد يدري! سمعت من مصدرٍ ما أنهم يُجمعون ويُباعون لوكِّد حتى يمكنهم مواصلة التجارب، والبدء من جديد إذا اضطروا. وسواء كان هذا صحيحًا أم لا، فإن تعداد أصحاب المناعة في هذه المدينة والمدن الأخرى قد انخفض بمقدار النصف خلال الستة أشهر الماضية، ومعظمهم يختفون دون أثر، وهذا الأمر يسبب صدادًا للكثيرين، فالمدينة تحتاج إليهم احتياجيًا أكبر مما يدركه الناس.

ازداد قلق توماس قليلًا:

- ألا يكره معظم الناس المنيعين.. أليس هذا هو الاسم الذي يطلقونه علينا؟ ربما يُقتلون أو شيء من هذا القبيل!
كان يكره الاحتمال الآخر الذي خطر له، وهو أن وِكد ربما تعمل على اختطافهم، وتعريضهم لكل ما مروا به بحذافيره.

قال جالي:

- أشك في هذا، من نقل لي هذه المعلومة مصدر موثوق، وتحوم شبّهات قوية حول وِكد بهذا الشأن، فهاتان المشكلتان تمثلان مزيجًا خطيرًا؛ الوهج متفِش في المدينة رغم أن الحكومة تزعم أنه غير متفِش، وأصحاب المناعة يختفون. ومهما يَكن ما يحدث، لن يبق أحدٌ في دِنفر، ولا أحد يدري وضع المدن الأخرى.

سأل خورخي:

- إذن ما علاقة هذا بنا؟

بدا جالي مندهشًا:

- ماذا؟ ألا تكثرثون بأن العالم المتحضر موشك على نهايته؟ المدن تتداعى، وسرعان ما سنصبح في عالم من المعتوهين الذين يريدون التهامك على العشاء.

أجاب توماس:

- نكثرث بالطبع، لكن ما الذي تريد منا فعله بهذا الشأن؟

- اسمع، كل ما أعرفه أن وِكد لديها هدف واحد، وهو إيجاد علاج، ومن الواضح أن هذا لن يحدث أبدًا، وإذا حصلنا على أموالهم ومواردهم، فسيمكنا استغلالها في سبيل المساعدة الحقيقية، وهي أن نحمي الأصحاء.. اعتقدت أنكم تريدون هذا.

هذا ما كان يريده توماس بالطبع، وبشدة.

هز جالي كتفيه عندما لم يُجب أحد:

- ليس لدينا الكثير مما سنخسره، فمن الأفضل أن نحاول فعل شيء.

قال توماس:

- جالي، أتعرف أي شيء عن تيريسا، ومعها آخرون هربوا أيضًا اليوم؟

أوما جالي:

- نعم، عثرنا عليهم أيضًا، وأبلغناهم بالرسالة نفسها التي أبلغها إياكم، من تعتقد أنه كان مصدري؟

- تيريسا.

همس توماس، واشتعلت بداخله جذوة أمل، لا بد أنها تذكرت كل هذه الأشياء عندما أزالوا الشريحة من رأسها، هل من الممكن أن العملية جعلتها تغيّر نظرتها؟ هل صار إصرارها على أن «ويكّد تسعى للخير» أخيرًا شيئًا من الماضي؟

- صحيح، قالت إنها لم توافق على بدء الدورة مرة أخرى، وقالت شيئًا عن أملها في العثور عليك أيضًا، لكن ثمة أمر آخر.

تأوه توماس:

- هذا لا يبشر بخير!

هز جالي كتفيه:

- لا شيء يبشر بخير في هذه الأيام. أحد أفرادنا الذين خرجوا للبحث عن مجموعتكم صادف إشاعة غريبة؛ قال إنها بطريقة ما لها علاقة بالهاربين من المقر الرئيسيّ لوِكِد، ولست متأكدًا من قدرتهم على تعقبك، لكن على الأرجح أنهم قد خمنوا قدومك إلى دنفر على أي حال.

سأل توماس:

- لماذا؟ ما هي الإشاعة؟

- رُصدت جائزة ضخمة مكافأةً مقابل رجل اسمه هانز كان يعمل لديهم، ويعيش هنا الآن، وتعتقد ويكّد أنك جئت إلى هنا من أجله، ويريدون قتله.

الفصل السادس والعشرون

نهضت برندا قائلة:

- سنغادر الآن.. هيا.

انتصب خورخي ومينهو على أقدامهما، وأدرك توماس في أثناء نهوضه أن برندا كانت محقة سابقًا؛ يجب أن يكون العثور على هانز أولويتهم القصوى الآن، وتعيّن على توماس إخراج جهاز التعقب من رأسه، وإذا كانت وكِد تسعى خلف هانز، فعليهم الوصول إليه أولاً.

- جالي، أتقسم بأن كل ما قلته لنا صحيح؟

لم يتحرك فرد الجلايد من موضعه على الأرضية.

- كل كلمة. تريد الذراع اليمنى أن تتحرك، ويخططون لشيء في أثناء

حديثنا الآن، لكنهم يحتاجون إلى معلومات عن وكِد، ومن يقدر على

مساعدتنا أفضل منكم؟ وسيكون من الأفضل إذا تمكنا من الوصول إلى

تيريسا والآخرين أيضًا، إننا نحتاج إلى كل من يمكنه مساعدتنا.

قرر توماس أن يثق بجالي، ربما لم يطبقا بعضهما قط، لكن عدوهما

واحد، ومن ثم فهما في خندق واحد، وسأله أخيرًا:

- ما الذي علينا فعله إذا رغبتنا في المشاركة؟ هل نعود إلى هنا، أم نذهب

إلى مكان آخر؟

ابتسم جالي:

- عودوا إلى هنا، في أي وقت قبل نحو الساعة التاسعة صباحًا، خلال

أسبوع من الآن، سأكون موجودًا، لا أظننا سوف نُقدّم على أي تحركات

قبل ذلك الوقت.

نهش الفضول توماس:

- تحركات؟! -

- أخبرتك بما يكفي، عُد إذا رغبت في المزيد، سأكون هنا.

أوماً توماس، ثم مد يده، فصافحها جالي. قال توماس:

- لا ألومك على أي شيء، رأيتَ ما كنتُ أفعله لصالح وِكد عندما مررتُ بالتحول، لما وثقتُ بنفسي أيضاً، وأعرف أنك لم تكن تريد قتل تشاك، لكن لا تتوقع مني عناقاً كلما قابلتك!

- الشعور متبادل.

كانت برندا عند الباب في انتظاره عندما استدار توماس ليذهب، لكن قبل مغادرته، ضغط جالي مرفقه وقال:

- الوقت ينفد منا، لكن يمكننا فعل شيء.

قال توماس:

- سوف نعود.

ثم تبع أصدقاءه، لم يُعد الخوف من المجهول يسيطر عليه، ووجد الأمل طريقه إليه، وضرب بجذوره في دواخله.

لم يجدوا هانز حتى اليوم التالي. أنزلهم خورخي بنُزل رخيص بعدما ابتاعوا بعض الملابس والأطعمة، واستخدم توماس مع مينهو كمبيوتر الغرفة ليجتثوا في «النتبلوك»، بينما أجرى خورخي مع برندا عشرات المكالمات مع أشخاص لم يسمع توماس عنهم قط، وبعد ساعات من العمل، عثروا أخيراً على عنوان من شخص سمَّاه خورخي «صديقاً لصديق عدو عدو». وعندئذٍ كان الوقت قد تأخر، وخذلوا جميعهم إلى النوم، نام توماس ومينهو على الأرض، والاثنتان الآخران على السريرين.

وفي الصباح التالي اغتسلوا، وتناولوا الطعام، وارتدوا ملابسهم الجديدة، ثم استقلوا تاكسي، وتوجهوا رأساً إلى المكان الذي قيل لهم إن هانز يعيش فيه؛ مبنى شقق بحالة أفضل قليلاً من مبنى جالي، صعدوا إلى الطابق الرابع، وطرقوا باباً معدنياً رمادياً. ظلت السيدة التي فتحت الباب تقول إنها لم تسمع قط بأي شخص اسمه هانز، لكن خورخي واصل الضغط، وعندئذٍ أطل من فوق كتف المرأة رجلٌ عريض الفك ذو شعر رماديّ.

قال بصوت أجش:

- دعيهم يدخلوا.

وبعد نحو دقيقة، كان توماس وأصدقاؤه الثلاث يقعدون حول طاولة متداعية في المطبخ، وأعينهم مركزة على الرجل الساهم المتجهّم الذي يُدعى هانز. قال:

- سعيد برؤيتك بخير يا برندا، وأنت أيضًا يا خورخي، لكنني لست في مزاج يسمح بتجاذب أطراف الحديث، ومعرفة الأحوال، فلماذا لا تخبرانني بما تريدانه فحسب؟
أجابت برندا:

- أظنك تعرف السبب الرئيسيّ لمجيئنا..

ثم أومأت نحو توماس ومينهو:

- لكننا أيضًا سمعنا للتو أن وكِد رصدت جائزة مقابل رأسك، فنريد أن ننجز هذا الأمر بسرعة، ثم عليك مغادرة هذا المكان.

بدا هانز غير مكترث بالجزء الأخير، ونظر إلى زبونه المحتملين، وقال:

- ما زلتما لديكما أجهزة مزروعة في دماغيكما، أليس كذلك؟

أومأ توماس متوترًا، لكنه عازم على الانتهاء من الأمر:

- أريد إخراج جهاز التحكم فحسب، ولا أريد استعادة ذكرياتي، كما أريد معرفة كيفية إجراء هذه العملية أولًا.

تغصّن وجه هانز مشمئزًا:

- أي ترهات هذه؟! من هذا الرعديد الجبان الذي جلبته إلى منزلي يا برندا؟

قال توماس قبل أن تتمكن من الرد:

- لست جبانًا، لقد عبث كثيرون برأسي!

رفع هانز يديه مستنكرًا، ثم صفع الطاولة:

- من قال إنني سأفعل أي شيء برأسك؟ من قال إنني أستلطفك بما يكفي لفعل هذا؟!!

غمغم مینهو:

- هل من أناسٍ لطفاء في دنفر؟

- أمامكم ثلاث ثوانٍ قبل أن ألقىكم خارج شقتي!

صاحت برندا:

- فليصمت الجميع لحظة!

ثم مالت نحو هانز، وتحدثت بصوت أهدأ:

- اسمع، هذا الأمر مهم، توماس مهم، ستفعل وكد كل شيء لتلقي

القبض عليه، ولا يمكننا المخاطرة بانتظار اقترابهم بما يكفي لبيدوا

التحكم به أو بمينهو.

رمق هانز توماس بنظرة صارمة، متفحصًا إياه كعالم يدقق النظر في

عينة، وقال:

- لا يبدو لي مهمًا!

ثم هز رأسه، ونهض قائلاً:

- أمهلوني خمس دقائق لأتحضر.

ثم اختفى عبر باب جانبيّ دون مزيد من التوضيح. ولم يسع توماس

سوى التساؤل عما إذا كان الرجل قد تعرف عليه، وعما إذا كان يعرف ما كان

يؤديه لصالح وكد قبل المتاهة.

تراجعت برندا في كرسيها، وأطلقت تنهيدة:

- لم يكن هذا صعبًا جدًا.

قال توماس لنفسه: «أجل، الجزء الصعب قادم». كان يشعر بارتياح،

لأن هانز سوف يساعدهم، لكن بعدما جال ببصره فيما حوله تصاعد توتره،

فهو سيسمح لغريب بالعبث بدماعه في شقة قدرة قديمة.

قال مینهو بضحكة مكتومة:

- تبدو خائفًا يا تومي!

قال خورخي:

- لا تنس يا فتى، سوف تُجري العملية أنت أيضًا، ذلك الجد رمادي الشعر
قال: «خمس دقائق»، استعد.

أجاب مينهو:

- أفضل أن يعجل.

وضع توماس مرفقيه على الطاولة ورأسه -الذي بدأ ينبض- على يديه.

همست برندا:

- توماس، هل أنت بخير؟

رفع بصره قائلًا:

- أريد أن...

غص حلقه بألم حاد مفاجئ يمزق عموده الفقري، لكنه تلاشى بنفس
السرعة، فجلس منتصبًا على الكرسي، وجِلًا، ثم تباعدت ذراعه فجأةً بتشنج
وركل بساقيه، وتلوى جسده حتى انزلق من الكرسي، وانهار على الأرض
مرتعشًا، صرخ عندما ارتطم ظهره بالبلاط الصلب، وجاهد ليسيّطر على
أطرافه المنفلتة، لكنه لم يستطع، ظل يخبط الأرض بقدميه، وقصبتا ساقيه
ترتطمان بساقي الطاولة.

صرخت برندا:

- توماس! ما بك؟

كان عقل توماس صافيًا رغم فقدانه السيطرة على جسده، رأى بطرف
عينه مينهو جواره على الأرض يحاول تهدئته، وخورخي متمسّر في مكانه،
وعيناه مفتوحتان على اتساعهما. حاول أن يتكلم، لكن لم يخرج من فمه شيء
سوى اللعاب.

صاحت برندا، وهي تنحني عليه:

- أيمكنك سماعي؟ توماس.. ما بك؟!

سكنت أطرافه فجأةً، واستوت ساقاه واستقرتا، وارتخت ذراعه إلى
جانبيه، لم يستطع تحريك أطرافه، حاول جاهدًا، لكن لم يحدث شيء، وحاول
أن يتكلم مرة أخرى، لكن لم تخرج أي كلمات.

ارتسمت تعابير الرعب على وجه برندا:

- توماس؟! -

بدأ جسد توماس يتحرك دون إرادته، تحركت ذراعاها وقدماه، كان ينهض ليقف على قدميه، كأنه صار دمياً، حاول أن يصرخ، فلم يستطع.

سأل مينهو:

- أنت بخير؟ -

دَبَّ الذعر في توماس، وهو يفعل أشياء ضد إرادته، ارتعش رأسه، ثم استدار نحو الباب الذي اختفى عبره مضيفهم، وبدأت الكلمات تتدفق من فمه، لكن لم تكن لديه فكرة عن مصدرها:

- لن... أسمح لكم... بفعل هذا!

الفصل السابع والعشرون

صارع توماس بكل ما يملك من قوة ليسيّطر على عضلاته، لكن شيئاً دخليلاً سيّطر على جسده.

صاحت برندا:

- توماس، لقد نالوا منك! قاومهم!

شاهدته عاجزة، وهو يدفع وجهها بعيداً بيده، وتهافت على الأرض. تحرك خورخي لحمايتها، لكن توماس انقض عليه بلكمة في ذقنه، فارتد رأس خورخي للوراء، وتطاير رذاذ دم خفيف من شفته. ومجدداً خرجت الكلمات من فم توماس رغماً عنه:

- لن... أسمح لكم... بفعل هذا!

وبحلول هذا الوقت كان يصرخ، والمجهود يؤلم حنجرته. كأن دماغه بُرمج بهذه الجملة الوحيدة، فلا يستطيع قول شيء آخر. نهضت برندا، ولبث مینهو واقفاً دهشاً، واكتسى وجهه بقناع من الحيرة، وكان خورخي يمسح الدم عن ذقنه، وعيناه تقدحان شرراً من الغضب.

انبتقت ذكرى في ذهن توماس، شيء عن احتياط أمان مبرمج في الشريحة المزروعة في دماغه لمنع إزالتها، وأراد أن يصيح لأصدقائه، ويطلب منهم تخديره، لكنه لم يستطع، وبدأ يسير نحو الباب بخطوات متعثرة، دافعاً مینهو بعيداً عن طريقه، وفي أثناء سيره متعثراً متجاوزاً منضدة المطبخ، امتدت يده، وأمسكت سكيناً بجوار حوض الغسيل، قبض على يد السكين، وكلما حاول جاهداً إسقاطها، اشتد تشبث أصابعه بها.

صاح مینهو بعدما انتشل نفسه من اندهاشه أخيراً:

- توماس! قاومهم يا رجل! أخرج هؤلاء الخُرق من دماغك!

استدار توماس ليواجهه، ورفع السكين، كره نفسه لضعفه وعجزه عن التحكم في جسده، وحاول التكلم مرة أخرى، لكن لا شيء. عندئذ ما كان جسده ليفعل شيئاً سوى منع إزالة الشريحة المزروعة.
سأله مينهو:

- هل ستقتلني أيها الأخرق؟ ستلقي عليّ هذا الشيء كما فعل جالي بتشاك؟! افعلها إذن.. ألقها!

وللحظة ارتعب توماس من أن هذا ما سيفعله بالضبط، لكن بدلاً من هذا استدار جسده في الاتجاه المعاكس، وحالما استدار، خرج هانز عبر الممشى، واتسعت عيناه، فخمن توماس أن هانز هو هدفه الرئيسي، وأن احتياط الأمان سيهاجم أيًا كان الذي سيحاول إزالة شريحته.

سأل هانز:

- ما هذا بحق الجحيم؟!

أجاب توماس:

- لن... أسمح لكم... بفعل هذا!

غمغم هانز:

- هذا ما كنت أخشاه!

ثم التفت نحو المجموعة:

- هيا يا رفاق، اقتربوا وساعدوني!

تصوّر توماس آلية العمل الداخلية في دماغه، كأنها أدوات صغيرة جدًا تشغلها عناكب صغيرة جدًا، قاومها، وكزّ بأسنانه، لكن ذراعه بدأت ترتفع، وقبضته القوية محكمة حول السكين.

- لن أس...

وقبل أن يتم كلامه ارتطم أحدهم به من الخلف، فأسقط السكين من يده، وسقط على الأرض وتلوّى، فرأى مينهو. قال صديقه:

- لن أدعك تقتل أي أحد.

زقق توماس:

- ابتعد عني!

ولم يكن متأكدًا مما إذا كانت هذه كلماته، أم كلمات وكيد.

لكن مينهو كان قد ثبتت ذراعِي توماس على الأرض، وظل فوقه لاهتًا:

- لن أنهض عنك حتى يحرروا عقلك!

أراد توماس أن يبتسم، لكن وجهه لم يستجب حتى لهذا الأمر البسيط، وأحس بالتوتر في جميع عضلات وجهه.

قالت برندا:

- لن يتوقفوا حتى يعالجه هانز، ما العمل يا هانز؟

جثا الرجل الأكبر سنًا على ركبتيه جوار توماس ومينهو قائلاً:

- لا أصدق أنني عملت ذات يوم لصالح هؤلاء الناس.. لصالحك أنت!

كاد يبصق بالكلمة الأخيرة، وهو ينظر إلى توماس مباشرة.

شاهد توماس كل هذا عاجزًا، ودواخله تمور بالرغبة في الاسترخاء ليساعد هانز على فعل ما عليه فعله، وعندئذٍ قُدِحَ زناد شيء بداخله، فجعل وسطه يتقوّس للأعلى، وانتفض جسده، وقاتل ليحرر ذراعيه، فضغطة مينهو للأسفل، محاولًا عدل ساقيه ليقعد على ظهر توماس، لكن أيًا كان ما يسيطر على توماس بدا أنه يضخ الأدرينالين في أوصاله، فقهرت قوته مينهو، وألقى الفتى بعيدًا. انتصب توماس على قدميه فورًا، وحمل السكين من الأرضية، واندفع نحو هانز، منقضًا عليه بنصل السكين، فأبعدها الرجل بذراعه، فظهر عليها جرح أحمر، والاثنتان يسقطان ويتدحرجان على الأرضية. فعل توماس كل ما بوسعه ليووقف نفسه، لكن السكين ظلت تهوي، وظل هانز يتفادها.

زعقت برندا من مكان قريب:

- أمسكاه!

رأى توماس أيادي تظهر، وأحس بها تقبض على ذراعيه، أمسك به أحدهم من شعره، وشده للخلف، فصرخ توماس من الألم، ثم طوّح بالسكين أمامه عشوائيًا، وغمره الارتياح. كان خورخي ومينهو يسيطران على الوضع، وجذباه بعيدًا عن هانز. تهالك توماس على ظهره، وانتزعت السكين من يده، وسمع صوتها المعدنيّ على الأرضية، وأحدهم يركلها إلى الجانب البعيد من المطبخ.

صرخ توماس:

- لن أسمح لكم بفعل هذا!

وكره نفسه رغم علمه أنه لا يسيطر على جسده.

صاح مينهو في وجهه، وهو يقاوم محاولات توماس للإفلات:

- اخرس! إنك مجنون يا صاح! إنهم يجعلونك مجنوناً!

أراد توماس بشدة أن يقول لمينهو إنه محق.. غير مصدق لما يقوله.

التفت مينهو، وزعق بهانز:

- فلنُخرج هذا الشيء من رأسه!

صرخ توماس:

- لا! لا!

تلوَّى وتخبط بذراعيه، وصارعهما بقوة وشراسة، لكن أربعتهم كانوا كثيرين عليه، وبطريقة ما انتهى بهم المطاف، وكل واحد منهم ممسك بقوة بأحد أطرافه، ثم رفعوه من الأرضية، وحملوه خارج المطبخ إلى ممشى قصير، حيث راح يركل ويتلوَّى مُسَقَطاً عدة صور مؤطرة من الجدران، ولحقت بهم أصوات تهشُّم الزجاج. صرخ توماس مرة، ثم مرة أخرى، مرارًا وتكرارًا، لم تُعد لديه طاقة لمقاومة القوى الداخلية. قاتل جسده مينهو والآخرين، وقال كل ما أرادت وكِد منه أن يقوله.. استسلم.

صاح هانز من فوقه:

- ادخلوا هنا!

دخلوا معملًا صغيرًا مكتظًا، به طاولتان مملوءتان بالأدوات، وسرير يتدلى فوقه قناع يبدو نسخة بدائية من القناع الذي رآوه في مقر وكِد.

زعق هانز:

- ضعوه على السرير!

فهووا بتوماس الذي يواصل الانتفاض.

- ثبَّتوا لي ساقه، عليَّ أن أفقده وعيه.

استجاب مينهو الذي كان يمسك بساق واحدة، فأمسك بالساقين، واستخدم جسده ليضغطهما على السرير، فعادت أفكار توماس فوراً إلى لحظة سابقة، عندما فعل هو ونيوت الشيء نفسه بالبي عندما استيقظ من التحول في بيت مزرعة الجلايد. سمع خشخشة وجلبة في أثناء تنقيب هانز في درج، بحثاً عن شيء، ثم وهو يعود قائلًا:

- اجعلوه ساكنًا بقدر الإمكان!

انفجر توماس بمجهود أخير ليتحرر، صارخًا بأعلى صوته، فانفلتت ذراع من قبضة برندا، وهوت بلكمة على وجه خورخي. صاحت برندا، وهي تحاول الإمساك بها:

- توقف!

قوَس توماس جذعه مجددًا:

- لن أسمح لكم... بفعل هذا!

لم يشعر بمثل هذا الإحباط من قبل قط.

صاح هانز:

- ثبّتوه جيدًا، اللعنة!

بطريقة ما أمسكت برندا بذراعه مجددًا، ومالت عليها بالجزء العلوي من جسدها. أحس توماس بوخزة حادة في ساقه. كان أمرًا غريبًا أن يقاوم مقاومًا شيئًا بشراسة، وفي الوقت نفسه يريد به بكل جوارحه.

وعندما بدأ الظلام يكتنفه، وسكن جسده، استعاد سيطرته على جسده أخيرًا، وقال في آخر لحظة:

- أمقت هؤلاء الخرق!

ثم غاب عن الوعي.

الفصل الثامن والعشرون

حلم توماس، تائهاً في عتمة تأثير المخدر. إنه في الخامسة عشرة من عمره، جالسٌ على سرير، الغرفة مظلمة عدا وهجاً كهربائياً منبعثاً من مصباح على المكتب، تيريسا هناك، جذبت كرسياً، وقعدت قريبة منه، وجهها ملتاع، يسربله قناع من البؤس.

تقول بصوت خافت:

- اضطررنا إلى فعل هذا.

توماس هناك، لكنه شارد، لا يتذكر تفاصيل ما حدث، لكنه يعرف أنه يشعر بأحشائه نخرة وقذرة، فهو وتيريسا قد فعلا شيئاً مريعاً، بيد أن ذاته الحاملة عاجزة عن استكناه ما فعلاه بالضبط؛ شيءٌ شنيع لا يغدو أقل شناعة لأن من فعلوه بهما هم الذين أمروهما بفعله.

تُكر:

- اضطررنا إلى فعل هذا!

يجيب توماس بصوت ميت هامد:

- أعرف.

كلمة واحدة تنبثق في ذهنه: «التطهير». الجدار الذي يحجبه عن ذكرياته لوهلة، وحقيقة مروعة تلوح على الجانب الآخر.

تعاود تيريسا الكلام:

- أرادوا نهاية حياتهم على هذا النحو يا توم، من الأفضل الموت بدلاً من إمضاء السنوات زحفاً نحو الجنون ببطء، لقد رحلوا الآن، لم يكن أمامنا خيار، ولا طريقة أفضل لفعلها، قُضي الأمر، وحدث ما حدث، علينا

تدريب الأشخاص الجدد، ومواصلة التجارب، لقد قطعنا شوطًا طويلًا،
فلا يجوز أن نتخلى عنها.

يمقتها توماس لوهلة، لكنه شعور سريع الزوال، إذ يعرف أنها تحاول أن
تكون قوية؛ يقول:

- هذا لا يعني أنني عليّ أن أحب ما فعلناه!
ولم يكن يحبه، لم يسبق له أن كره نفسه هذه الكراهية الشديدة من قبل
قط.

تومى تيريسا، ولا تقول شيئًا.

يحاول توماس الحالم أن يغزو دماغ ذاته الصغيرة الماضية، وأن
يستكشف الذكريات في ذلك الفضاء غير المقيّد. المؤسسون الأصليون، جرى
تطهيرهم وماتوا، أعداد لا تحصى يريدون أخذ أماكنهم، تجربتًا المتاهتين
الحاليتين تجريان على قدم وساق منذ عام، تريد منهما المزيد من النتائج
يوميًا. المخطط الأولي تتضح معالمه ببطء، لكن بثقة.. تدريب البدلاء. كلها
موجودة في انتظار من يتولاها، في انتظار من يتذكرها، لكنه عندئذٍ يغير
رأيه، ويدير ظهره لكل شيء، الماضي مضى، ما من شيء سوى المستقبل
الآن... يغوص في عالم نسيان مظلم.

يستيقظ توماس مشوشًا تحت تأثير المخدر شاعرًا بألم خفيف خلف
عينيه، والحلم لا يزال ينبض في جمجمته كدقات قلب، لكن تفاصيله صارت
ضبابية، كان يعرف ما يكفي عن التطهير، وأن التطهير كان يمثل الانتقال
من المؤسسين الأصليين إلى بدلائهم، هو وتيريسا كانا عليهما إبادة طاقم
الموظفين بأكمله بعد موجة تفشٍ جديدة للفيروس، لم يكن أمامهما خيار،
وقد كانا الوحيدين اللذين لديهما مناعة. أقسم بالأمر مجددًا أبدًا.

كان مينهو يقتعد كرسياً على مقربة منه، رأسه متدلٍ، وهو يغط في نوم
متقطع.

همس توماس:

- مينهو، مينهو، استيقظ.

فتح مينهو عينيه ببطء، وسعل:

- ها؟ ماذا؟ ماذا يجري؟!

- لا شيء، أريد معرفة ما حدث، هل عطَّل هانز الشيء؟ هل تعالجننا؟

أوما مينهو متثائبًا: مكتبة سُر من قرأ

- نعم.. كلانا، على الأقل هذا ما قاله. يا رجل، لقد جن جنونك، وأقمت

الدنيا، ولم تقعدها! أتتذكر كل هذا؟

غمرته موجة حرج جعلته يحمر بحرارة:

- أتذكر بالطبع، لكن كأنني كنت مشلولًا أو شيئًا من هذا القبيل، ظلت

أحاول، لكنني عجزت عن إيقاف ما يسيطر عليّ!

- يا صاح، كدت تقطع مني... ذلك الجزء المعلوم لديك!

ضحك توماس، ولم يكن قد ضحك منذ مدة طويلة، ورَّحَّب بمزحة مينهو

سعيديًا، وقال:

- هذا مما يؤسف له! لأنقذتُ العالم من النُسخ المستقبلية الصغيرة من

مينهو!

- تذكر أنك مدين لي.

- حلو الكلام.

كان مدينًا لهم جميعًا.

دخل خورخي وبرندا وهانز، ثلاثتهم يبدون جادِّين، فسقطت الابتسامة

عن وجه توماس. قال توماس مصطنعًا نبرة مبتهجة في صوته:

- هل عرَّج جالي عليكم، وألقى خطبة تحفيزية أخرى؟

أجابه خورخي:

- متى غدوت بهذا المرح يا فتى؟ قبيل ساعات كنت على وشك بقر بطوننا

بسكين!

فتح توماس شفثيه ليعتذر.. ليوضح، لكن هانز أسكته، ومال فوق السرير،

وأضاء مصباحًا صغيرًا في عينيه، ثم قال:

- يبدو أن رأسك يُشفى بشكل جيد، ينبغي أن يختفي الألم قريبًا، عمليتك

كانت أسوأ قليلًا بسبب احتياطات الأمان.

حوّل توماس انتباهه إلى برندا، وسألها:

- هل تعالجتُ؟

قالت:

- نجحت العملية، وبالنظر إلى حقيقة أنك لم تُعد تحاول قتلنا، فقد عُطّلت الشريحة، و...

- وماذا؟

- لن تتمكن من التخاطر مع تيريسا وأريس مجددًا.

ربما كان توماس قد أحس بوخزة حزن على هذا الفقد حتى اليوم السابق، لكنه لم يشعر سوى بالارتياح الآن:

- يناسبني تمامًا. هل ظهرت أي إشارة لمتاعب؟

هزت رأسها:

- لا، لكن لا يمكنهم أن يخاطروا بأي شيء.. سوف يغادر هانز مع زوجته، لكنه يريد إخبارك بشيء أولًا.

كان هانز قد تراجع ليقف قرب الجدار، على الأرجح ليمنحهم شيئًا من الخصوصية، فنقدم نحوهم، وعيناه غائمتان:

- أتمنى لو كان بمقدوري الذهاب معكم ومساعدتكم، لكن لدي زوجة، وهي أسرتي، وتمثّل أهم شواغلي، أردت أن أتمنى لكم حظًا موفقًا، وأمل أن تتمكنوا من فعل ما لا أملك الشجاعة على محاولة فعله.

أومأ توماس، وكان التغيير في سلوك الرجل تجاهه واضحًا؛ ربما نكّرته الحادثة الأخيرة بمدى ما قد تذهب ويكِد إليه في أفعالها. قال:

- شكرًا، وإذا تمكنا من إيقاف ويكِد، فسوف نعود من أجلك.

غمغم هانز:

- سنرى ما سيحدث بهذا الشأن.. سنرى ما سيحدث بشأن أشياء كثيرة.

سألت برندا:

- ما الخطوة التالية؟

كان توماس يعرف أنه لا وقت لديهم للراحة، وكان عاقداً العزم على ما عليهم فعله:

- علينا العثور على أصدقائنا الآخرين، وإقناعهم بالانضمام إلينا، ثم العودة إلى جالي. إنجاز حياتي الوحيد هو أنني ساعدت في إعداد تجربة فشلت، وعذبت مجموعة من الصبية، حان الوقت لإضافة شيء آخر إلى هذه القائمة، سوف نوقف العملية بأكملها قبل أن ينفذوها على أصحاب مناعة جدد مرة أخرى.

تكلم خورخي أول مرة منذ مدة:

- نحن؟ ما الذي تقوله يا أخي؟!

نقل توماس بصره إلى الرجل، وقد توطدَّ عزمه:

- علينا مساعدة الذراع اليمنى.

لم يقل أحد شيئاً.

قال مينهو أخيراً:

- طيب، لكن أولاً دعونا نجد شيئاً نأكله.

الفصل التاسع والعشرون

ذهبوا إلى مقهى مجاور أوصى به هانز وزوجته. لم يسبق لتوماس أن ارتاد مكاناً كهذا، أو على الأقل مكاناً كهذا يتذكره، كان الزبائن يصطفون عند النضد، يحملون القهوة والمعجنات، ثم يتوجهون نحو طاولة، أو يخرجون من الباب. ظل يشاهد امرأة متوترة كبيرة السن نسبياً، وهي ما تنفك ترفع كمامتها الجراحية لتحتسي مشروبها الساخن، وأحد أولئك الحراس الذين يرتدون قمصاناً حمراء يقف عند الباب، يفحص الناس عشوائياً كل دقيقتين ليعرف ما إذا كانوا مصابين بالوهج، مستخدماً جهازاً يدوياً، وهو نفسه يضع قناعاً معدنياً غريباً يغطي فمه وأنفه.

قعد توماس مع مينهو وبرندا إلى طاولة في الركن الخلفي، وذهب خورخي ليحضر الطعام والمشروبات، وما فتئت عينا توماس تعودان إلى رجل -ربما في الخامسة والثلاثين أو الأربعين من عمره- يقعد على مقعد على مقربة منهم، أمام نافذة عملاقة مطلة على الشارع، ولم يكن قد مس قهوته منذ وصول توماس وأصدقائه، ولم يعد البخار يتصاعد من الكوب، ظل الرجل منحنياً، واضعاً مرفقيه على ركبتيه، ويداه متشابكتان باسترخاء، محدقاً إلى نقطة على الجانب الآخر من المقهى.

كان ثمة ما يثير القلق في النظرة التي تعلق وجهه؛ نظرة مسطحة خالية من أي تعابير، عيناه كأنهما تطفوان في محجريهما، ورغم هذا فيهما شيء من بهجة. وعندما لفت توماس انتباه برندا إليه، همست له بأن الرجل على الأرجح تحت تأثير مخدر «النعيم»، وسوف يُزج به في السجن إذا افْتُضِح أمره، فأحس توماس بقشعريرة، وتمنى مغادرة الرجل سريعاً.

عاد خورخي حاملاً الشطائر، وأكواب القهوة التي يتصاعد منها البخار، فأكل أربعتهم وشربوا بصمت. كان توماس يعرف أنهم جميعهم يدركون مدى دقة وضعهم، لكنه كان ممتناً للاستراحة، واستعادة بعض قوته.

انتهوا، وكانوا يهْمُون بالمغادرة، لكن برندا ظلت في مقعدها، وقالت:

- أتمانعان الانتظار بالخارج بضع دقائق؟

وأوضحت نظراتها أنها تقصد خورخي ومينهو. أجاب مينهو بنبرة حانقة:

- أستميكك عذراً، المزيد من الأسرار؟

- لا.. لا شيء من هذا القبيل، أعذك، أريد لحظة فحسب، أود إخبار توماس بشيء.

فوجئ توماس، لكن ساوره الفضول، فعاد إلى مقعده قائلاً لمينهو:

- اذهب، تعرف أنني لن أخفي عنك شيئاً، وهي تعرف هذا أيضاً.

تأفف صديقه، لكنه ذهب أخيراً مع خورخي، وكلاهما وقف على الرصيف جوار أقرب نافذة، وابتسم مينهو ابتسامة بلهاء، ولوّح له، فأوضح تهكمه أنه غير سعيد بما يجري، ولوّح له توماس، ثم ركز على برندا، وسأل:

- إذن؟ فيم كل هذا؟!

- أعرف أننا علينا أن نتعجل، لذا سأختصر.. لم يتسنّ لنا الوقت لنكون

وحدنا، ولا أريد سوى الحرص على أن تعرف أن ما حدث في الأرض

المحترقة لم يكن تمثيلاً؛ كنت هناك أؤدي وظيفة، كنت هناك لأساعد

على سير الأمور كما خُطِّط لها، لكنني شعرت بالقرب منك **حقاً**، وقد

غيرتني التجربة **حقاً**. وثمة بضعة أشياء أعتقد أنك تستحق معرفتها

عني، وعن المستشاراة بايج، وعن...

رفع توماس يده مقاطعاً:

- أرجوك توقفي!

تراجعت وقد علت الدهشة وجهها:

- ماذا؟! لماذا؟!

- لا أريد أن أعرف أي شيء، ولا شيئاً إضافياً واحداً، لا يهمني سوى ما سنفعله من الآن فصاعداً، لا أكثرث بمسائل متعلقة بماضيّ أو ماضيك أو ماضي وكِد، لا شيء، كما علينا أن نتحرك!
- لكن...

- لا يا برندا، أعني ما أقوله، نحن هنا ولدينا هدف، وهو كل ما علينا التركيز عليه، لا مزيد من الكلام.

بادلته النظرات دون أن تقول شيئاً، ثم خفضت بصرها لتنظر إلى يديها المستلقيتين على الطاولة، وقالت:

- إذن كل ما سأقوله إنك تفعل ما هو صائب، وتسير في الاتجاه الصحيح، وسأواصل المساعدة بأفضل ما يمكنني.

كان توماس يأمل أنه لم يجرح مشاعرها، لكنه كان يقصد ما قاله، حان الوقت لنسيان الأمر، رغم أنها من الواضح كانت ترغب بشدة في إخباره بشيء، وفي أثناء بحثه عن رد، شردت عيناه عائدتين إلى الرجل الغريب على المقعد، أخرج من جيبه شيئاً لم يستطع توماس رؤيته، وكان يضمه تحت مرفقه الأيمن، وأغمض عينيه لوهلة، وبدأ دائخاً قليلاً عندما فتحهما، ومال رأسه ببطء إلى الوراء حتى استقر على النافذة.

دخل فاحص الوهج ذو القميص الأحمر إلى المقهى، ومال توماس ليلقي عليه نظرة أوضح، سار القميص الأحمر نحو المقعد، حيث لا يزال الرجل الذي تحت تأثير المخدر مسترخياً بسلام، وامرأة قصيرة تسير إلى جانب الفاحص، وتهمس في أذنه، وتتململ متوترة.

قالت برندا:

- توماس؟

وضع إصبعاً على شفثيه، ثم أوماً ناحية المواجهة المحتملة، فالتفتت في مقعدها لترى ما يجري. ركل القميص الأحمر إصبع قدم الرجل القاعد على المقعد، الذي أجفل ورفع بصره، وبدأ الرجلان يتبادلان الكلمات، لكن توماس لم يتمكن من سماع ما يقولانه وسط حركة وجلبة المقهى المزدهم، وبدأ الرجل الذي كان مسترخياً خائفاً فجأةً.

التفتت برندا إلى توماس قائلة:

- علينا مغادرة هذا المكان.. الآن.

- لماذا؟

بدا أن الهواء قد صار أكثر كثافة، وتملك الفضول توماس لمعرفة ما سيحدث.

نهضت برندا قائلة:

- هيا فحسب!

استدارت وسارت بخفة نحو المخرج، وتحرك توماس أخيرًا لمتبعها، وكان قد نهض بالكاد عن كرسيه عندما سحب القميص الأحمر مسدسًا، وصوبه نحو الرجل الذي على المقعد، ثم مال ليضع جهاز فحصه على وجه الرجل، لكن الرجل أبعد الجهاز بضربة، واندفع للأمام مشتبكًا بالفاحص. ظل توماس يحدق، متسمرًا من الصدمة. انزلق المسدس واختفى تحت منضدة، وارتطم الرجلان بطاولة، وسقطا على الأرض بعنف. بدأ القميص الأحمر يزعق، وصوته المنبعث من خلف القناع المعدنيّ الواقى الذي يغطي فمه وأنفه، كأنه صوت روبوت:

- معنا مصاب بالفيروس! على الجميع إخلاء المبنى!

ساد الهرج والمرج في المكان، وتشبع الهواء بالصرخات مع انكباب الجميع على المخرج الوحيد.

الفصل الثلاثون

تمنى توماس لو أنه لم يتردد، كان ينبغي له أن يركض عندما كانت الفرصة متاحة، إذ تدفقت كومة أجساد، فاختنق الباب، ولما استطاعت برندا العودة إلى الداخل حتى لو حاولت، وظل توماس عالقًا عند الطاولة، يشاهد مصعوقًا الرجلين المشتبكين على الأرض، وكلُّ منهما يحاول التغلب على الآخر بتبادل اللكمات والجذبات.

أدرك توماس أنه رغم احتمال تأذيّه من الحشد المتدافع، فليس ثمة ما يقلق بشأنه، فهو لديه مناعة، وقد أُصيب بقية الناس في المقهى بالذعر لمعرفتهم بأن الفيروس قريب منهم، ومن المفهوم أن واحدًا منهم على الأقل قد أُصيب به، لكن ما دام قادرًا على البقاء بعيدًا عن التدافع، فهو على الأرجح بأمان حيث هو.

ضرب أحدهم على النافذة، والتفت توماس، فرأى برندا إلى جوار مينهو وخورخي على الرصيف، وهي تشير له بجزع محموم طالبةً منه الخروج، لكن توماس أراد مشاهدة ما يجري.

تمكن القميص الأحمر أخيرًا من تثبيت الرجل على الأرض، وصاح بذلك الصوت الآليّ المخيف:

- انتهى الأمر! إنهم في طريقهم إلى هنا.

كف الرجل المصاب عن المقاومة، وأجهش بنشيج مصحوب بارتعاش، وعندئذٍ أدرك توماس أن الحشد غادر بأكمله، وأن المقهى صار مقفرًا باستثنائه هو والرجلين، وخيّم على المكان صمتٌ مريب.

ألقي القميص الأحمر نحوه نظرة خاطفة:

- لماذا ما زلت هنا يا فتى؟ هل تريد الموت؟!

لكنه لم يدع توماس يجيب:

- وما دمتَ باقياً كن مفيداً، واعرث لي على المسدس.

وأعاد انتباهه إلى الرجل الذي قبض عليه. أحس توماس كأنه في حلم، كان قد شهد الكثير من العنف، لكن هذا مختلف بطريقةٍ ما. ذهب ليحضر المسدس من تحت المنضدة حيث انزلق، وتلعثم قائلاً:

- لـ... لدي مناعة.

جثا على ركبتيه، وبحث محرّكاً يده حتى عثرت أصابعه على المعدن البارد، فأخرج المسدس، وسار نحو القميص الأحمر. لم يقدم الرجل أي شكر، أخذ مسدسه، وقفز ليقف على قدميه، مصوباً سلاحه إلى وجه الرجل المصاب، وقال:

- هذا سيئ.. سيئ حقاً! تزايدت هذه الحوادث مؤخرًا.. صار الواقعون تحت تأثير مخدر النعيم معروفين.

غمغم توماس:

- إذن كان النعيم بالفعل.

سأل القميص الأحمر:

- كنت تعرف؟

- بدا غريب الأطوار منذ وصولي إلى هنا.

كاد الجلد حول قناع الحارس يماثل لون قميصه:

- ولم تُقل شيئاً؟ ما خطبك؟!

بوغت توماس بغضب القميص الأحمر المفاجيء:

- أنا... أنا آسف، لم أكن أدري ما يجري!

كان الرجل المصاب قد انكمش على نفسه متكوراً على الأرض وينشج، وابتعد القميص الأحمر عنه أخيراً، ونظر إلى توماس نظرة صارمة:

- لم تكن تدري؟! أي نوع من... من أين أنت؟

تمنى توماس بشدة لو أنه ركض سابقاً:

- أنا... اسمي توماس، أنا لا أحد، أنا مجرد...

بحث عن شيء ليقوله، ويوضح موقفه:

- لستُ من هذه المنطقة، آسف.

أدار القميص الأحمر سلاحه نحوه قائلاً:

- اقعد... اقعد هناك.

وأشار بمسدسه نحو كرسي مجاور.

قرقع قلب توماس في صدره:

- مهلاً! أقسم إنني لدي مناعة! لهذا لم...

- اقعد! حالاً!

انهارت ركبتا توماس، وتهالك على الكرسي، وألقى نظرة خاطفة ناحية الباب، فانشرح صدره قليلاً عندما رأى مينهو واقفاً عنده، وبرندا وخورخي خلفه، لكن توماس لم يرغب في تدخل أصدقائه، لم يرغب في المخاطرة بتعريضهم لأذى، فهز رأسه سريعاً ليخبرهم بأن لا يتدخلوا.

تجاهل القميص الأحمر الناس الواقفين عند المدخل، وصب كامل تركيزه على توماس:

- إذا كنت متأكدًا من كونك منيعًا، فلن تمنع الفحص لإثبات كلامك، أليس كذلك؟

- بلى، افحص على الفور.

أراحته الفكرة في الحقيقة، فربما يدعه الرجل يذهب حالما يدرك صدقه. وضع القميص الأحمر المسدس في جرابه، ودنا من توماس، ثم أخرج جهازه، ومال إلى الأمام ليضعه على وجه توماس. قال الرجل:

- انظر فيه، وعيناك مفتوحتان، لن يستغرق سوى بضع ثوانٍ.

امتثل توماس لما أمر به، راغبًا في الانتهاء من الأمر بأسرع ما يمكن، رأى وميض الأضواء الملونة نفسه الذي رآه عند بوابات المدينة، وأحس بنفحة الهواء نفسها، والوخزة نفسها على عنقه. استرجع القميص الأحمر الجهاز، ونظر إلى القراءات على شاشة صغيرة:

- حسنًا، مَنْ كان ليدرري؟ إنك منيع فعلاً، هل لك أن تفسر لي كيفية مجيئك إلى دنفر، وعدم معرفتك شيئاً عن النعيم، أو كيفية التعرف على متعاطيه عندما ترى واحدًا منهم؟

- أعمل لدى وكيد.

خرجت العبارة قبل أن يمعن التفكير فيها؛ أراد يائسًا مغادرة المقهى.

- أصدق هذا الهراء بقدر ما أصدق أن ما تعاطاه هذا الرجل لا علاقة له بالوهج على الأرجح، ابق ملتصقًا بكرسيك، وإلا بدأت إطلاق النار. ازدرد توماس ريقه، ولم يكن خائفًا بقدر ما كان غاضبًا من نفسه على التورط في مثل هذا الموقف السخيف، وقال:
- حسنًا.

استدار القميص الأحمر، وقد وصلت نجدته؛ أربعة أشخاص مسربلين من رؤوسهم إلى أخمص أقدامهم ببلاستيك أخضر سميك، عدا وجوههم، وأعينهم تغطيها نظارات كبيرة، وتحتها قناع مثل الذي يضعه القميص الأحمر. برقت الصور في عقل توماس، لكن التي رسخت في خياله كانت من ذاكرته المكتملة، عندما اصطُجِب من الأرض المحترقة بعدما التهب الجرح الذي سببته له الرصاصة، إذ كان جميع من على متن البيرج يرتدون الملابس، والمعدات نفسها التي يرتديها هؤلاء الأربع.

قال أحدهم بصوته الآليّ هو الآخر:

- ماذا يجري؟ ألقيت القبض على اثنين منهم؟

أجاب القميص الأحمر:

- لا، لدينا منيع، يظن أنه يريد التسكع، ومشاهدة العرض!

تساءل الرجل الآخر كأنه عاجز عن تصديق ما سمعه:

- منيع؟!

- منيع.. ظل ساكنًا، بينما الجميع يهرولون متخبطين خارجين من هنا، ويزعم أنه أراد مشاهدة ما يجري، والأنكى من هذا قوله إنه كان يشك في أن النزق المستقبليّ تحت تأثير عقار النعيم، ولم يخبر أحدًا، واصل احتساء قهوته كأن العالم بأسره على ما يرام!

نظر الجميع إلى توماس، لكنه لم يحر جوابًا، وهز كتفيه فحسب.

تراجع القميص الأحمر، والعمال المحميون الأربع يحيطون بالرجل المصاب الذي لا يزال ينشج، متكورًا على جانبه على الأرض. كان أحد القادمين الجدد يحمل بكلتا يديه شيئًا بلاستيكيًا سميكًا أزرق اللون، مزودًا بفوهة غريبة عند نهايته، وكان الرجل يصوبه كأنه سلاح إلى الرجل المستلقي

على الأرض، بدأ أن الغرض منه ينذر بالسوء، فنقّب توماس في ثنايا عقله ذي الذاكرة المهترئة، محاولاً استكناه ماهية ذلك الشيء، لكنه لم يجد شيئاً.

قال كبير العاملين:

- نريد منك تمديد ساقيك يا سيدي، ابق ساكناً، لا تتحرك، حاول أن تسترخي.

ناح الرجل:

- لم أكن أعرف! كيف عساي أن أعرف؟

زعق القميص الأحمر:

- كنت تعرف! لا أحد يتعاطى النعيم ليستمتع فحسب!

- أحب الإحساس الذي يمنحني إياه!

جعل صوت رجاء الرجل توماس يشعر بأسف عميق حياله.

- هناك الكثير من المخدرات الأرخص، كف عن الكذب، والزم الصمت!

لوح القميص الأحمر بيده كأنه يهش ذبابة، وأردف:

- من يكثرث؟! غلّفوا هذا الفاشل!

ظل توماس يشاهد، والرجل المصاب يشد تكوُّره على نفسه ضاماً ساقيه

إلى صدره بكلتا ذراعيه:

- هذا ليس عدلاً، لم أكن أعرف! ألقوني خارج المدينة فحسب، أقسم إنني

لن أعود أبداً، أقسم.. أقسم!

وأجهش بموجة مفجعة أخرى من النشيج والارتعاش.

قال القميص الأحمر، وهو يلقي نظرة نحو توماس لسبب ما، وبدا كأنه

يبتسم من خلف القناع، برقت عيناه بشيء من الجذل:

- سوف يُلقى بك خارج المدينة، لا تقلق. واصل المشاهدة أيها المنيع،

ستحب الجزء التالي!

كره توماس القميص الأحمر فجأةً كما لم يكره أحدًا من قبل قط، أشاح

ببصره عنه، وأعاد تركيزه على الأشخاص الأربعة ذوي البدلات، الذين كانوا

عندئذٍ يقرفصون، وهم يقتربون ببطء من الرجل التعيس القابع على الأرض.

كرر أحدهم:

- مدد ساقيك! وإلا فسيؤلمك هذا ألمًا مبرحًا، مددهما الآن!

- لا أستطيع! أرجوكم دعوني أذهب!

سار القميص الأحمر بخطوات قوية نحو الرجل، دافعًا أحد العاملين عن طريقه، ثم مال وألصق فوهة مسدسه برأس الرجل المريض، وقال له:

- مدد ساقيك، وإلا فسأضع رصاصة في دماغك، وأسهل الأمر على الجميع، مدد ساقيك!

عجز توماس عن تصديق مدى قلة تعاطف الحارس.

بدأ الرجل المصاب -الذي يئن، وقد امتلأت عيناه بالرعب- يطلق سراح ساقيه، ويمددهما، وراح جسده بأكمله يرتجف، وهو متمد على الأرض. ابتعد القميص الأحمر، وأعاد مسدسه إلى جرابه. تحرك الشخص الذي يحمل الشيء الأزرق الغريب على الفور، ووقف خلف رأس الرجل، ثم وضع الفوهة بحيث تلامس أعلى جمجمته، وضغطها على شعره:

- حاول ألا تتحرك، وإلا فستفقد شيئًا!

كانت امرأة، وحُيِّل لتوماس أن صوتها المنبعث من خلال قناعها مخيف أكثر من صوت الرجال. لم يجد توماس الوقت ليتساءل عما قصدته قبل أن تضغط زرًا، وتنبثق مادة هلامية من الفوهة زرقاء ودبقة، لكنها تتحرك سريعًا، فانتشرت على رأس الرجل، ثم انحدرت حول أذنيه ووجهه، فصرخ، لكن صوته قُطِع بالهلام، وهو يغمر فمه، وينزل إلى عنقه وكتفيه، وكانت المادة تتصلب في أثناء تحركها، لتصير كأنها غلاف قشري تمكّن توماس من الرؤية خلاله. وفي غضون ثوانٍ، تخشَّب نصف جسد الرجل المصاب، مغلفًا بملاءة مشدودة من المادة، التي تغلغت إلى جميع تجاويف جلده وتجاعيد ملبسه.

لاحظ توماس أن القميص الأحمر ينظر إليه، وأخيرًا التقت نظراته بنظرات الحارس، فسأله:

- ماذا؟!

أجابه القميص الأحمر:

- يا له من عرض! ها؟ استمتع به ما دام قائمًا، وعندما ننتهي هنا، سوف تأتي معي.

الفصل الحادي والثلاثون

انقبض قلب توماس، كان ثمة شيء سادِّي يشوب عيني القميص الأحمر، فأشاح ببصره، وأعاد تركيزه على الرجل المصاب مع بلوغ الهلام الأزرق قدميه، وتصلُّبه حولهما، وعندئذٍ كان الرجل يتمدد ساكنًا لا يتحرك قيد أنملة، مغلفًا بشرنقة بلاستيكية صلبة. نهضت المرأة التي تحمل مسدس الهلام، ورأى توماس أنه لم يُعد سوى كيس فارغ، فطوته المرأة، وأقحمته في أحد جيوب سربالها الأخضر، وقالت:

- فلنُخرجه من هنا.

وفي أثناء انحناء العاملين الأربع، وحملهم الرجل المصاب، ارتدَّت عينا توماس إلى القميص الأحمر، الذي كان يشاهد الآخرين، وهم يحملون أسيرهم. ما الذي قصده بقوله إن توماس سوف يذهب معه؟ لماذا؟ لركض توماس إذا لم يَكُن الرجل يحمل مسدسًا.

وعندما خرج الآخرون من الباب، ظهر مينهو، وكان على وشك الدخول عندما سحب القميص الأحمر سلاحه زاعقًا:

- توقف مكانك! اخرج!

أشار مينهو إلى توماس قائلاً:

- لكننا معه، وعلينا الذهاب.

- هذا لن يذهب إلى أي مكان.

صمّت، كأنما خطر له شيء للتو، فنظر إلى توماس، ثم إلى مينهو:

- مهلاً! لحظة.. هل أنتم منيعون أيضًا؟

استبد الذعر بتوماس، لكن مينهو كان سريعًا، لم يتردد، وأطلق ساقيه للريح. صاح القميص الأحمر، وهو يركض نحو المدخل:

- توقف!

مال توماس نحو النافذة، فرأى مينهو وبرندا وخورخي، وهم يبلغون الجانب الآخر من الشارع، ويختفون عند زاوية، وتوقف القميص الأحمر خارج باب المقهى، ويئس من اللحاق بالآخرين، وعاد إلى الداخل، مصوبًا مسدسه نحو توماس:

- عليّ أن أطلق النار على عنقك، ومشاهدتك تنزف لما فعله صديقك الصغير للتو، وعليك أن تحمد الله على أن المنيعين قيّمون، وإلا لأطلقت عليك النار لا لشيء سوى إرضاء نفسي، لقد كان يومًا سيئًا!
لم يصدق توماس بعد كل ما مر به، أنه عالق في مثل هذا الموقف السخيف، لم يكن خائفًا، لكن يمزقه الإحباط. وغمغم:

- حسنًا، لم يكن يومي عظيمًا أنا أيضًا!
- سوف تدر عليّ كمًا كبيرًا من المال، هذا كل ما في الأمر، ولتعلم أنني لا أستلطفك، هذا ما أحس به بمجرد النظر إليك!

ابتسم توماس:

- أجل.. طيب، الشعور متبادل.

أشار ناحية الباب بسلاحه:

- إنك شاب ظريف، مملوء بالمرح، سوف نرى حالك عندما تغرب الشمس الليلية، هيا. وثق بي، إنني نافذ الصبر، إذا أقدمت على فعل أي شيء، فسأطلق النار على مؤخرة رأسك، وأقول للشرطة إنك كنت تبدو كأنك مصاب بالفيروس، وحاولت الهروب؛ سياسة عدم التسامح المطلق، لن أخضع لأبسط تحقيق، ولن يكثر أحد لدرجة تدفعه لرفع حاجبه!

لبث توماس واقفًا في مكانه، يفاضل بين خياراته، ولم تغب عنه سخرية القدر، فقد هرب من وكّد ليقع في قبضة عامل مدينة عادي يصوب نحوه مسدسه.

حذره القميص الأحمر:

- لا تجعلني أكرر كلامي!

- إلى أين سنذهب؟

- ستعرف في الوقت المناسب، سأغدو رجلاً ثرياً، والآن تحرك.

تعرض توماس لإطلاق النار مرتين من قبل، ويعرف مدى الألم، وإذا لم يرغب في خوض التجربة مجدداً، بدا له أن الذهاب مع الرجل هو خياره الوحيد، فحج الرجل بنظرة صارمة، ثم سار نحو الباب، وتوقف عندما بلغه. سأله توماس:

- إلى أي اتجاه؟

- اذهب يساراً، سنمشي بهدوء وروية مجتازين نحو ثلاثة مربعات سكنية، ثم ننعطف يساراً مرة أخرى، لدي سيارة بانتظارنا هناك. هل

عليّ تحذيرك مرة أخرى مما سيحدث إذا حاولت فعل شيء؟

- سوف تطلق النار على صبي أعزل في مؤخرة رأسه، فهمت.. فهمتك فهماً تاماً!

- آه.. كم أمقتكم أيها المنيعون! ابدأ المشي.

ألصق فوهة المسدس بعمود توماس الفقريّ، وسارا في الشارع. بلغا نهاية المربع السكني الثالث، وانعطفا يساراً دون أن يتبادلا كلمة، كان الهواء خانقاً، وبلل العرق كل جزء من جسد توماس، وعندما مد يده ليمسح جبينه، خبطه القميص الأحمر على رأسه بعقب مسدسه. قال الرجل:

- لا تفعل هذا، ربما أتوتر وأثقب دماغك!

استنفر توماس كامل قوة إرادته ليظل صامتاً.

كان الشارع مهجوراً، والقمامة في كل مكان، الأجزاء السفلى من الجدران تغطيها ملصقات، بعضها تحذّر من الوهج، وبعضها صور للمستشارة بايج، وكل شيء مغطى بطلاء الرزان، طبقة فوق طبقة، وعندما بلغا تقاطع شارعين، واضطرا إلى التوقف في انتظار مرور بضع سيارات، ركز توماس على ملصق غير بارز جواره، وخمن من عدم تغطيته بالجرافيتي أنه جديد، وقرأ كلمات التحذير:

إعلان من الخدمة العامة

أوقفوا انتشار الوهج!

ساعدوا على وقف انتشار الوهج، اعرفوا الأعراض قبل أن تصيبوا جيرانكم وأحبابكم.

الوهج هو الفيروس (*Flarevirus (VC321xb47)*، وهو مرض شديد العدوى من صنع الإنسان، تسرب عن طريق الخطأ في خضم فوضى كارثة الوهج الشمسي. يسبب الوهج مرضًا انتكاسيًا تدريجيًا في الدماغ، وتنجم عنه حركات لا إرادية، واضطرابات عاطفية، وتدهور عقلي. وكانت النتيجة هي جائحة الوهج.

يجري العلماء تجارب سريرية بلغت مراحلها الأخيرة، لكن لا يوجد علاج قياسي للوهج في الوقت الراهن، والفيروس مميت عمومًا، وقابل للانتشار عبر الهواء. في هذا الوقت يجب على المواطنين أن يتوحدوا من أجل منع تفشي هذه الجائحة أكثر مما هي متفشية الآن، وتعلم كيفية تمييز أنفسكم والآخرين بوصفكم «تهديدات عدوى فيروسية» (VCTs)، تكونون قد أخذتم الخطوة الأولى في المعركة ضد الوهج.

استمر الملصق متناولاً تفاصيل مدة الحضانة التي تتراوح بين خمسة وسبعة أيام والأعراض، وكيف أن أشياء مثل التهيج المفرط وصعوبة التوازن تمثل أعراضًا مبكرة، يعقبها الحَرْف والارتباب، والعدوانية الحادة في مراحل متأخرة. شهدها توماس جميعها بأُمة عينيه بما أن طرقه تقاطعت مع طرق نزيقن في أكثر من مناسبة.

دفعه القميص الأحمر دفعة خفيفة، وواصل المشي، وفي أثناء سيرهما لم يستطع توماس الكف عن التفكير في المضمون الوخيم الذي ينطوي عليه الملصق، والجزء المتعلق بصنع الوهج على يد الإنسان لم يؤرقه فحسب، بل وخز شيئاً في دماغه؛ ذكرى عجز عن استجلاء معالمها، ورغم أن الملصق لم يصرِّح بوضوح، كان يعلم أن هناك شيئاً آخر، ولأول مرة منذ مدة طويلة تمنى لو أن بمقدوره بلوغ الماضي للحظة فحسب.

- إنها هنا.

أعاده صوت القميص الأحمر إلى الحاضر، فرأى سيارة بيضاء صغيرة تنتظر عند نهاية المربع السكني، على بعد بضعة عشرات من الأقدام. حاول توماس يائساً التفكير في مخرج من مأزقه، فإذا ركب السيارة، فربما ينتهي كل شيء، لكن هل يمكنه حقاً المخاطرة بالتعرض لإطلاق النار؟

قال القميص الأحمر:

- سوف تنزلق بهدوء وسلاسة إلى المقعد الخلفي، لدي بضعة أصفاد هناك، وسأراقبك وأنت تضعهما حول يديك، أعتقد أنك يمكنك تولي الأمر دون الإقدام على أي تصرف طائش؟! لم يُجب توماس، وكان يحدوه الأمل في أن مينهو والآخرين قريبون، ويضعون خطة، كان يحتاج إلى شخص أو شيء يشتت انتباه أسره.

بلغا السيارة، وأخرج القميص الأحمر مفتاحاً على شكل بطاقة، وضغطها على نافذة مقعد الراكب الأمامي، فأصدر القفل نقرة، وفتح الباب مصوباً مسدسه نحو توماس طوال الوقت.

- ادخل، بحذر وروية.

تردد توماس، باحثاً في الشوارع عن أي أحد.. أي شيء، كانت المنطقة مقفرة، لكنه لمح حركة بزواوية عينه؛ آلة تطير قريباً من الأرض، حجمها قريب من حجم سيارة، استدار لينظر، فرأى آلة الشرطة تتعطف داخله إلى الشارع على بُعد مربعين، وتتجه ناحيتهما، وتساعد صوت هدير مع اقترابها.

- قلت لك ادخل، الأصفاد بداخل صندوق المفاتيح في الوسط.

قال توماس:

- إحدى آلات الشرطة تلك قادمة.

- أجل، وماذا إذن؟ إنها تجوب في دورية، ترى أشياء كهذه طوال الوقت، والناس الذين يتحكمون بها في صفّي، وليس صفك، يا لسوء حظك يا صاح!

تنهد توماس.. كان الأمر يستحق المحاولة. أين كان أصدقاؤه؟ جال بناظريه في المنطقة مرة أخيرة، ثم خطا نحو الباب المفتوح، وانزلق إلى الداخل، وحالما رفع بصره إلى القميص الأحمر امتلأ الهواء بأصوات إطلاق

نار كثيف، فتراجع القميص الأحمر مترنحًا، وهو ينتفض ويرتعش، مزقت الرصاصات صدره، وتطايرت الشرر، وهي ترتطم بقناعه المعدنيّ، فأفلت مسدسه، وسقط قناعه، وهو يرتطم بجدار أقرب مبنى، وشاهد توماس برعب وذهول الرجل، وهو يخر صريعًا على جانبه. عندئذٍ توقف إطلاق النار، وتسمّر توماس، متسائلًا عما إذا كان هو التالي، ثم سمع الهدير الرتيب الذي تصدره الآلة، وهي تحوم خارج بابه المفتوح، وأدرك أنها مصدر الهجوم. لم تكن الآلات تتسع للأشخاص، لكنها مسلحة تسليحًا ثقيلًا، ودوى صوت مألوف من سماعة على سقفها.

- ترجلُ عن السيارة يا توماس.

اختلج توماس، إذ كان بمقدوره تمييز هذا الصوت في أي مكان.

كان جانسن.. الرجل الجرد.

الفصل الثاني والثلاثون

صُغق توماس بالمفاجأة، وتردد في البداية، لكنه ترجل عن السيارة سريعًا، وكانت آلة الشرطة تحوم على بُعد بضع أقدام فحسب، وانبتقت لوحة على جانبها، كاشفةً عن شاشة أطلَّ منها وجه جانسن محدقًا إليه. غمره الارتياح، فقد كان الرجل الجردز فعلاً، لكنه لم يكن بداخل آلة الشرطة، كان فيديو ينقل صورته، وافترض توماس أن جانسن يراه أيضًا، فسأله توماس:

- ماذا حدث؟ كيف وجدتموني؟!

وكان لا يزال مشدوهمًا، يحاول أن يشيح ببصره عن الرجل الممدد على الأرض.

كان جانسن كالح الوجه كعهد توماس به دومًا:

- تطلب إيجادك حظًا ومجهودًا بالغًا، صدقني، ولا شكر على واجب، فقد أنقذتك للتو من صائد الجوائز هذا!

أطلق توماس ضحكة:

- أنتم الذين تدفعون لهم على أي حال، ماذا تريد؟

- توماس، سأكون صريحًا معك، السبب الوحيد لعدم قدومنا إلى دنفر لاستعادتك هو أن معدل انتشار الفيروس هائل جدًا، وهذه أسلم وسيلة للتواصل معك، إنني أحثك على العودة، وإكمال الاختبار.

أراد توماس أن يصرخ بالرجل؛ لماذا عساه أن يعود إلى وكيد؟ لكن هجوم القميص الأحمر الذي لا تبعد جثته عنه سوى بضع أقدام، كان لا يزال حاضرًا جليًا في ذهنه، فتعيّن عليه مسابقة الأمور بحصافة:

- لماذا عساي أن أعود؟!

ظلت تعابير وجه جانسن جامدة:

- كنا نستخدم بياناتنا من أجل اختيار مرشح نهائي، وأنت هو المرشح المطلوب، إننا بحاجة إليك يا توماس، فنجاح المهمة بأكملها يقع على عاتقك.

فكر توماس مع نفسه: «هذا هو المُحَال بعينه!»، لكن قول هذا لن يؤدي إلى التخلص من الرجل الجرد، فأمال رأسه متظاهراً بالتفكير، ثم قال:
- سأفكر بالأمر.

قال الرجل الجرد:

- أثق بأنك ستفعل.

ثم أطرق قليلاً، وأردف:

- ثمة أمر أشعر بأنني ملزم بإخبارك به، ودافعي الرئيسي هو اعتقادي أنه سوف يؤثر في قرارك، ويجعلك تدرك أن عليك فعل ما نطلبه منك.
تراجع توماس متكئاً على غطاء محرك السيارة، إذ استنزفه الوضع برمته عاطفياً وجسدياً:

- ماذا؟!!

تلوى وجه الرجل الجرد، فبدا أشد شبهًا بالجرذان، كأنه يجد متعة في تبليغ الأخبار السيئة:

- الأمر متعلق بصديقك نيوت، أخشى أنه في ورطة صعبة للغاية.

سأله توماس، وقد تقلصت معدته:

- أي ورطة؟!!

- أعرف أنك تدرك تمام الإدراك أنه مصاب بالوهج، وأنت رأيت بالفعل بعض أعراضه تظهر عليه.

أوماً توماس، وتذكر فجأة الرسالة التي في جيبه:

- أجل.

- حسناً، يبدو أن المرض يستفحل في دماغه بسرعة، وحقيقة أنك رأيت سابقاً أعراض الغضب، وفقدان التركيز يعني أن حالته سوف تتدهور إلى الجنون عما قريب.

أحس توماس بقبضة تعتصر قلبه، كان قد تقبّل أن نيوت ليست لديه مناعة، لكنه ظن أن المرض سوف يستغرق أسابيع، أو ربما شهرًا قبل أن يبلغ هذه الدرجة من السوء، ورغم هذا، فإن كلام جانسن يبدو منطقيًا، فالتوتر الذي يسم كل شيء بدأ أنه يفاقم حالة نيوت بسرعة، وقد تركوه وحده تمامًا خارج المدينة.

قال جانسن بهدوء:

- بمستطاعك إنقاذه.

سأله توماس:

- هل تستمتع بهذا؟ يبدو لي أنك تجد متعة جمّة!

هز جانسن رأسه:

- إنني أؤدي عملي فحسب يا توماس، رغبتني في نجاح هذا العلاج تفوق رغبة أي أحد آخر، ربما باستثناءك قبل أن نمحو ذكرياتك.

قال توماس:

- كفى، اذهب!

أجاب جانسن:

- أمل أن تأتي، أمامك فرصة لأداء أدوار عظيمة، إنني أسف لخلافاتنا، لكن عليك أن تسرع يا توماس، الوقت ينفد منا.

- سأفكر بالأمر.

أرغم توماس نفسه على قولها مجددًا، وشعر بالتقزز لاضطراره إلى مهدنة الرجل الجرد، لكنها العبارة الوحيدة التي يمكن أن تمهله بعض الوقت، وهناك احتمال أنه إذا لم يماطل جانسن، فقد ينتهي به المطاف مثل القميص الأحمر؛ يرديه ميتًا بالآلة التي تحوم على بُعد بضع أقدام أمامه.

ابتسم جانسن:

- هذا كل ما أطلبه، أمل أن أراك هنا.

أظلمت الشاشة، واختفت اللوحة، ثم ارتفعت آلة الشرطة في الهواء، وحلقت مبتعدة، وتلاشى هديرها تدريجيًا، شاهدها توماس حتى اختفت عند

منعطف، ثم وقعت عيناه على الرجل الميت، فأشاح بوجهه.. هذا آخر ما يريد رؤيته.

- ها هو ذا!

التفت، فرأى مينهو يركض على الرصيف نحوه، وبرندا وخورخي خلفه. لم يشعر توماس بمثل هذه السعادة برؤية أي أحد. توقف مينهو متفاجئاً عندما رأى القميص الأحمر مكوّماً على الأرض، وقال:

- يا للـ... ماذا حلَّ به؟!

ثم حول انتباهه إلى توماس:

- وأنت؟ هل أنت بخير؟ هل فعلت هذا؟

كان من الغريب أن توماس أراد أن يبدو مرحاً:

- نعم، سحبت بندقيتي الرشاشة، ومزقته أشلاء!

أظهر وجه مينهو أنه لم يستسيغ التهكم، لكن برندا تكلمت قبل أن يتمكن من الإتيان برد لاذع:

- من قتله؟

أشار توماس نحو السماء:

- إحدى آلات الشرطة تلك، حلّقت إلى هنا، وأرذته قتيلاً، ومن حيث لا أدري ظهر الرجل الجرد على شاشة، وحاول إقناعي بضرورة العودة إلى وكدي.

قال مينهو:

- يا صاح، لا يمكنك حتى أن...

زعق توماس:

- أحسن بي الظن قليلاً! يستحيل أن أعود، لكن حاجتهم الماسة إليّ ربما تكون عوناً لنا في مرحلة ما. ما ينبغي لنا القلق بشأنه هو نيوت، فالرجل الجرد يعتقد أن حالته تتدهور بوتيرة أسرع من المعدل المتوسط، علينا الذهاب لتفقدّه.

- هل قال هذا حقاً؟

- نعم.

أحس توماس بالذنب، لأنه انفجر في صديقه:

- وأصدِّقه في هذا الأمر، أنت أيضًا رأيت سلوك نيوت!

حدق مينهو إلى توماس، وعيناه تنضحان بالألم، وارتطم توماس بحقيقة أن مينهو تعرف إلى نيوت قبل عامين من تعرفه إليه، مما يعني مزيدًا من الوقت ليكون مقربًا منه.

كرر توماس:

- يجدر بنا تفقُّد أحواله بطريقةٍ ما، وأن نفعل شيئًا من أجله.

أومأ مينهو، ونظر بعيدًا، وأحس توماس بإغراء سحب رسالة نيوت من جيبه، وقرأتها في الحال، لكنه كان قد وعد بالانتظار حتى يتأكد تمامًا أن الوقت المناسب قد حان.

قالت برندا:

- الوقت يتأخر، ولا يُسمح بالدخول إلى المدينة، أو الخروج منها ليلاً، فالسيطرة على الأمور صعبة بما فيه الكفاية في أثناء النهار.

لاحظ توماس لأول مرة أن الضوء يبهت، وأن السماء فوق المباني قد اتسحت بصبغة برتقالية.

تحدّث خورخي -الذي ظل صامتًا منذ مجيئه- قائلاً:

- هذه أبسط مشكلاتنا، ثمة أمر غريب يجري في هذا المكان يا شباب!

سأل توماس:

- ماذا تعني؟

- يبدو أن جميع الناس قد اختفوا خلال نصف الساعة الماضية، والقليلون الذين رأيتهم لا يبدوون مطمئنّين!

أوضحت برندا:

- لا بد أن ما جرى في المقهى جعل الناس ينفدون بجلدتهم!

هز خورخي كتفيه:

- لا أدري، هذه المدينة لا تبعث على الارتياح يا أختي، كأنها حيّة، وتوشك على إطلاق العنان لشيء فظيع!

سرى ضيقٌ غير مألوف في أوصال توماس، وأعاد تركيزه إلى نيوت:

- أيمكننا مغادرة المدينة إذا أسرعنا؟ أو هل يمكننا التسلّل؟

قالت برندا:

- يمكننا المحاولة، لكن يستحسن أن نجد تاكسي، فنحن على جانب المدينة الآخر من حيث أتينا.

قال توماس:

- فلنحاول.

ساروا في الشارع، لكن النظرة التي ارتسمت على وجه مينهو لم تبدُ مطمئنة، وتمنى توماس ألا تكون نذيرًا لما هم مقبلون عليه من متاعب.

الفصل الثالث والثلاثون

ظلوا يسيرون ساعة، ولم يروا سيارة واحدة، ناهيك بسيارة أجرة، ولم يصادفوا سوى بضعة أشخاص متفرقين، وكانت آلات الشرطة تصدر هديرها المخيف، وهي تحلّق جوارهم في أوقات غير منتظمة، وكل بضع دقائق يتناهى إلى مسامعهم صوت قادم من بعيد يُعيد إلى توماس ذكريات الأرض المحترقة؛ شخصٌ يتكلم بصوتٍ عالٍ.. صرخة.. ضحكة غريبة، وتساعد قلق توماس المشوب بالخوف مع هبوط الظلام.

توقفت برندا أخيرًا، وواجهتهم قائلة:

- علينا الانتظار حتى الغد، لن نجد وسيلة نقل الليلة، ونحن أبعد من أن نقطع المسافة سيرًا، علينا أن ننال قسطًا من النوم حتى نستعيد نشاطنا في الصباح.

كره توماس الاعتراف، لكنها كانت محقة.

مكتبة

t.me/soramnqraa

اعترض مينهو:

- لا بد من وجود طريقة للخروج.

ضغط خورخي كتفه:

- لا جدوى يا أخي، يبعد المطار عن هنا عشرة أميال على الأقل، ويوحى مظهر هذه البلدة بأننا قد نتعرض في طريقنا للنهب، أو إطلاق نار، أو الضرب حتى الموت! برندا محقة، يُستحسن أن نرتاح، ونذهب لمساعدته غدًا.

أحس توماس بأن مينهو سيسلك سلوك التحدي كدأبه دومًا، لكنه استسلم دون جدال، كان كلام خورخي منطقيًا للغاية، فهم في مدينة ضخمة، ليلاً، وقد تقطعت بهم السبل.

سأل توماس:

- أنحن قرييون من نُزلنا؟

وقال لنفسه: «إن نيوت يمكنه الصمود وحده الليلة أخرى».

أشار خورخي إلى يساره قائلاً:

- بضعة مربعات سكنية.

قصدوا الاتجاه الذي أشار إليه.

كانوا على بُعد مربعٍ سكنيٍّ واحدٍ عندما توقف خورخي، رافعاً يداً في الهواء، وواضِعاً إصبعاً على شفّتيه بالأخرى، فتوقف توماس لا يحرك ساكناً، واستتفرت أعصابه.

همس مینهو:

- ماذا؟

دار خورخي حول نفسه ماسحاً المنطقة حوله، وحذا توماس حذوه، متسائلاً عما استرعى انتباه الرجل فجأةً، وكان الظلام قد ألقى بكامل ثقله، ولم تُحدِث فيه مصابيحُ الشوارع القليلة التي يمرون بها كبيرَ أثرٍ، وبدا العالم الذي يراه توماس كأنه مخلوق من الظلال، وتخيّل أشياءً فظيعة تجوس فيها.

همس مینهو مجدداً:

- ماذا؟

أجاب خورخي:

- ظللت أسمع شيئاً خلفنا، يهمس، هل سمعه أي واحد...

صاحت برندا، وكان صوتها ثاقباً في الصمت المخيم، وأشارت إلى يسارها:

- هناك! هل رأيتم ذلك؟

حاول توماس جاهداً ليرى، لكنه لم يبصر شيئاً، كانت الشوارع مقفرة بحسب ما يراه.

- كان أحدهم يخرج من خلف ذلك المبنى، ثم قفز متراجِعاً، أقسم إنني رأيته!

صاح مينهو:

- أنت! من هناك؟

همس توماس:

- هل جننت؟! فلندخل إلى النُّزْل!

- تمالك نفسك يا صاح، إذا أرادوا إطلاق النار علينا أو ما شابه، فما الذي ينتظرونه حتى الآن؟

تنهد توماس ساخطًا، وراوده شعور سيئ حيال الأمر برمته.

قال خورخي:

- كان ينبغي أن أقول شيئًا عندما سمعت أول مرة.

أجابت برندا:

- ربما لا يكون شيئًا، وإن كان ثمة شيء، فالوقوف هنا لن يساعدنا، فلنغادر هذا المكان.

صاح مينهو مجددًا، فجعل توماس يجفل:

- أنت! أنت!.. يا هذا! من هناك؟

ضربه توماس على كتفه:

- جدًّا.. هلأ توقفت عن هذا؟

تجاهله صديقه:

- اخرج وأظهر نفسك!

ما من استجابة، فتحرك مينهو، كأنه سيعبر الشارع ليلقي نظرة، لكن توماس أمسك بذراعه:

- مُحال! هذه أسوأ فكرة في التاريخ، المكان مظلم، قد يكون فخًا، وقد يكون العديد من الأشياء الفظيعة، فلنذهب لننال قسطًا من النوم، ونستعد للغد بحالة أفضل.

لم يجادله مينهو كثيرًا:

- طيب، كُنْ جبانًا! لكنني سأنام على أحد الأَسِرَّة الليلية.

وبعدھا صعدوا إلى غرفتهم، استغرق توماس وقتًا طويلًا لينام، ودار عقله باحتمالات هوية الذي يتعقبهم، لكن حيثما شردت أفكاره، كان يعود دومًا إلى تيريسا والآخرين... أين هم؟ أمِن الممكن أن تيريسا هي التي كانت في الشارع تتجسس عليهم، أم كان جالي والذراع اليمنى؟

وكره توماس اضطرارهم إلى الانتظار لليلة قبل أن يتفقدوا نيت، ماذا لو أن شيئًا قد حدث له؟

تباطأ دوران عقله أخيرًا، وتلاشت الأسئلة، وغرق في النوم.

الفصل الرابع والثلاثون

فوجئ توماس في الصباح التالي بمدى النشاط الذي يحس به، فقد ظل يتقلب ويتلوى طيلة الليل، على ما يبدو، لكن في مرحلة ما لا بد أنه نام نومًا عميقًا مكنه من استعادة طاقته، وبعد حمام دافئ طويل وإفطار من آلة بيع أطعمة، صار مستعدًا لمواجهة اليوم. غادر مع الآخرين النزل نحو الساعة الثامنة صباحًا، متسائلين عما سوف يجدونه في المدينة، وهم في طريقهم للاطمئنان على نيوت، رأوا بعض الناس هنا وهناك، لكنهم أقل بكثير مما رأوا في أثناء ساعات الازدحام في اليوم السابق، ولم يلحظ توماس أي أصوات ضجيج غريبة كالتي سمعها في الليلة السابقة في أثناء مسيرهم الطويل.

قال خورخي، وهم يسيرون في الشارع بحثًا عن تاكسي:

- أؤكد لكم أن هناك خطبًا ما، ينبغي أن نرى المزيد من الناس يروحون ويجيئون.

تطلع توماس إلى المشاة القليلين من حوله، لم ينظر أي واحد منهم إليه في عينيه، جميعهم يخفضون رؤوسهم، وغالبًا ما يضعون يداً على كماماتهم، كأنهم يخشون أن تطيح بها هبة ريح مفاجئة، جميعهم يسرون بخطوات متعجلة مذعورة، يكادون يقفزون عندما يقترب منهم شخص آخر أكثر من اللازم. ولاحظ امرأة تتطلع إلى ملصق عن الوهج كالذي قرأه في اليوم السابق عندما كان القميص الأحمر يقتاده، فأعاد إليه مرآها ذكرى لم يتمكن من الإمساك بها، وكان هذا يدفعه إلى الجنون.

تمتم مينهو:

- فلنسرع للوصول إلى المطار، فهذا المكان يقلقني أيما قلق!

قالت برندا، وهي تشير إلى ناحية:

- على الأرجح ينبغي لنا الذهاب في هذا الاتجاه، لا بد من وجود سيارات
أجرة حول مكاتب الأعمال تلك.

عبروا الشارع، وساروا في شارع أضيق نسبياً يمر بين ما بدا كقطعة
أرض خالية على جانب، ومبنى متداعٍ على الجانب الآخر.

مال مينهو نحو توماس، وقال بشبه همس:

- يا صاح، إنني مصاب بلوثة في عقلي الآن، أخشى الحالة التي سوف
نجد نيوت عليها!

كان توماس خائفاً أيضاً، لكنه لم يُقر بخوفه:

- لا تقلق، أنا متأكد أنه بخير الآن.

- حلو الكلام، وسينبثق علاج الوهج من مؤخرتك في أي لحظة!

- مَنْ يدري؟ ربما ينبثق فعلاً، لكن قد لا تعجبك رائحته!

لم يبدو على صديقه أنه وجد كلامه طريفاً، فأردف توماس:

- اسمع، لا يمكننا فعل أي شيء حتى نصل إلى هناك، ونراه.

كره توماس أن يبدو متبلد الشعور، لكن الوضع كان صعباً بما فيه الكفاية،
ولا يمكنهم افتراض وقوع الأسوأ.

- شكرًا على الخطبة التحفيزية!

كانت قطعة الأرض الخالية إلى يمينهم ملانةً بأنقاض متناثرة من مبنى
قديم مشيد بالقرميد، يعج بالأعشاب، وفي وسطه ينتصب قسم من جدار،
ولاحظ توماس في أثناء مرورهم حركة في الجانب البعيد منه، فتوقف، ورفع
يده غريزياً ليوقف مينهو أيضاً، وأسكته بإشارة قبل أن يسأل عما يجري.
لاحظ خورخي وبرندا ما يجري، وتسمراً في مكانيهما، فأشار توماس إلى
ما رآه، ثم حاول أن يلقي نظرة أفضل. كان رجلٌ دون قميص يوليهم ظهره،
منكباً على شيء، يحفر بيديه كأنه فقد شيئاً في الوحل، ويحاول العثور عليه،
تغطي كتفيه خدوش غريبة الشكل، وقشرة جرح طويل تتقاطع مع وسط
عموده الفقري، وتراءى لتوماس أن حركاته تشنجية ويائسة، فكان مرفقاه
يبرزان للخلف كأنه انتزع شيئاً لم يكن ثابتاً في الأرض، وحالت الأعشاب
الطويلة دون رؤية توماس لما يصبُّ الرجل عليه تركيزه المحموم.

همست برندا من الخلف:

- فلنواصل طريقنا.

وهمس مينهو:

- هذا الرجل مختل! لماذا هو طليق هكذا!؟!

لم تكن لدى توماس أدنى فكرة:

- فلنذهب.

استأنفت المجموعة السير، لكن توماس لم يستطع اقتلاع عينيه من المشهد المثير للانزعاج. ما الذي يفعله ذلك الرجل؟

وعندما بلغوا نهاية المربع السكني، توقف توماس، وتوقف الآخرون، فكان من الواضح أن الأمر يزعجهم بقدر ما يزعجه، وجميعهم أرادوا أن يلقوا نظرة أخيرة. قفز الرجل منتصبًا على قدميه، دون سابق إنذار، فاستدار نحوهم، والدماء تغطي فمه وأنفه، أجفل توماس، وتراجع متعثراً، وارتطم بمينهو، وكشّر الرجل عن أسنانه بابتسامة واسعة مقيبة، ثم رفع يديه المخضلتين بالدماء كأنه يتباهى بهما. وكان توماس يهم بالصياح به عندما انحنى الرجل عائداً إلى شأنه، ومن حسن حظهم أنهم لم يروا ما كان شأنه.

قالت برندا:

- أعتقد أن الوقت قد حان للذهاب.

أحس توماس كأن أصابع باردة تزحف على ظهره وكتفيه. ووافقها تمام الموافقة، فاستداروا جميعهم، وركضوا، واجتازوا مربعين سكنيين قبل أن يبطؤوا، ويعاودوا السير. استغرقوا نصف ساعة أخرى قبل أن يجدوا تاكسي، لكنهم صاروا في طريقهم أخيراً. أراد توماس أن يتحدث عما رآه في قطعة الأرض الخالية، لكنه عجز عن التعبير بالكلمات، إذ بلغ التقزز منه كل مبلغ.

ابتدر مينهو الحديث عما يجول بخاطرهم جميعاً:

- ذلك الرجل كان يأكل شخصاً، أنا متأكد.

قالت برندا:

- ربما... ربما كان كلباً ضالاً.

جعلت نبرة صوتها توماس يعتقد أنها لا تصدق كلامها إطلاقاً. وأردفت:

- ليس وكأن هذا لا بأس به!

ضحك مینهو ساخراً:

- أنا متأكد أن ما رأيناه ليس مشهداً يُرى نهاراً جهاراً في أثناء الاستمتاع
بنزهة في شوارع مدينة محجورة صحياً. أُصدِّق جالي؛ أعتقد أن هذه
المدينة تعج بالنزّقين، وقريباً سيبدأ كل من في المدينة بقتل بعضهم
بعضاً!

لم يُجب أحد، لانوا جميعهم بالصمت بقية رحلتهم إلى المطار. لم
يستغرقوا وقتاً طويلاً لتجاوز الإجراءات الأمنية، والعودة إلى خارج الجدران
الضخمة المحيطة بالمدينة، بل بدا أن الموظفين متحمسون لمغادرتهم.
وجدوا البيرج حيث تركوها، لم تتحرك شبرًا، قابضة بانتظارهم كأنها قشرة
حشرة عملاقة على أرضية خرسانية ساخنة يتصاعد منها الصهد، وكل ما
حولها ساكن.

قال مینهو:

- أسرع، وافتحها.

لم يبدُ على خورخي الانزعاج من نبرة الأمر المقتضب، وأخرج لوحة
تحكُّم الصغيرة من جيبيه، وضغط بعض الأزرار، فبدأ مدرج باب الشحنات
يهبط ببطء، ومفاصله تصدر صريرًا، حتى لامست حافته الأرض بصوت
احتكاك مزعج، وكان توماس يأمل أن يرى نيوت راكضًا نحوهم، وعلى وجهه
ابتسامة عريضة.. سعيدًا برؤيتهم، لكن لم يتحرك شيء بالداخل أو بالخارج،
وانقبض قلبه. ولا بد أن هذا ما أحس به مینهو أيضًا، فقال:

- ثمة خطب.

وهرع نحو الباب، وركض صاعدًا المنحدر قبل أن يفكر توماس بفعل

شيء.

قالت برندا:

- من الأفضل أن تدخل، ماذا لو أصبح نيوت خطيرًا؟

كره توماس وقّع السؤال، لكنه كان يعرف أنها محقة، فركض خلف مينهو، دون أن يرد عليها، ودخل البيرج المظلمة ذات الهواء الخانق، التي أوقفت جميع أنظمتها في مرحلة ما؛ لا تكييف هواء، ولا إضاءة... لا شيء.

ركض خورخي في أعقاب توماس قائلاً:

- سأشغل الأنظمة، وإلا فسننتعق حتى نغدو كومة عظام وجلد.

وتحرك تجاه قمرة القيادة.

وقفت برندا جوار توماس، وكلاهما يحدق إلى عتمة السفينة، التي لا يدخلها ضوء إلا عبر الكوات القليلة المتباعدة، وكانا يسمعان مينهو، وهو ينادي اسم نيوت في مكان عميق بالسفينة، لكن الفتى المصاب لا يرد، فأحس توماس بفجوة تُفتح بداخله، وتتسع وتسحب الأمل منه. قال توماس، وهو يشير نحو رواق صغير يفضي إلى منطقة الجلوس العامة:

- سأتجه يسارًا، انضمي إلى خورخي، وابحثا هناك، الوضع لا يبشر

بخير، لكان هنا مُرحَّبًا بنا إن كان كل شيء على ما يرام!

قالت:

- ناهيك بتشغيل الأضواء، ومكيف الهواء!

ونظرت إليه نظرة متجهمة، ثم سارت مبتعدة.

سار توماس عبر الرواق إلى الصالة الرئيسية، فوجد مينهو يقتعد إحدى الأرائك، ينظر إلى قصاصة ورق، ووجهه متحجر كما لم يسبق لتوماس رؤيته، فانسع التجويف الذي تشكل بداخله، وتلاشى آخر بصيص أمل لديه، وقال:

- ما الأمر؟!

لم يُجب مينهو، وما انفك يحدق إلى الورقة:

- ما الخطب؟

رفع مينهو بصره إليه قائلاً:

- تعال، وانظر بنفسك.

مد له الورقة، واتكأ مترجعًا على الأريكة، وعيناه تترقرقان بالدموع، وقال:

- لم يُعد هنا.

دنا توماس منه، وأخذ الورقة، ثم قلبها، فوجد مكتوبًا عليها بقلم أسود
عريض:

«تمكنوا من الدخول بطريقةٍ ما، وسوف يصطحبونني لأعيش مع
النزقين الآخرين. هذا أفضل لنا. شكرًا على صداقتكم. وداعًا».

همس توماس:

- نيوت...

وظل اسم صديقه عالقًا في الهواء، كأنه حكمٌ بالموت.

الفصل الخامس والثلاثون

سرعان ما جلسوا مجتمعين، وهدفهم مناقشة خطوتهم التالية، لكنهم في الواقع لم يكن لديهم ما يقولونه. لبث أربعتهم يحدقون إلى الأرض صامتين. ولسبب ما عجز توماس عن طرد جانسن من أفكاره، هل يمكن أن تكون العودة وسيلة لإنقاذ نيوت؟ جميع جوارحه تمردت على فكرة العودة إلى وكِد، لكنه إذا عاد، وتمكن من إكمال الاختبارات...

كسر مينهو الصمت الكثيب:

- أريد من ثلاثتكم أن تصغوا إليّ.

وصمت لحظة لينظر إلى كل واحد منهم، ثم تابع:

- منذ أن غادرنا مقر وكِد، كنتُ في معظم الأحوال أجاري أيًا كان ما تقولون إننا ينبغي لنا فعله أيها الخرق! ولم أكن أتذمر، كثيرًا...

وجّه ابتسامة ساخرة لتوماس، وتابع:

- لكن هنا والآن، سأخذ قرارًا، وسوف تنفذون ما أقوله، وإذا اعترض أحدكم، فليذهب إلى الجحيم.

عرف توماس ما يريده صديقه، وكان سعيدًا به.

تابع مينهو:

- أعرف أننا نضع نصب أعيننا أهدافًا كبيرة، علينا أن نتصل بالذراع اليمنى، ونقرر ما علينا فعله بشأن وكِد، وكل ذلك الهراء المتعلق بإنقاذ العالم، لكن أولًا علينا العثور على نيوت، لا مجال للنقاش بهذا الشأن، أربعتنا جميعنا سوف نظير إلى حيثما علينا الذهاب، ونُخرج نيوت من هناك.

قالت برندا:

- يسمونه «قصر النزقين»، لا بد أنه الذي كتب عنه. على الأرجح أن أحد القمصان الحمراء اقتحم البيرج، ووجد نيوت، ورأى أنه مصاب، وسمح له بأن يترك لنا رسالة، لا شك لدي في أن هذا ما حدث. التفت توماس إليها، فرآها تحديق إلى الخواء.

قال مينهو:

- يبدو فخيماً من اسمه، هل ذهبتي إليه؟
- لا، أي مدينة كبيرة بها قصر نزقين، وهو مكان يودعون فيه المصابين، ويحاولون جعل حياتهم محتملة حتى يبلغوا الطور. ولا أدري ما يفعلونه بهم عندئذ، لكنه ليس مكاناً جميلاً، مهما يكن المرء. يتولى أصحاب المناعة إدارة المكان هناك، وتُدفع لهم أموال طائلة، لأن الذين ليس لديهم مناعة لن يخاطروا باحتمال إصابتهم بالوهج، وإذا أردنا الذهاب، فعلينا أن نمنع التفكير ملياً أولاً، وقد نفدت ذخيرتنا، لذا سنكون غير مسلحين.

رغمًا عن الوصف المنذر بالسوء، لاح بصيص أمل في عيني مينهو، وقال:
- فرغنا من إمعان التفكير ملياً. أتعرفين موقع أقرب مكان؟
أجاب خورخي:

- مررنا فوقه في طريقنا إلى هنا، يقع على الجانب البعيد من هذا الوادي، مقابل الجبال التي في الغرب.
صَفَّق مينهو بيديه صفقة:

- إذن هذه هي وجهتنا. خورخي.. ارفع كتلة الحديد هذه إلى السماء. توقع توماس شيئاً من المقاومة أو الجدل على الأقل، لكن لم يبدُ شيء.
قال خورخي، وهو ينهض:

- إنني سعيد بالمغامرة الصغيرة أيها الشاب، سوف نبلغ وجهتنا في غضون عشرين دقيقة.

كان خورخي صائباً في توقيته، هبط بالبيرج في منطقة خالية على تخوم غابة على امتداد جانب الجبل المخضر على عكس ما توقعوه، كانت

نصف الأشجار تقريباً ميتة، لكن النصف الآخر بدأ يتعافى من أثر سنوات من موجات الحرارة. وأحس توماس بالحزن عندما فكر بأن العالم سيتعافى على الأرجح من الوهج الشمسيّ ذات يوم، فيجد أن سكانه قد اختفوا.

نزل عبر منحدر الشحنات، وأمعن النظر في الجدار المحيط بما لا بد أنه قصر النزقين على بُعد بضع مئات من الأقدام، كان الجدار مشيداً من ألواح خشبية سميكة، وكانت أقرب بوابة قد بدأت تنفتح، وظهر منها شخصان، كلاهما يحمل قاذفة ضخمة، كانا يبدوان مرهقين، لكنهما مع إرهابهما اتخذتا وقفة دفاعية، وصوبتا قاذفتيهما، كان من الواضح أنهما سمعا أو رأيا البيرج، وهي تقترب.

قال خورخي:

- هذه ليست بداية جيدة!

صاح أحد الحراس قائلاً شيئاً، لكن توماس لم يتمكن من سماع ما قاله، فقال:

- فلنذهب ونتحدث معهم، لا بد أنهما من أصحاب المناعة ما داما يحملان هاتين القاذفتين.

قال مينهو:

- هذا إذا لم يسيطر النزقون على المكان، وفي كلتا الحالتين، سندخل، ولن نغادر دون نيوت.

ثم نظر إلى توماس بابتسامة غريبة.

رفعت المجموعة أيديها عالياً، وسارت ببطء نحو البوابة، متوخين الحرص على ألا يفعلوا شيئاً من شأنه استفزاز الحارسين، فأخر ما كان يريده توماس هو التعرض لقنبلة قاذفة مرة أخرى، ومع اقترابهم، رأى أن الحارسين حالتها أسوأ؛ كانا قذرين ومتعرقين، تغطيهما الكدمات والخدوش.

توقفوا عند البوابة، وخطأ أحد الحارسين إلى الأمام، وسأل:

- من أنتم بحق الجحيم؟ لا تبدوون مثل العلماء الحمقى الذين يأتون إلى هنا أحياناً!

كان أسود الشعر، ولديه شارب أطول من شارب زميله ببضع بوصات.

تولى خورخي الكلام، كما فعل في المطار عندما وصلوا إلى دنفر:

- ما كنتما لتعرفا أننا قادمون يا شباب، فنحن من وكِد، وأحد رجالنا قُبِض عليه، وأحضر إلى هنا بالخطأ، نريد اصطحابه!

فوجئ توماس، فعندما فكر بما قاله خورخي، وجد أنه الحقيقة في الواقع. لم يبدُ على الحارس أنه أعجب منبهراً:

- أعتقد أنني أكثرث بكم وبوظائفكم الراقية في وكِد؟! لستم أول المتعجرفين الذين يهبطون هنا، ويتصرفون كأنهم يملكون المكان. أتريدون المجيء والتسكع مع النزقين؟ تفضلوا، واستمتعوا، لا سيما بعدما صار يجري مؤخرًا!

انتحى جانبًا، وأتى بحركة ترحيب مبالغ فيها، وأردف:

- استمتعوا بإقامتكم في قصر النزقين. لا تعويض أو استعادة أموال إذا فقد أحدكم ذراعًا أو مقلة عين!

كاد توماس يشم التوتر في الهواء، وخشي أن يطلق مینهو تعليقًا لاذعًا يقلت أعصاب هذين الرجلين، لذا تحدث سريعًا:

- ما الذي تقصده بـ «بعدهما صار يجري مؤخرًا»؟ ماذا يجري؟
هز الرجل كتفيه:

- كل ما في الأمر أنه ليس مكانًا يبعث على السعادة، هذا كل ما عليك معرفته.

لم يقدم أي تفاصيل إضافية.

كان توماس ممتعًا من الوضع كما هو، دون حاجة إلى تعقيدات إضافية:

- حسنًا... أتعرف إذا ما جلب أي أشخاص جدد إلى هنا خلال اليومين الماضيين؟ هل لديكم سجل؟

لم يفضل توماس قول «نزق».

تنحى الحارس الآخر، وهو قصير مملوء، ذو رأس حليق، ثم بصق وقال:

- من الذي تبحثون عنه؟ ذكر أم أنثى؟

- ذكر، اسمه نيوت، أطول مني قليلاً، ذو شعر أشقر يميل إلى الطول، ويعرج قليلاً.

بصق الرجل ثانيةً:

- ربما أعرف شيئاً، لكن المعرفة بالشيء والإخبار عنه أمران مختلفان. يبدو أنكم لديكم الكثير من الأموال أيها الصبية، أتودون مشاركتها؟ تجاسر توماس على السماح للأمل بالتسلل إليه، والتفتت إلى خورخي، فوجد وجهه قد تقلص من الغضب. تكلم مينهو قبل أن يجد خورخي الفرصة:

- لدينا المال يا ذا الوجه الأخرق، الآن قل لنا أين صديقنا؟

حرك الحارس القاذفة نحوهم بعداء:

- أروني بطاقات أموالكم، وإلا فسينتهي هذا النقاش، أريد ألقاً على الأقل.

قال مينهو، وعيناه تُصليان الحارس، ويشير نحو خورخي بإبهامه:

- لديه المبلغ كاملاً أيها الجشع!

أخرج خورخي بطاقته، ولوّح بها في الهواء:

- سيتعين عليك إطلاق النار عليّ، وقتلي لتأخذ هذه، وتعرف أنها لن

تفيدك بشيء دون بصماتي، سوف تحصل على أموالك يا أخي، والآن

أرنا الطريق.

قال الرجل:

- حسنًا، إذن اتبعوني، وتذكروا، إذا انفصل أي جزء من أجسادكم إثر لقاء

مؤسف مع نزق، فنصيحتي النصوح هي أن تتخلوا عن جزء الجسد

المعني، وتركضوا كأن شياطين الجحيم تطاردكم، إلا إذا كان ذلك

الجزء ساقًا، بطبيعة الحال!

دار على عقبيه، وسار عبر البوابة المفتوحة.

الفصل السادس والثلاثون

كان قصر النزقين مكانًا مريعًا قدرًا، واتضح أن الحارس القصير ثرثار من الطراز الأول. وهم يشقون طريقهم عبر فوضى المكان المرعب، قدّم لهم معلومات ما كان لتوماس أن يتخيل السؤال عنها أبدًا. وَصَفَ قرية المصابين بأنها مجموعة حلقات ضخمة داخل بعضها بعضًا، تتوسطها جميع الأماكن الخدمية المشتركة، كالكافيتريا والمستوصف، والمرافق الترفيهية، وتحيط بها صفوف تلو صفوف من مساكن ذات بناء بائس. كان الهدف من القصور هو إتاحة خيار إنسانيّ، بوصفها ملاذًا للمصابين حتى يبلغوا طور الجنون التام، وبعدها يُنقلون إلى مواقع نائية هُجرت في أثناء أسوأ مراحل الوباء الشمسيّ. كان الذين شيّدوا القصور يريدون منح المصابين فرصة أخيرة لعيش حياة كريمة قبل نهايتهم، فنشأت المشاريع جوار معظم المدن الباقية في العالم.

لكن الفكرة التي ظهرت بناءً على نوايا طيبة اتخذت منحى سيئًا، فملء مكان بأناس لا أمل لهم، ويعرفون أنهم سوف ينحدرون إلى دوامة جنون مروعة لا فكاك منها؛ تسبب في خلق أشد المناطق التي عرفها الإنسان فوضى وشقاء. فنظرًا إلى دراية سكان القصور بعدم وجود عقاب حقيقيّ، أو أي عواقب أسوأ مما يواجهونها فعلاً، ارتفعت معدلات الجريمة بأرقام فلكية، ومن ثم صار المشروع الإنسانيّ ملاذًا للفسوق.

ومع مرور المجموعة جوار منزل تلو منزل (مجرد أكواخ غارقة في اليأس)، تخيل توماس مدى فظاعة العيش في مكان كهذا. كانت معظم نوافذ المباني التي مروا بها مهشمة، وأوضح مرافقهم الحارس أن إدخال الزجاج في البلدات كان خطأ فادحًا، إذ صار المصدر الأول للأسلحة. وكانت القمامة متناثرة في الشوارع، ورغم أن توماس لم يرَ أي شخص بعد، أحس بأنه

وأصدقاءه يُراقبون من الظلال، وتناهى إلى مسامعه صوت شخص يزعم بوضع كلمات بذيئة، ثم صرخة قادمة من اتجاه آخر، مما زاد من توتره.

سأله، وهو أول من يتكلم من مجموعته:

- لماذا لا تغلقون المكان؟ أعني... إذا صار سيئاً لهذا الحد!

سأل الحارس:

- صار سيئاً؟ السوء مصطلح نسبيّ يا فتى، هذا ما هو عليه الوضع. ما الذي قد تفعله بهؤلاء الناس؟ لا يجوز تركهم يتسكعون مع الأوصياء في المدن المحصنة، كما لا يجوز التخلي عنهم في مكان يعج بنزقين تجاوزوا الطور بمراحل حتى يؤكلوا أحياء، وما من حكومة بلغ بها اليأس مرحلة أن تقتل الناس حالما يصابون بالوهج.. هذا كل ما في الأمر. وإنها وسيلة لنا نحن أصحاب المناعة لجني أموال طائلة، بما أن لا أحد سيرغب في العمل هنا!

أمدّ كلامه توماس بجرعة ثقيلة من الغم؛ العالم في حالة يرثى لها، وربما كان توماس يتصرف بأنانية بعدم مساعدة وكّد على إكمال الاختبارات.

تحدثت برندا، ووجهها قد تجعّد بنظرة تقزز منذ دخولهم البلدة:

- لماذا لا تعبّر عن الحقيقة كما هي؟ إنكم تتركون المصابين يتراكمون في أنحاء هذا المكان الموحش حتى تسوء حالتهم، لدرجة تجعل ضمائركم مرتاحة بما يكفي للتخلص منهم!

أجاب الحارس، كأنه يدلي بحقيقة مسلمّ بها:

- هذا هو ملخّص الوضع!

لم يستطع توماس كراهية الرجل، وأحس نحوه بالأسف. ظلوا يسيرون، مارّين بصف تلو صف من المنازل، جميعها مهشمة وقذرة ومهدمة.

سأل توماس:

- أين الجميع؟ كنت أظن أنني سأجد المكان مملوءاً من الجدار إلى الجدار، وما الذي قصدته سابقاً بشأن شيء ما يجري؟

هذه المرة أجاب الرجل ذو الشارب، وكان من الجيد سماع صوت آخر على

سبيل التغيير:

- بعضهم (المحظوظون) يسترخون في منازلهم، وهم تحت تأثير النعيم، لكن معظمهم في «المنطقة المركزية»، يأكلون، أو يلعبون، أو يدبرون أمرًا خبيثًا. إنهم يرسلون إلينا من المدينة أعدادًا تفوق طاقتنا، وبمعدلات أسرع مما يمكننا نقلهم إلى الخارج، أضف إلى هذا حقيقة أننا نفقد أصحاب المناعة بأعداد مضطربة، ولا أحد يدري أين يذهبون! وتتناقص أعدادنا يوميًا، ومن المحتم أن تصل الأمور إلى مرحلة حرجة في نهاية المطاف، ويمكننا القول إننا بدأنا نقترّب من تلك المرحلة بخطى حثيثة.

كرر توماس:

- تفقدون أصحاب المناعة بأعداد مضطربة؟!!

يبدو الأمر كأن وكّد تستنزف جميع المصادر في سبيل إجراء المزيد من التجارب، حتى إذا كان ما يفعله تترتب عليه عواقب وخيمة.

- أجل، تقريبًا نصف عمّالنا قد اختفوا خلال الشهرين الماضيين، دون أن يتركوا أثرًا، ودون تفسير، الأمر يصعب عملي إلى درجة لا تطاق!
تأوه توماس:

- أبعدها عن الحشود، وأوصلنا إلى مكان آمن حتى نعثر على نيوت.

أردف مينهو:

- هذا أفضل.

هز الحارس كتفيه:

- طيب، ما دمت سوف أحصل على أموالى.

توقف الحارسان أخيرًا على بعد حلقتين من المنطقة المركزية، وطلبوا من المجموعة الانتظار، احتشد توماس ورفاقه في ظلّ خلف أحد الأكواخ، تصاعدت الأصوات النشاز بمرور كل دقيقة، وعندئذٍ وقد صاروا قريبين جدًا من معظم قاطني القصر، بلغتهم الجلبة كأن شجارًا حاميًا تدور رحاه على مقربة منهم. كره توماس كل لحظة يمضونها هناك؛ يجلسون، وينتظرون، ويستمعون إلى هذه الأصوات المروعة، ويتساءلون طوال الوقت عما إذا كان الحارس سيعود أصلًا، ويتضاءل رجاؤهم في عودته ونيوت في أعقابها.

وبعد عشر دقائق من مغادرة الحارسين، خرج شخصان من كوخ صغير على الجانب الآخر من الممشى الضيق الذي أمامهم، فتسارع وجيب قلب توماس، وكاد ينهض ويركض قبل أن يدرك أن مظهرهما لا يوحي بأي خطر، كانا زوجين، يشابكان يديهما، وعدا عن اتساخهما قليلاً، وارتدائهما ملابس مجمدة مهترئة، كانا يبدوان عاقلين بما فيه الكفاية.

اقترب الاثنان من المجموعة الصغيرة، وتوقفا أمامهم. سألت المرأة:

- متى جئتم هنا؟

تاه توماس، وهو يبحث عن الكلمات، لكن برندا أجابت:

- جئنا مع المجموعة الأخيرة، إننا نبحث عن صديقنا الذي كان معنا،

اسمه نيوت.. أشقر الشعر، ويعرج. هل رأيتماه؟

أجاب الرجل كأنه سمع للتو أغبى سؤال في حياته:

- الشقر كثيرون هذا المكان! كيف عسانا أن نميز شخصاً عن الآخر؟!

وأي اسم نيوت هذا على أي حال؟

فتح مينهو شفثيه ليرد، لكن الجلبة القادمة من مركز البلدة ارتفعت،

فالتفت الجميع لينظر، وتبادل الزوجان نظرات قلقة، ثم هرولا، دون أن ينبسا

بكلمة، عائدتين إلى منزلهما، وأغلقا الباب، فسمع توماس صوت القفل، وهو

يوصد، وبعد هنيهة ظهر لوحٌ خشبيٌّ في نافذتهما، مغطياً إياها، فسقطت

شظايا زجاج على الأرض بالخارج.

قال توماس:

- يبدوان سعيدين كسعادتنا بوجودنا هنا!

ضحك خورخي:

- ودودان للغاية، أفكر بالعودة لزيارتها ذات يوم.

قالت برندا:

- من الواضح أنهما لم يمضيا هنا وقتاً طويلاً، لا يسعني تخيلُ هذا

الشعور؛ أن يكتشف المرء إصابته بالفيروس، ويرسل للعيش مع

النزقين، ثم يرى بأَم عينيه ما سوف يصبح عليه!

هز توماس رأسه ببطء. سيكون بؤسًا بأشع صورته.

سأل مينهو بنفاد صبر واضح في نبرته:

- أين الحارسان؟ ما المدة التي يتطلبها العثور على شخص، وإخباره بأن أصدقاءه هنا؟

بعد عشر دقائق عاود الحارسان الظهور عند منعطف، فقفز توماس ورفاقه على أقدامهم.

سأل مينهو متعجلًا:

- ماذا وجدتما؟

راح القصير يتململ، وعيناه زائغتان، كأنه فقد بجاحته السابقة، وتساءل توماس عما إذا كانت أي رحلة إلى المنطقة المركزية دائمًا تترك هذا الأثر في المرء!

أجاب زميله:

- تطلب الأمر السؤال عنه في أنحاء المكان، لكن أظننا وجدنا رفيقكم، يبدو تمامًا كما وصفتموه، والتفت نحونا عندما نادينا اسمه، لكن... تبادل الحارسان نظرة عدم ارتياح.

ضغط مينهو:

- لكن ماذا؟

- قال لنا أن نبليغكم حرفيًا، بأن تغربوا عن وجهه!

الفصل السابع والثلاثون

طعنت الكلمات توماس، ولم يسعه سوى تخيل شعور مينهو.

أمرهما صديقه بجفاء:

- دُلانا على مكانه.

- ألم تسمعوا ما قلته للتو؟

أصر توماس:

- لم تنته مهمتكما!

كان يتفق مع مينهو اتفاقًا تامًا، لا يهم ما قاله نيوت، ما داموا قد اقتربوا منه إلى هذا الحد، فسيتحدثون معه.

هز الحارس القصير رأسه بعناد:

- مُحال، طلبتم منا العثور على صديقكم وقد عثرنا عليه، أعطونا أموالنا!

سأل خورخي:

- هل صرنا معه الآن؟ لن ينال أحدٌ دولارًا واحدًا حتى تجمعانا به!

لم تقل برندا شيئًا، لكنها وقفت جوار خورخي، وأومات لتظهر دعمها، فأحس توماس بالارتياح، لأن الجميع متفقون على الذهاب إلى نيوت رغم الرسالة التي أرسلها.

لم يبذ الحارسان سعيدين إطلاقًا، وظلا يتبادلان الهمسات، ويتجادلان.

زمجر مينهو:

- اسمعوا! إذا أردتما المال، فلنذهب!

قال الحارس ذو الشارب:

- حسنًا، اتبعونا.

وحدجه زميله بنظرة حانقة. استدارا وعادا إلى الاتجاه الذي جاء منه، فسار مینهو في أعقابهما، والبقية خلفه. وهم يشقون طريقهم متوغلين في المجمع السكني، ظل توماس يفكر أن الأوضاع لا يمكن أن تسوء أكثر، لكنها ساءت، رأوا مباني أكثر تضعفًا، وشوارع أكثر اتساحًا، ورأوا عدة أشخاص يتمددون على قارعة الطريق، ورؤوسهم ملقاة على أكياس قذرة، أو محشورة في خرق ملابس، وكل واحد منهم يرنو ببصره إلى السماء بتعابير وجه منتشية، ونظرات بهجة هائمة، فخطر لتوماس أن مخدّر «النعيم» جدير باسمه.

تابع الحارسان السير، وهما يصوبان قاذفتيهما يمينًا ويسارًا نحو كل من يقترب منهم بمقدار عشر أقدام، وفي مرحلة ما مروا برجل زريّ الهيئة؛ ممزق الملابس، شعره ملبد بمادة سوداء لزجة، وجلده مغطى بالبثور، ورأوه يعتلي مراهقًا تحت تأثير المخدّر، وينهال عليه ضربًا. توقف توماس متسائلًا عما إذا كان ينبغي لهم المساعدة. قال الحارس القصير قبل أن يتفوه توماس بكلمة:

- لا تفكروا مجرد تفكير، تابعوا المشي!

- لكن أليس عملكما هو أن...

قاطععه الحارس الآخر:

- احرص، ودعنا نتولى الأمور، إذا تدخلنا في كل شجار وعراك تافه نراه، فلن ننتهي أبدًا، وللقينا حتفنا على الأرجح! هذان الاثنان يمكنهما حل مشكلتهما بنفسيهما.

قال مینهو بهدوء:

- أوصلانا إلى نيوت فحسب!

تابعوا السير، وحاول توماس تجاهل الصرخة المتحشجة التي تصاعدت فجأة خلفهم.

وأخيرًا بلغوا جدارًا عاليًا ذا ممر مقنطر يفضي إلى ساحة مفتوحة تعج بالناس، وثمة لوحة فوق القوس مكتوب عليها بحروف زاهية أن هذه هي المنطقة المركزية، ولم يستطع توماس تبيّن ما يجري بالداخل، لكن بدا أن الجميع مشغولون.

توقف الحارسان، وتوجه ذو الشارب للمجموعة بالكلام:

- سأسألکم مرة واحدة: هل أنتم متأكدون من رغبتكم في الدخول إلى هناك؟

أجاب مينهو بسرعة:

- نعم.

- حسنًا إذن، صديقكم في صالة البولينج، وحالما نشير إليه، أريد أموالنا.

زمجر خورخي:

- فلنتحرك فحسب.

تبعوا الحارسين عبر الممر المقنطر، ودخلوا المنطقة المركزية، ثم توقفوا ليستوعبوا المكان. «مصحة المجانين»، أول كلمة انبثقت في ذهن توماس، وأدرك أن الكلمة تنطبق على المكان حرفياً.. النزقون في كل مكان.

جالوا في أنحاء منطقة دائرية يبلغ قطرها عدة مئات من الأقدام تحيط بها، ما يبدو أنها كانت متاجر ومطاعم، وأماكن ترفيه، معظمها متهالكة ومغلقة. ومعظم المصابين بالفيروس لم يبدو أن حالتهم بسوء حالة ذي الشعر الملبد الذي رأوه في الشارع، لكن ثمة سُعار خفيّ يكتنف مجموعات الناس، وتراعى لتوماس أن أفعال وسلوكيات الجميع تبدو مبالغًا فيها؛ بعضهم يطلق ضحكات هستيرية، والوحشية تبرق في أعينهم، وهم يضربون ظهور بعضهم بعضًا بمرح عنيف، وآخرون يبكون بكاءً مرًا، وينشجون وحدهم على الأرض، أو سائرون في دوائر ووجوههم في أيديهم، والشجارات الصغيرة تندلع في كل مكان، وثمره رجل أو امرأة هنا وهناك يقفون ساكنين، ويصرخون بأعلى أصواتهم بوجوه محمّرة وأوداج منتفخة.

وهناك أيضًا أولئك الذين يحتشدون في مجموعات، عاقدين أذرعهم، ورؤوسهم تتذبذب يمينًا ويسارًا كما لو أنهم يتوقعون هجومًا في أي لحظة، وكما رأى توماس في الحلقات الخارجية، كان بعض النزقين هائمين في سديم النعيم، يبتسمون جالسين أو مضجعين على الأرض متجاهلين ما حولهم من فوضى. وكان بضعة حراس يسيرون في الأرجاء، حاملين أسلحتهم بتحفظ، لكن النزقين يفوقونهم عددًا بمراحل.

قال مينهو ساخرًا:

- ذكروني بألا أشتري أي شقة سكنية هنا!

لم يستطع توماس حمل نفسه على الضحك، كان القلق يتأكله، وتملكته رغبة مُلحة في الانتهاء من الأمر، فسأل:

- أين صالة البولينج؟

قال الحارس القصير:

- في هذا الاتجاه.

اتجه يسارًا، وسار قريبًا من الجدار، وتبعه توماس والآخرين، سارت برندا جوار توماس، وذراعاهما تتلامسان مع كل خطوة، أراد أن يمسك بيدها، لكنه لم يرغب في الإقدام على أي خطوة تلفت إليه الانتباه. كان كل ما في هذا المكان غير متوقع لدرجة أنه لم يرغب في فعل أي شيء ما لم يكن مضطرًا إليه اضطرارًا.

توقف معظم النزقين عن أنشطتهم المحمومة، وحدقوا إلى المجموعة الصغيرة من القادمين الجدد، وهم يقتربون ويتجاوزونهم. خفض توماس نظراته، خشية أنه إذا التقت عيناه بعيني أي أحد، فربما يستعديه، ويحاول الكلام معه. سمعوا صيحات المضايقة والصفير، وانهمر عليهم وابل من المزحات السمجة والإهانات، وهم يواصلون السير. اجتازوا متجر وجبات سريعة متداعيًا، ورأى توماس عبر نافذته -التي اختفى زجاجها منذ أميد بعيد- أن جميع الأرفف تقريبًا خالية، وكان هناك مكتب طبيب ومتجر شطائر، لكن ما من إضاءة تنبعث من أيٍّ منهما.

أمسك شخص بقميص توماس من كتفه، فاستدار ضاربًا اليد لبيعدها، ثم يرى من هو، وجد امرأة تنتصب أمامه، شعرها الأسود أشعث، وثمة خدش على فكها، وعدا عن هذا بدت طبيعية إلى حد ما، وجهها مرتخ بعبوس، وحدقت إليه لوهلة قبل أن تفتح فمها بأقصى اتساعه، كاشفةً عن أسنان في حالة سليمة، لكنها تبدو كأنها لم تُنظف منذ مدة، ولسان متورم متغير اللون، ثم أغلقت فمها.

قالت المرأة:

- أريد أن أقبلك، ما رأيك أيها المنيع؟!

وأطلقت ضحكة مهووسة كأنها قوقاة، يتخللها شخير، ثم مررت يدها بخفة على صدر توماس. أجفل توماس مبتعدًا، وواصل المشي، ولاحظ أن الحراس لم يتوقفوا على الأقل ليتأكدوا عدم وقوع مكروه.

مالت برندا مقتربة، وهمست له:

- ربما يكون هذا هو الموقف الأكثر إثارة للفرح حتى الآن!

اكتفى توماس بإيماءة، وتابع السير.

الفصل الثامن والثلاثون

لم تكن صالة البولنج بها أي أبواب، وبالنظر إلى طبقة الصدا السميكة التي تغطي المفاصل العارية، لا بد أن الأبواب خُلعت منذ زمن بعيد. تتدلى لافتة ضخمة فوق المدخل، لكن لا أثر للكلمات التي كانت مكتوبة عليها ذات يوم، ولم تبقَ سوى خدوش ألوان باهتة.

قال الحارس ذو الشارب:

- إنه بالداخل، والآن ادفعوا!

سار مينهو، وتجاوزته إلى الممشى الخالي، ومال عبر الفتحة واشرب بعنقه ليلقي نظرة بالداخل، ثم استدار، ونظر إلى توماس. قال، وقد عضَّ القلق وجهه:

- أراه بالخلف، المكان مظلم، لكنه هو قطعًا.

كان توماس في غاية القلق بشأن العثور على صديقهم القديم، وأدرك أنه ليست لديه أدنى فكرة عما قد يقولونه له. لماذا قال لهم أن يغربوا عن وجهه؟!

كرر الحارس:

- نريد أموالنا!

بدا خورخي رابط الجأش:

- سوف تحصلان على ضعف المبلغ إذا ضمنتما عودتنا سالمين إلى البيرج.

تشاور الحارسان، ثم أخذ القصير دوره في الكلام:

- ثلاثة أضعاف، ونريد نصف المبلغ الآن لنضمن أنكم لا تخذعوننا!

- اتفقنا يا شباب.

سحب خورخي بطاقته، ولمس بها بطاقة الحارس، محوّلًا المال، وأحس
توماس برضا قاتم بأنهم يسرقون المال من وِكد.

قال الحارس بعدما انتهوا من التحويل:

- سننتظر هنا.

قال مينهو:

- هيا.

ودخل المبنى دون انتظار رد.

نظر توماس إلى برندا التي كانت عابسة. سألتها:

- ما الخطب؟

كأن هناك أمرًا واحدًا فقط.

أجابت:

- لا أدري، يراودني إحساس سيئ فحسب!

- أجل، لست وحدك.

ابتسمت له نصف ابتسامة، وأمسكت يده، الأمر الذي قبله بسرور الآن، ثم
دخلوا صالة البولينج وخورخي خلفهما. وكما حدث في حالات كثيرة منذ أن
مُسحت ذاكرته، برقت في ذهن توماس صورٌ لما ينبغي أن يكون عليه مظهر
أي صالة بولينج وتفصيلها، لكنه لم يستحضر أنه لعب البولينج من قبل قط،
وكانت الصالة التي دخلوا فيها مختلفة تمام الاختلاف عما توقعه. المسارات
التي كان الناس يلعبون فيها ذات يوم أضحت أشلاء، معظم الألواح الخشبية
اقتلعت أو حُطّمت، وامتلأت المساحات بأكياس النوم والملاءات، حيث يغفو
الناس أو يضجعون هائمين، وهم يحدقون إلى السقف. قالت برندا لتوماس
إن الأثرياء وحدهم بوسعهم تحمّل تكلفة مخدّر النعيم، لذا تساءل كيف للناس
أن يتجرؤوا على أن يكشفوا للآخرين أنهم يتعاطونه في مكان كهذا، وتخيل
أنه لن ينقضي وقت طويل قبل أن يقرر أحدهم أن يفعل المستحيل من أجل
الحصول على المخدّر لنفسه.

كانت عدة نيران مشتعلة في الأماكن التي كانت توضع فيها مسامير
البولينج، وهذا لا يمكن أن يكون آمنًا، لكن كان شخص واحد على الأقل

يجلس عند كل نار، ويعتني بها، وانتشرت رائحة الخشب المحروق في الهواء، واختنقت العتمة بضباب دخانيّ. أشار مينهو إلى المسار الواقع أقصى اليسار، على بُعد نحو مئة قدم، حيث لا يوجد أشخاص كثيرون، وبدا معظمهم محتشدين في المسارات الوسطى، لكن توماس رأى نيوت على الفور رغم الإضاءة البائسة، بفضل انعكاس ضوء النار على شعره الأشقر الطويل، وهيئة جسده المتهدّل المألوف، وكان يوليهم ظهره.

همس توماس لبرندا:

- لا جدوى من هذا، لكن ما الذي سنخسره؟

لم يتعرض لهم أحد، وهم يشقون طريقهم بحذر نحو نيوت، متعرجين عبر متاهة الغافين في بطانياتهم حتى بلغوا المسار الأخير. كان توماس يحاذر أين تطأ قدماه، فأخر ما يريده هو أن يدوس على نزق فيعضه في ساقه. كانوا على بُعد عشر أقدام من نيوت عندما تكلم فجأة بصوت عالٍ تردد صده بين جدران صالة البولينج المعتمة:

- قلت لكم أن تغربوا عن وجهي أيها العراقيب!

توقف مينهو، وكاد توماس يرتطم به، واعتصرت برندا يد توماس، ثم أفلتتها، فأدرك عندئذٍ مدى تعرّقه، وسمع هذه الكلمات من نيوت جعله يدرك أن الأمر قضي وانتهى. لن يعود صديقهم إلى سابق عهده أبداً، إذ لا يرى أمامه سوى أيام قاتمة.

قال مينهو:

- علينا أن نتحدث معك.

واقترب بضع أقدام من نيوت، مضطراً إلى السير فوق امرأة نحيلة مضطجعة على جانبها.

أجابه نيوت بصوت رقيق، لكنه مشبّع بالوعيد:

- لا تقترب أكثر من هذا الحد، لم يأت بي أولئك الحثالة إلى هنا دون سبب، كانوا يظنون أنني لدي مناعة، وأختبئ في تلك البيرج الخرقاء، وتخيل دهشتهم عندما عرفوا أن الوهج ينهش دماغي، وقالوا إنهم يؤدون واجبهم المدنيّ عندما ألقوا بي في جُحر الجرذان هذا!

وعندما لم يُقل مينهو شيئاً، تكلم توماس، محاولاً عدم السماح للكلمات نيوت بقهره:

- لماذا تظن أننا هنا يا نيوت؟ يؤسفني اضطرارك إلى التخلف عنا، وإلقاء القبض عليك، ويؤسفني أنهم جلبوك إلى هنا، لكن بوسعنا الخروج عنوة، إذ لا يبدو أن أحداً يابه بمن يأتي أو يذهب.

مال نيوت ببطء ليواجههم، فانقبضت معدة توماس عندما رأى أن الفتى يحمل قاذفة بيديه، وقد بدا رث الهيئة، كأنه ظل يركض، ويقاقل ويهوي من ارتفاعات شاهقة لثلاثة أيام متواصلة، لكن رغماً عن الغضب المتقد في عينيه، لم يكن قد استولى الجنون عليه بعد.

قال مينهو:

- مهلاً يا رجل..!

وتقهقر نصف خطوة، وكاد يدوس على المرأة التي عند قدميه، وأردف:
- تمالك نفسك واهدأ، ما من حاجة إلى تصويب قاذفة لعينة إلى وجهي في أثناء حديثنا، من أين لك هذا الشيء على أي حال؟!
أجاب نيوت:

- سرقتها.. أخذتها من حارس جعلني... غير سعيد!

كانت يدا نيوت ترتعشان قليلاً، مما جعل توماس يتوتر، إذ كانت إصبع الفتى تحوم فوق زناد السلاح.

قال نيوت:

- لست... لست بخير. صدقاً، إنني ممتن لمجيئكم من أجلي أيها العراقيب، أصدقكم القول، لكن هنا ينتهي كل شيء، الآن حان الوقت لتستديروا وتسيروا خارجين عبر ذلك الباب، وتتوجهوا نحو البيرج، وتحلقوا مبتعدين، هل تفهمونني؟

قال مينهو، والإحباط يتصاعد في صوته:

- لا يا نيوت، لا أفهم، لقد خاطرنا بأعناقنا بالمجيء إلى هذا المكان، وأنت صديقنا، وسنصطحبك إلى الديار. إذا أردت أن تتدمر، وتنتحب في

أثناء زحفك نحو الجنون، فلا بأس، لكن سوف تتذمر وتنتحب معنا،
وليس مع هؤلاء النزقين الخُرق!

انتصب نيوت واقفًا فجأةً، بسرعة بالغة كادت تجعل توماس يتعثر
ويسقط للخلف، ورفع نيوت القاذفة، وصوبها نحو مينهو قائلاً:

- أنا نزيق يا مينهو! أنا نزيق! لماذا تعجز عن إدخال هذا الكلام في رأسك؟!
إذا كنت مصابًا بالوهج، وعرفت ما سيغدو عليه حالك، فهل كنت لترغب
في أن يقف أصدقاؤك حولك ويشاهدوا؟ ها؟ هل كنت لترغب في هذا؟!
كان يصيح عندما أنهى كلامه، ويزداد ارتعاشه مع مرور كل لحظة.
لم يقل مينهو شيئاً، وعرف توماس السبب، وهو نفسه كان يحاول البحث
عن كلمات، لكنه وجد نفسه خالي الوفاض، ثم تحولت إليه نظرات نيوت التي
تقدح شرراً. قال الفتى، وقد خفض صوته:

- وأنت يا تومي، إنك تتحلى بجرأة بالغة بمجيتك إلى هنا لتطلب مني
المغادرة معكم، جرأة خارقة! رؤيتك تصيبني بالغثيان!
أُخرس توماس مصعوقاً؛ لم يسبق لأي كلمات قالها شخص أن أَلَمته بهذا
القدر.. أي كلمات!

الفصل التاسع والثلاثون

عجز توماس عن إيجاد أي تفسير، فسأله:

- ما الذي تتحدث عنه؟

لم يُجب نيوت، وظل يحدق إليه بعينين متحجرتين، ذراعاها ترتعشان، وقاذفته مصوبة إلى صدر توماس، ومن ثم سكن، ولانّت قسماّت وجهه، وخفض سلاحه، ونظر إلى الأرض.

أصر توماس بهدوء:

- نيوت، لا أفهم، لماذا تقول كل هذا الكلام؟!

رفع نيوت عينيه، وقد اختفت المرارة التي كانت فيهما قبيل لحظات، وقال:
- آسف يا رفاق، أنا آسف، لكنني أريد منكم أن تصغوا إليّ؛ حالتي تسوء مع مرور كل ساعة، وقد أصبحت ساعات رشدي معدودة، فأرجوكم غادروا.

وعندما فتح توماس شفّتيه ليجادل، رفع نيوت يديه قائلاً:

- لا! لا مزيد من الكلام منك، أرجوكم... أرجوكم اذهبوا، إنني أتوسل إليكم، أتوسل إليكم بأن تسدوني هذا المعروف الأخير، أطلب منكم برغبة صادقة أن تفعلوا هذا من أجلي. هناك مجموعة التقيت بها، بيني وبينهم الكثير من القواسم المشتركة، يخططون للتسلل من هنا، والتوجه إلى دنفر لاحقاً اليوم، سوف أذهب معهم.

صمّت، وتعيّن على توماس استجماع كامل قوة إرادته ليظل صامتاً. لماذا يريدون التسلل والذهاب إلى دنفر؟

- لا أتوقع منكم أن تتفهموا، لكن لم يُعد بوسعي أن أكون معكم يا رفاق، سيكون الأمر صعباً عليّ بما فيه الكفاية الآن، وسوف يكون أصعب إذا

علمت أنكم ستشهدون ما سوف أَعِدُّ عليه، أو الأسوأ من كل هذا، إذا أذيتكم! لذا فلنودَّ بعضنا بعضًا، وعندئذٍ يمكنكم وعدي بأن تتذكروا نيوت الأيام الخوالي.

قال مينهو:

- لا أستطيع فعل هذا!

زعق نيوت:

- ألدك أدنى فكرة عن مدى صعوبة أن أظل هادئًا الآن؟! قلتُ كلماتي الأخيرة وانتهيت، والآن اخرجوا من هنا! هل تفهمونني؟ / اخرجوا من هنا! نكز أحدهم كتف توماس، فاستدار سريعًا، ورأى أن عدة نزقيين كانوا قد اجتمعوا خلفهم، وكان الشخص الذي نكز توماس رجلًا طويلًا عريض المنكبين، ذا شعر ذهني طويل، ومد يده مجددًا، ودفع بإصبعه صدر توماس، وقال:

- أعتقد أن صديقنا الجديد طلب منكم أن تدعوه وشأنه!

كان يخرج لسانه ليلعق شفثيه في أثناء حديثه.

أجاب توماس:

- هذا ليس شأنك، كان صديقنا قبل مدة طويلة من مجيئه هنا!

كان يستشعر الخطر، لكنه لسببٍ ما لم يكثرث، لم يكن قادرًا على القلق سوى بشأن نيوت.

مرر الرجل يده على شعره الدهنيّ قائلًا:

- صار ذلك الفتى نرَقًا الآن، ونحن كذلك، وهذا يجعله شأننا. والآن دعوه... وشأنه!

تكلم مينهو قبل أن يتمكن توماس من الرد:

- أنت! أيها المعتوه، ربما انسدت أذناك بالوهج، هذا بيننا وبين نيوت. أنت دعنا وشأننا!

تجهم الرجل، ورفع يداً تقبض على شظية زجاج طويلة، والدم يتقطر من حيث يمسكها، وزمجر:

- كنت أمل أن تقاوموا، لقد مللت!

اندفعت ذراعه بشظية الزجاج نحو وجه توماس، فانخفض توماس نحو الأرض، ورفع يديه ليبعد الضربة، لكن قبل أن تمسه الزجاجاة، تقدمت برندا، وأطاحت بيد الرجل، فانفلتت شظية الزجاج، ثم اندفع مينهو، وألقى بالنزق على الأرض، فسقطا على المرأة التي خطا فوقها سابقًا ليقترب من نيوت، وسرعان ما اشتبك ثلاثتهم في مباراة مصارعة.

زعم نيوت:

- توقفوا! توقفوا الآن!

تسمر توماس في مكانه مقرصًا في انتظار الفرصة ليقفز ويساعد مينهو، لكنه التفت، فرأى نيوت يصوب قاذفته متأهبًا لإطلاق النار، وعيناه تقطران وحشية من الغضب:

- توقفوا وإلا بدأت إطلاق النار، ولن أكرث بمن تصيبه القنبلة!

تملص الرجل ذو الشعر الدهني من الاشتباك، وانتصب واقفًا.. راكلًا المرأة في أضلاعها في أثناء نهوضه، فناحت، ووقف مينهو على قدميه، والخدوش تغطي وجهه. امتلأ الهواء بالصوت الكهربائي الصادر من القاذفة في نفس الوقت الذي اشم فيه توماس رائحة أوزون محترق، ثم ضغط نيوت الزناد... ارتطمت قنبلة بصدر الرجل ذي الشعر الدهني، وسربلت خيوط الكهرباء جسده، وهو يسقط على الأرض، صارخًا متلويًا، وقد تخشبت ساقاه، واللعب يسيل من فمه.

لم يصدق توماس التحول المفاجئ في الأحداث، ونظر إلى نيوت بعينين متسعيتين، مغتبطًا بما فعله، وسعيديًا، لأنه لم يصوب القاذفة نحوه أو نحو مينهو.

قال نيوت بما يشبه الهمس:

- أمرته بالتوقف.

ثم صوب نحو مينهو سلاحه الذي يرتعش، لأن يديه ترتعشان، وأردف:

- والآن غادروا يا رفاق، لا مزيد من النقاش. آسف.

رفع مينهو يديه قائلًا:

- هل ستطلق النار عليّ.. يا صديقي القديم!؟

قال نيوت:

- اذهبوا.. طلبت منكم بلطف أن تذهبوا، والآن أمركم. هذا صعب بما فيه الكفاية.. اذهبوا!

- نيوت، لنذهب إلى الخارج...

- اذهبوا!

اقترب نيوت خطوة، وصوب بشراسة أشد:

- اخرجوا من هنا!

كره توماس ما يراه من القسوة التي استولت على نيوت، الذي كان جسده بكامله يرتعش، وفقدت عيناه أي أثر لرشد؛ كان يفقد صوابه.. فقداناً تاماً.

قال توماس:

- فلنذهب، هيا.

لم يسبق أن سمع نفسه يقول شيئاً محزنًا كهذا من قبل قط. رشقه مينهو بنظرة حادة، وبدا كأن قلبه قد تشظى:

- لا يمكن أن تكون جادًا!

اكتفى توماس بالإيماء.

تهدلت كتفا مينهو، وسقطت عيناه على الأرض:

- كيف بلغ العالم هذه المرحلة المزرية؟!

خرجت منه الكلمات بالكاد، بصوت منخفض مشبع بالألم.

قال نيوت والدموع تنساب على وجهه:

- آسف. سوف... سوف أطلق النار إذا لم تذهبوا حالاً!

لم يستطع توماس التحمل لثانية إضافية واحدة، فأمسك برندا من يدها، ثم مينهو من أعلى ذراعه، وجذبهما نحو المخرج، مجتازًا الأجساد والملاءات، انقاد مينهو، ولم يتجرأ توماس على النظر إليه، وكان يأمل أن خورخي يتبعهم، واصل السير عبر الردهة والأبواب، ثم إلى الخارج في المنطقة المركزية.. إلى حشود النزقين الجامعة، بعيدًا عن نيوت.. بعيدًا عن صديقه، ودماغ صديقه المعتل.

الفصل الأربعون

لم يجدوا أثرًا للحارسين اللذين رافقاهم إلى هناك، وازداد النزقون مقارنةً بعددهم عندما دخلوا صالة البولنج، وبدأ أن معظمهم في انتظار القادمين الجدد، فعلى الأرجح أنهم سمعوا صوت إطلاق القاذفة، وصرخات الرجل الذي أُصيب، أو ربما خرج أحدهم وأخبرهم. أيًا كان السبب، أحس توماس كما لو أن كل من ينظر إليه من الذين تجاوزوا الطور، يشتهي غداءً بشريًا!

صاح أحدهم:

- انظروا إلى هؤلاء المهرجين!

أجاب آخر:

- أجل، أليسوا جميلين! تعالوا والعبوا مع النزقين، أم إنكم تريدون الانضمام إلينا؟

واصل توماس التحرك، شاقًا طريقه نحو المدخل المقنطر المفضي إلى المنطقة المركزية، وكان قد ترك ذراع مينهو، لكنه ظل ممسكًا بيد برندا. ساروا عبر الحشد، واضطر توماس أخيرًا إلى تحاشي النظر في أعين الناس، إذ لم يكُن يرى سوى الجنون والتعطش للدماء والغيرة.. كلها محفورة في عدد لا يحصى من الوجوه الدامية الشوهاء. أراد أن يركض، لكنه استشعر أنهم إذا ركضوا، فإن الحشد بأكمله سينقض عليهم كقطيع من الذئاب.

وصلوا إلى القوس، وساروا عبره دون تردد، وقادهم توماس إلى الشارع الرئيسي، قاطعًا حلقات المنازل المتداعية. ثم بدأ أن جلبه المنطقة المركزية بدأت مجددًا بعد زهابهم، ولاحقت المجموعة في رحلتها أصوات الضحك المهووس والصراخ الجامح. وكلما ازدادوا ابتعادًا عن الجلبة، خف توتر توماس، ولم يجرؤ على سؤال مينهو عن حاله، علاوةً على أنه يعرف الإجابة.

وبينما كانوا يجتازون مجموعة أخرى من البيوت المتصدعة، سمعوا صدى
بضع صيحات، ثم وقع أقدام، وزعق أحدهم:

- اركضوا! اركضوا!

توقف توماس، فرأى الحارسين اللذين تخليا عنهم يندفعان نحوهم عند
الزاوية، ولم يبطنًا سرعتهما، وركضا نحو الحلقة الأبعد من مركز البلدة.. نحو
البيرج، ولم يعد أيّ منهما يحمل قاذفته.

صاح مينهو:

- مهلاً! عودا إلى هنا!

نظر الحارس ذو الشارب إلى الخلف قائلاً:

- قلت لكم اركضوا أيها الحمقى! هيا!

لم يضيع توماس وقتاً ليفكر، وجرى خلفهما، عارفاً أن الجري هو الخيار
الوحيد، وتبعه مينهو وخورخي وبرندا، ثم التفت، فرأى مجموعة من النزقين
تطاردهم؛ اثني عشر على الأقل، يبدوون مسعورين، كأنما ضُغِط على زر، وبلغ
كل واحد منهم الطور دفعة واحدة.

سأل مينهو من خلال أنفاسه الثقيلة:

- ماذا حدث؟

زعق الرجل القصير:

- دفعونا خارج المنطقة المركزية! أقسم بالله إنهم أوشكوا على التهامنا،
لكننا نجونا بأعجوبة!

أردف الحارس الآخر:

- لا تتوقفوا عن الركض!

وانعطف الاثنان فجأة إلى اتجاه آخر نحو زقاق خفي.

تابع توماس وأصدقائه الركض نحو المخرج المؤدي إلى البيرج،
وتصاعدت الصيحات والصفير من خلفهم، فتجاسر توماس على الالتفات
سريعاً ليلقي نظرة أفضل على مطارديهم؛ ملابس ممزقة.. رؤوس شعناء..
وجوه ملطخة، لكن المسافة بينهم اتسعت.

صاح:

- لا يمكنهم اللحاق بنا! واصلوا التحرك، كدنا نصل!

وظهرت أمامهم البوابة الخارجية. ورغم هذا، ركض توماس بسرعة كما لم يركض في حياته قط، أسرع مما كان يركض في المتاهة، إذ إن فكرة الوقوع في أيدي أولئك النزقّين ملأته بالرعب. وصلت المجموعة إلى البوابة، وعبروها دون توقف، ولم يكلفوا أنفسهم عناء إغلاقها، ركضوا قاصدين البيرج مباشرة، التي كان بابها ينفتح، وخورخي يضغط على أزرار لوحته.

بلغوا المنحدر، فصعد توماس ركضًا، وقذف بنفسه إلى الداخل، والتفت، فرأى أصدقاءه يتوقفون منزلقين على الأرضية، والمنحدر يتحرك للأعلى، وهو يصدر صريرًا. ما كان قطيع النزقّين الذي يطاردهم ليلحق بهم في الوقت المناسب، لكنهم واصلوا الركض والصراخ وصيحات الجنون، والتقط أحدهم حجرًا وقذفه، فسقط على بُعد عشرين قدمًا.

ارتفعت البيرج في الهواء، وبابها ينغلق. حام خورخي بالسفينة فوق الأرض ببضع عشرات من الأقدام حتى يهدؤوا ويتمالكوا أنفسهم. لم يمثّل النزقّون تهديدًا من الأرض، فأبى منهم لم يكن معه سلاح، ليس الذين تبعوهم إلى خارج الجدار على أي حال. وقف توماس مع مينهو وبرندا عند إحدى الكوات، وشاهدوا الحشد الغاضب حد الهذيان للأسفل، وكان من الصعب تصديق أن ما يرونه حقيقيٌّ. قال توماس:

- انظروا إلى حالهم، من يدري ما كانوا يفعلونه قبل بضعة أشهر، ربما كانوا يعيشون في ناطحة سحاب، ويعملون في مكتبٍ ما، والآن يطاردون الناس كالحوانات البرية!

أجابت برندا:

- سأقول لك ما كانوا يفعلونه قبل بضعة أشهر؛ كانوا تعساء، خائفين أيما خوف من الإصابة بالوهج، مع علمهم أنه المحتوم الذي سوف يقع. طوّح مينهو بيديه قائلاً:

- كيف يمكنكم أن تقلقوا بشأنهم؟! هل كنت وحدي منذ قليل مع صديقي؟! اسمه نيوت!

هتف خورخي من قمرة القيادة:

- ما من شيء كان يمكننا فعله.
وأجفل توماس من قلة تعاطفه.

استدار مينهو ليوواجهه:

- اخرس وطر بنا أيها الأخرق!

قال خورخي متنهّدًا:

- سأبذل ما بوسعي.

وعبث ببعض الأدوات، وتحرك بالبيرج.

تهالك مينهو على الأرضية كأنه ذاب:

- ماذا سيحدث عندما تنفذ قنابل قاذفته؟

لم يوجه سؤاله إلى أحد بعينه، ناظرًا إلى بقعة خالية في الجدار.

لم تخطر لتوماس أي إجابة، إذ يستحيل التعبير عن الأسى الذي يتغلغل في صدره، وقعد جوار مينهو على الأرضية دون أن يتفوه بشيء، والبيرج ترتفع لأعلى، وتحلّق مبتعدًا عن قصر النزقين.

رحل نيوت...

الفصل الحادي والأربعون

في النهاية، أنهض توماس ومينهو نفسيهما، وذهبا ليقتهما أريكة في المنطقة العامة، بينما ذهبت برندا لمساعدة خورخي في قمرة القيادة. عندئذٍ وقد تسنَّى له الوقت للتفكير، ارتطم بتوماس الواقع الكامل لما حدث كأنه صخرة منحدره من مكان شاهق. إذ كان نيوت يؤازر توماس منذ دخوله المتأهة، ولم يدرك مدى توطُّد صداقتهما حتى الآن؛ اعتُصر قلبه. حاول أن يذكر نفسه بأن نيوت لم يمُت، لكن من ناحية ما كان الوضع أسوأ.. من معظم النواحي، فقد هوى في منحدر الجنون، ومحاط بنزقين متعطشين للدماء، وكان احتمال عدم رؤيته مجددًا أبدًا لا يطاق.

تكلم مينهو أخيرًا بصوت مجرد من الحياة:

- لماذا فعل هذا؟ لماذا لم يأت معنا؟ لماذا صوب ذلك السلاح إلى وجهي؟!

قال توماس:

- ما كان ليضغط الزناد أبدًا.

لكنه كان يشك في حقيقة هذا الأمر.

هز مينهو رأسه:

- رأيتَ عينيه عندما تغيَّرتا؛ جنونٌ محض! لأحرقني إذا واصلت الضغط

عليه، لقد جن جنونه يا صاح، ركب الجنون من أعلى رأسه إلى أخمص

قدميه!

- ربما يكون هذا أمرًا جيدًا!

سأل مينهو، وهو يلتفت نحو توماس:

- ماذا قلت؟!

- يُحتمل أنهم عندما يفقدون عقولهم لا يعودون هم أنفسهم كما في السابق، ربما رحل نيوت الذي نعرفه، وهو الآن لا يعي ما يجري له، لذا فإنه لا يعاني حقًا.

بدا مینهو كأنه شعر بالإهانة من الفكرة:

- محاولة جيدة أيها الأخرق! لكنني لا أصدقك، أعتقد أن جزءًا منه سوف يظل باقياً دومًا.. جزءًا كافيًا ليجعله يصرخ من الداخل، ويضطرب ويعاني كل ثانية من محنته، ويُعذَّب كأنه شخص دُفِن حيًّا!

جعلت الصورة توماس لا يرغب في مزيد من الحديث، ولأن بالصمت مجددًا. ظل توماس يحدق إلى بقعة واحدة على الأرضية، شاعرًا بالرهبة التي يبعثها مصير نيوت، حتى هبطت البيرج بمطار دنفر.

مسح توماس وجهه بكلتا يديه:

- أظننا وصلنا.

قال مینهو ساهمًا:

- أعتقد أنني صرت أفهم وكد على نحو أفضل الآن، بعدما رأيت تلكما العينين من كتب، ورأيت الجنون. الوضع ليس سيانًا عندما يتعلق الأمر بشخص تعرفه منذ مدة طويلة. شاهدت الكثير من الأصدقاء يموتون، لكنني لا أستطيع تخيل أي شيء أسوأ من هذا. الوهج يا صاح، لو تمكنا من إيجاد علاج لهذا...

لم يكمل الجملة، لكن توماس عرف ما يدور بخلده. أغمض توماس عينيه لثانية. ما من شيء في هذا الوضع صحيح مطلقًا أو خطأ مطلقًا، ولن يكون أبدًا، ثمّة مساحات رمادية شاسعة.

انضم خورخي وبرندا إليهما بعدما صمتا هنيهة.

تمتت برندا:

- يؤسفني ما حدث!

تأوه مینهو قائلاً شيئًا، وأومأ توماس، ونظر إليها نظرة طويلة، محاولاً أن يجعلها تعرف من عينيه مدى فظاعة ما يشعر به، واكتفى خورخي بالجلوس محدقًا إلى الأرضية.

تنحنحت برندا:

- أعرف أن هذا صعب، لكن علينا التفكير في خطوتنا التالية.

هب مينهو واقفًا على قدميه، وأشار إليها:

- يمكنك التفكير كما تشائين بشأن كل ما تريدين التفكير به يا أنسة
برندا، لقد تركنا للتو صديقنا مع مجموعة من المعتوهين.

ثم غادر المكان مسرعًا.

وقعت عينا برندا على توماس:

- آسفة.

هز كتفيه:

- لا بأس. مينهو كان مع نيوت من قبل ظهوري في المتاهة بعامين..
سوف يستغرق بعض الوقت.

قال خورخي:

- إننا في غاية الإرهاق يا شباب، ربما يجدر بنا أن نرتاح يومين، ونفكر
بالوضع مليًا.

غمغم توماس:

- أجل.

مالت برندا نحوه، وضغطت يده:

- سوف نجد مخرجًا.

أجاب توماس:

- هناك مكان واحد ينبغي أن نبدأ منه؛ شقة جالي.

- ربما تكون محققًا.

ضغطت يده مرة أخرى، ثم تركتها ونهضت:

- هيا يا خورخي، لنعد شيئًا نأكله.

ترك الاثنان توماس وحيدًا مع كُرْبته.

مضى كل واحد من الأربعة لحاله بعدما تناولوا وجبة لم يتبادلوا خلالها سوى بضعة كلمات جوفاء بتجهم، لم يستطع توماس أن يكف عن التفكير بنيوت، وهو يهيم على وجهه في أرجاء البيرج، وانقبض قلبه عندما فكر بما ستصبح عليه حياة صديقهم الضائعة.. القليل الذي بقي منها.

الرسالة. وقف توماس زاهلاً لوهلة، ثم ركض نحو الحمام، وأوصد الباب. الرسالة! نسي أمرها نسياناً تاماً في خضم هرج قصر النزقين. كان نيوت قد قال إن توماس سوف يعرف الوقت المناسب لقراءتها عندما يحين الوقت بالفعل، وكان ينبغي له قراءتها قبل أن يتركوه في ذلك المكان القميء. إذا لم يكن الوقت المناسب قد حان وقتذاك، فمتى سيحين إذن؟ أخرج الظرف من جيبه ومزقه، ثم أخرج قصاصة الورق، فأضاء الضوء الخافت المنعكس على المرأة الرسالة بوهج دافئ. تضمنت الرسالة جملتين موجزتين: «اقتلني.. إذا كنت صديقي حقاً ذات يوم، فاقتلني».

قرأها توماس مراراً وتكراراً، مُتمنياً تغيير الكلمات، وشاعراً بحرقة روحه لإدراكه أن صديقه قد بلغ منه الخوف مبلغ أن يبادر بكتابة هذه الكلمات، وتذكراً مدى غضب نيوت عليه هو تحديداً عندما وجدوه في صالة البولينج، إذ لم يرغب سوى في تلافي مصيره المحتوم؛ مصير أن يصبح نزقاً. وقد خذله توماس.

الفصل الثاني والأربعون

قرر توماس ألا يخبر الآخرين بشأن رسالة نيوت، لم يرَ أي جدري من إخبارهم، حان الوقت لنسيان الأمر، والمضي قدمًا، وقد فعل هذا ببرود لم يكن يدرك أنه يتسم به.

أمضوا ليلتين في البيرج، استعادوا طاقتهم، وناقشوا خططهم. لم يكن أيُّ منهم يعرف الكثير عن المدينة، أو لديه أي علاقات وطيدة، وكانت نقاشاتهم دائمًا تعود إلى جالي والذراع اليمنى. تريد الذراع اليمنى إيقاف وِكد، وإذا كان صحيحًا أن وِكد ربما تبدأ التجارب من جديد على ذوي مناعة جدد، فهدف توماس ورفاقه هو نفسه هدف الذراع اليمنى.

صبيحة اليوم الثالث من مواجهتهم مع نيوت، استحم توماس، ثم انضم إلى الآخرين، وتناولوا وجبة سريعة، وكان من الواضح مدى توترهم جميعًا لاعتزامهم التحرك بعد يومين من الاسترخاء. خططوا للذهاب إلى شقة جالي، والبدء من هناك، وكانوا قلقين قليلًا بشأن ما قاله نيوت لهم عن إن بعض النزقين يخططون للتسلل من قصر النزقين، والذهاب إلى دِنفر، لكن ما كانوا ليجدوا لهم أثرًا من الجو. وحالما استعدوا، اجتمع توماس والآخرين عند باب السفينة.

قال خورخي:

- دعوني أتولى الكلام هذه المرة أيضًا.

أومات برندا:

- وعندما ندخل، سوف نستقل سيارة أجرة.

غمغم مينهو:

- حسنًا، لنكف عن هذه الثرثرة البلهاء، ونذهب!

ما كان لتوماس أن يجد تعبيرًا أفضل، فالحركة هي الشيء الوحيد الذي يمكن أن يبده القنوط الذي يشعر به حيال نيوت ورسالته المرؤعة.

ضغط خورخي زراً، وبدأ منحدر باب الشحن الضخم يهبط، وقبل أن يجتاز نصف المسافة إلى الأرض، رأوا ثلاثة أشخاص يقفون خارج البيرج، وعندما ارتطم طرف المنحدر بالأرض، أدرك توماس أنهم لم يأتوا حاملين لافتة ترحيب. رجلان، وامرأة، يضعون الأقنعة المعدنية الواقية نفسها التي كان يضعها القميص الأحمر في المقهى، وكان الرجلان يحملان مسدسين، والمرأة معها قاذفة، وجوههم مغطاة بالتراب ومتعرقّة، وبعض ملابسهم ممزقة، كأنما تعيّن عليهم قتال جيش ليصلوا إليهم، وتمنى توماس أنهم يؤدون إجراءات أمنية مشددة فحسب.

سأل خورخي:

- ما هذا؟! -

قال أحد الرجلين، وقد جعل صوته الآلي كلماته أشد لؤمًا:

- أطبق شفطيك أيها المنيع، والآن انزلوا إلى هنا بهدوء وروية، وإلا فلن يعجبكم ما سيحدث! لا.. تحاولوا.. فعل.. أي.. شيء.

نظر توماس إلى ما خلف المعتدين عليهم، وصدم برؤية البوابتين المؤديتين إلى دِنفر مفتوحتين على اتساعهما، وشخصان ممددان دون حراك في الرواق الضيق المفضي إلى المدينة.

كان خورخي أول من أجاب:

- إذا بدأت إطلاق ذلك الشيء يا أخي، فسننقض عليكم، وربما تنالون من أحدنا، لكننا سنتغلب على ثلاثتكم أيها الحثالة!

عرف توماس أنه تهديد أجوف.

أجاب الرجل:

- ليس لدينا ما نخسره، حاولوا بأفضل ما تستطيعون، وأنا واثق بأنني سأصيب اثنين منكم قبل أن يخطو أحدكم خطوة واحدة.

ورفع مسدسه بضع بوصات، وصوبه نحو وجه خورخي. رفع خورخي

يديه، ودمدم:

- حسنًا، لقد فزت في الوقت الراهن.

تأوه مينهو قائلاً:

- يا لك من أخرق صعب المراس! من الأفضل لكم ألا تتخلوا عن حذركم، هذا كل ما سأقوله.

لكنه رفع يديه أيضًا.

عرف توماس أنه ليس أمامهم خيار سوى مسابرة الأمور، فرفع يديه، وكان أول من سار هابطاً المنحدر، وتبعه الآخرون. اقتيدوا إلى خلف البيرج، حيث وجدوا شاحنة مقفلة مهترئة بانتظارهم، ومحركها يقعقع، وخلف عجلة قيادتها امرأة تضع قناعاً واقياً، تجلس في المقعد الذي خلفه اثنتان أخريان تحملان قاذفتين.

فتح أحد الرجلين الباب الجانبى، ثم أشار إليهم بالدخول بإيماءة من رأسه:

- ادخلوا، إذا أقدمتم على أي حركة خاطئة، فستتطاير الرصاصات. وكما قلت لكم، ليس لدينا ما نخسره، وتخطر لي أشياء كثيرة أسوأ من عالمٍ نقص منه منيع أو منيعان!

صعد توماس إلى الجزء الخلفي من الشاحنة المقفلة، وهو يُجري حسابات الاحتمالات المتاحة لهم، وقال لنفسه: «سته مقابل أربعة، لكنهم مسلحون!». سأل وأصدقاؤه يصعدون ويقعدون بجانبه، أراد أن يؤكد أحدهم ما قالته تيريسا لجالي عن أن المنيعين يُجمعون ويُباعون:

- من يدفع لكم مقابل اصطياد أصحاب المناعة؟

لم يُجب أحد. صعد الثلاثة الذين رحبوا بهم أمام البيرج على متن الشاحنة المقفلة، وأغلقوا الأبواب، ثم صوبوا أسلحتهم للخلف، وقال قائدهم:

- هناك كومة من أغطية الرأس السوداء في الركن، ضعوها على رؤوسكم، ولن أتسامح إذا ضبطتكم تسترقون النظر في أثناء الرحلة، فنحن نحب تعهد أسرارنا بالحفظ والصون.

تنهد توماس.. لن يكون الجدال ذا طائل، أمسك بأحد الأغطية، وجذبها فوق رأسه، فلم يعد يرى سوى الظلام والشاحنة المقفلة ترتج مع هدير المحرك.

الفصل الثالث والأربعون

كانت الرحلة هادئة، لكنهم أحسوا كأنها ستدوم للأبد، فأتاحت لهم متسعاً من الوقت ليفكروا بأمور لم يكن توماس يرغب في التفكير بها، لا سيما مع انعدام الرؤية، وكان يشعر بالغثيان عندما توقفوا أخيراً. رفع توماس يده غريزياً ليخلع غطاء رأسه حالما فُتح باب الشاحنة، فصاح القائد:

- لا تنزعه، لا تتجروا على نزع الأغطية حتى نأمركم، والآن اخرجوا ببطء وهدوء، أسدونا معروفاً بإبقاء أنفسكم على قيد الحياة!
سمع توماس مينهو يقول:

- إنك صعب المراس بلا شك، من السهل التظاهر بالقوة، ومعك ستة أشخاص مسلحين، لماذا لا...؟
قوِّطع بلكمة قوية، أعقبها تأوه عالٍ.

أمسكت أيادِ بتوماس، وجذبتة خارج الشاحنة بعنف حتى كاد يسقط، وما إن استعاد توازنه، جذبه الشخص مجدداً، واقتاده بعيداً، وتمكن توماس بالكاد من إبقاء قدميه تحته. ظل صامتاً، وهو يُقتاد عبر سلالم، ثم رواق طويل. توقفوا، وسمع انزلاق بطاقة، ثم نقرة قفل، ثم صرير باب يُفتح، وفي أثناء انفتاحه، غُمِر الهواءُ بهمهمات أصوات هامسة، كأن عشرات الأشخاص ينتظرون بالداخل. دفعته المرأة، فتعثّر بضع خطوات للأمام، وحالما أُغلق الباب خلفه مد يده، ونزع غطاء رأسه على الفور. ألقى نفسه يقف مع رفاقه في غرفة شاسعة تعج بالناس، معظمهم يقتعدون الأرض، وأضواء باهتة من السقف تضيء بضع عشرات من الوجوه التي تحديق إليهم، بعضها قدرة، ومعظمها تغطيها الخدوش أو الكدمات. تقدمت نحوهم امرأة ذات وجه اعتراه الخوف والقلق، وسألت:

- كيف هو الوضع بالخارج؟ إننا هنا منذ بضع ساعات، وقد كانت الأوضاع تتداعى.. هل ازدادت سوءاً؟

بدأ المزيد من الناس يقتربون من المجموعة، وتوماس يجيب:

- كنا خارج المدينة، وألقوا القبض علينا عند البوابات. ماذا تقصدان بأن الأوضاع تتداعى بالخارج؟ ماذا حدث؟!

نظرت إلى الأرض:

- أعلنت الحكومة حالة الطوارئ، دون سابق إنذار، ثم اختفت الشرطة وآلات الشرطة، وفاحصو الوهج.. جميعهم اختفوا دفعة واحدة على ما يبدو. اختطفنا أولئك الناس، ونحن نحاول الذهاب إلى العمل بمبنى المدينة، ولم يتسنَ لنا الوقت لنعرف ما يجري أو لماذا!

قال رجل آخر:

- كنا حراساً في قصر النزقين، وقد ظل أمثالنا يختفون من كل مكان، لذا استسلمنا أخيراً، وجئنا إلى دِنفر قبل بضعة أيام، واعتقلنا في المطار أيضاً.

أطلق الرجل ضحكة حادة مريرة:

- المدينة بأسرها تطفح بالحمقى الذين يعتقدون أنهم كانوا يحتون الفيروس، كانت معركة طويلة وبطيئة، لكن الوضع انفجر في وجوهنا أخيراً. فقد العالم كل أمل، فالفيروس قويٌّ جداً. وقد توقع بعضنا حدوث هذا منذ أمد بعيد.

عادت نظرات توماس لتجول بين مجموعة الناس الذين يقتربون منهم، وتسمَّر عندما رأى آريس. لكز مينهو بمرفقه قائلاً:

- مينهو.. انظر.

كان فتى المجموعة (ب) قد رآهم، وابتسم مهرولاً نحوهم، ورأى توماس خلفه فتاتين كانتا في مجموعة متاهة آريس. بدا له أن الذين اختطفوهم -أيّاً كانوا- بارعون في عملهم.

وصل آريس إلى توماس ووقف أمامه كأنه يهم بعناقه، لكنه مد كفه، فصافحه توماس. قال الفتى:

- سعيد برؤيتكم بخير يا رفاق.

- نحن سعداء أيضًا، أين الجميع؟

رؤية وجه آريس المؤلف جعلت توماس يدرك أن كل المرارة التي كان يشعر بها حيال ما جرى بينهما في الأرض المحترقة قد تبددت.

اكفهر وجه آريس:

- معظمهم لم يعودوا معنا، اختطفتهم مجموعة أخرى.

وقبل أن يتمكن توماس من استيعاب ما قاله آريس، ظهرت تيريسا، واضطر توماس إلى السعال سعلة خفيفة ليتخلص من الغصة التي علقت بحلقه فجأةً:

- تيريسا؟!

اكتنفته دوامة من المشاعر المتناقضة، عنيفة بحيث تمكن من لفظ اسمها بالكاد.

- مرحبًا يا توم، إنني سعيدة جدًا برؤيتك على ما يرام.

اقتربت منه بعينين حزينتين مترققتين بالدموع.

- أجل.. إنني سعيد أيضًا.

كان جزء منه يكرهها، وجزء منه يشفق إليها، وأراد أن يصرخ بها، لأنها تركته عندما كانوا في مقر وكِد.

سألت:

- إلى أين ذهبتم يا رفاق؟ كيف قطعتم كل هذه المسافة إلى دنفر؟

تشوَّش توماس:

- ما الذي تقصدينه بأين ذهبنا؟

حدقت إليه لوهلة، ثم قالت:

- أمامنا كثير مما علينا التحدث عنه!

ضيق توماس عينيه:

- ما الذي تخططين له الآن؟

قالت بنبرة تحدٍ:

- لا أخطط ل... من الواضح أنه يوجد سوء تفاهم بيننا! اسمع، معظم أفراد مجموعتنا اختطفتهم مجموعات مختلفة من صيادي الجوائز أمس، وعلى الأرجح عادوا بهم ليبيعوهم لوكد، بما فيهم السيد طاسة.. يؤسفني هذا!

انبتقت صورة الطباخ في ذهن توماس، ولم يدر إن كان بوسعه تحمّل فقدان صديق آخر.

مال مينهو إلى الأمام قائلاً:

- أراك تبعثين على البهجة كعادتك دومًا، تشرّفنا بحضورك المشرق! تجاهلته تيريسا تجاهلاً تامًا:

- توم، سينقلوننا عما قريب، أرجوك تعال، وتحدث معي، على انفراد.. الآن.

امتعض توماس من حقيقة أنه رغب في الحديث معها، وحاول إخفاء لهفته:
- ألقى الرجل الجرد عليّ خطبته الرنانة سابقًا، أرجوك قولي لي إنك لا تتفقين معه، وتعتقدين أنني ينبغي لي العودة إلى وكيد.

- لا أدري عما تتحدث!

صمتت كأنها تصارع كبرياءها، ثم أردفت:

- أرجوك.

حدق توماس إليها لحظة طويلة، ليس متأكدًا من شعوره. كانت برندا على بُعد بضعة أقدام منه، ومن الواضح أنها ليست سعيدة برؤية تيريسا. سألته تيريسا، وهي تشير إلى محيطهم:

- ماذا الآن؟ ليس ثمة الكثير مما يمكن فعله هنا سوى الانتظار، هل أنت أكثر انشغالًا من أن تتحدث معي؟!

أخفى توماس ضيقه، وأشار إلى كرسيين خاليين في ركن الغرفة الشاسعة:

- فلنذهب، لكن اختصري الحديث!

الفصل الرابع والأربعون

قعد توماس مستندًا برأسه إلى الجدار، عاقدًا ذراعيه، وسحبت تيريسا ساقيها إلى تحتها، قاعدةً في مواجهته. وكان مينهو قد حذره بألا يحفل بأي كلمة تقولها، وهما يسيران مبتعدين.

قالت تيريسا:

- إذن..

- إذن..

- من أين نبدأ؟

- أخبريني، فجلوسنا هنا للحديث فكرتك أنت، فلننهِ الأمر إذا لم يكن لديك شيء لتقوليه!

تنهدت تيريسا:

- ربما يجدر بك أن تبدأ بحسن الظن بي، وتكف عن التصرف كوغد. أجل، أعرف أنني اقترفت أفعالاً في الأرض المحترقة، لكنك أيضاً تعرف لماذا فعلتها، لأنقذك على المدى الطويل، ولم أكن أعرف عندئذٍ أن الأحداث كلها متعلقة بـ «المتغيرات» والأنماط، فلماذا لا تحسن بي الظن قليلاً؟ تحدث معي كشخص عادي!

ترك توماس الصمت يخيم عليهم للحظات قبل أن يجيب:

- طيب، لا بأس، لكنك تخلّيت عني في مقر وكد، مما يظهر أنك... زعقت كأنها صُفِعت:

- توم! نحن لم نتخلّ عنكم! ما الذي تتحدث عنه؟!

صار توماس في غاية التشوش الآن:

- ما الذي تتحدثين أنت عنه؟!

- لم نتخلّ عنكم! جئنا بحثًا عنكم. أنتم الذين تخليتم عنا!

لم يسع توماس سوى التحديق إليها:

- أحمقًا تعتقدين أنني غبي لهذه الدرجة؟!

- كان حديث جميع الناس في مجمع وِكد أنك أنت ونيوت ومينهو خرجتم

عنوة، وذهبتن إلى مكانٍ ما في الغابات المجاورة، وبحثنا عنكم، لكن لم

نجد لكم أثرًا، وكنت أمل منذئذٍ أن تتمكنوا بطريقةٍ ما من العودة إلى أي

مدينة، لماذا تعتقد أنني كنت مبتهجة برؤيتك على قيد الحياة!

أحس توماس بغضب مألوف يحتدم بداخله:

- كيف لك أن تتوقعي مني تصديق هذا الكلام؟! كنتِ على الأرجح

تعرفين ما حاول الرجل الجرد أن يقوله لي؛ أنهم محتاجون إليّ، وأني

«المرشح النهائي» المزعوم.

تهدل كتفا تيريسا:

- تعتقد أنني أشرُّ إنسان سار على الأرض، أليس كذلك؟!

لكنها لم تنتظره ليجيبها.

- إذا كنتِ قد استعدت ذكرياتك كما كان من المفترض أن يحدث، لرأيت

أني تيريسا نفسها كما كنتِ دائمًا. فعلتُ ما فعلته في الأرض المحترقة

لأنقذك، وقد ظلت أحاول التكفير عن فعلتي منذئذٍ!

وجد توماس صعوبة في البقاء غاضبًا، إذ لم تبد أنها تمثّل أو تتظاهر:

- كيف يمكنني أن أصدقك يا تيريسا؟ كيف؟!

رفعت بصرها إليه، وكانت عيناها زجاجيتين:

- أقسم لك إنني لا أعرف كل شيء عن «المرشح النهائي»، فهذا الأمر

استُحدث بعدما ذهبنا إلى المتاهة، لذا ليست لدي ذكريات عنه، لكن ما

عرفته على وجه التأكيد هو أن وِكد لا تنوي إيقاف التجارب حتى يكملوا

مخططهم الأولي، وهم يجهّزون لجولة أخرى يا توماس، وِكد تجمع

المزيد من أصحاب المناعة لتبدأ الاختبارات إذا لم تنجح التجارب. ولا
أستطيع خوضها مجددًا، فغادرت لأبحث عنك. هذا كل ما في الأمر!
لم يُجب توماس، وكان جزء منه يرغب بشدة في تصديقها.

قالت تيريسا متنهدة:

- أسفة للغاية.

ونظرت بعيدًا، ومررت يدها على شعرها، وانتظرت عدة ثوانٍ قبل أن
تعاود النظر إليه:

- كل ما أستطيع قوله لك أنني ممزقة لأشلاء من الداخل. كنت أصدق
فعلًا أن إيجاد العلاج ممكن، وكنت أعرف أنهم يحتاجون إليك من أجل
إيجاده. الوضع مختلف الآن، فحتى مع استعادة ذكرياتي لا يمكنني
التفكير بنفس الطريقة التي كنت أفكر بها. وأرى الآن أن الأمور لن
تنتهي أبدًا!

صمتت، لكن توماس لم يعرف ما عليه قوله، وبحث في وجه تيريسا، فرأى
ألمًا لم ير له مثيلًا من قبل قط؛ كانت تقول الحقيقة. لم تنتظره ليتكلم قبل
أن تتابع:

- لذا قطعت عهدًا على نفسي، سوف أبذل كل ما يتطلبه التكفير عن
أخطائي. أردت إنقاذ أصدقائي أولًا، ثم أصحاب المناعة الآخرين، إذا
أمكن. والآن انظر إلى إنجازي العظيم.

بحث توماس عن كلمات:

- حسنًا، نحن أيضًا لسنا بأفضل منك حاليًا، أليس كذلك؟

ارتفع حاجباها:

- هل كنتم تأملون إيقافهم؟

- إننا على وشك أن نباع إلى وِكد، ففيمَ يهم الأمر؟

لم تُجب على الفور. وكان توماس مستعدًا لفعل أي شيء ليعرف ما يدور
في رأسها، وليس بالطريقة القديمة. وأحس بالحزن للحظة وجيزة، لإدراك
أنهما أمضيا معًا ساعات لا تحصى، وهو لا يتذكر منها شيئًا، قد كانا صديقين
مقربين ذات يوم.

قالت أخيرًا:

- إذا تمكنا بطريقة ما من فعل شيء، أمل أن تجد طريقة لتثق بي مجددًا. وأعرف أننا يمكننا إقناع آريس والآخرين بمساعدتنا، فشعورهم حيال ما حدث هو نفس شعوري.

تعيّن على توماس أن يكون حذرًا، إذ كان من الغريب أنها لم تتفق معه بشأن وكّد إلا بعدما استعادت ذكرياتها، وقال أخيرًا:

- سنرى ما سيحدث.

قطّبت وجهها تقطبية حادة:

- إنك لا تثق بي حقًا، أليس كذلك؟

كرر كلامه:

- سنرى ما سيحدث.

ثم نهض، وسار مبتعدًا، كارها نظرة الألم التي ارتسمت على وجهها، وكارها نفسه، لأنه اهتم بها بعد كل ما فعلته به.

الفصل الخامس والأربعون

وجد توماس مينهو جالسًا مع برندا وخورخي عندما عاد إليهم، ولم يبْدُ مينهو سعيًا برؤيته. حدج توماس بنظرة شزاء، وقال:

- إذن ما الذي قالته الفتاة الخائنة؟!

قعد توماس بجانبه، وتجمع عدة غرباء مقتربين، وعرف أنهم يسترقون السمع.

ضغط مينهو:

- إذن؟

- قالت إن سبب هروبهم هو اكتشافهم أن وِكد تخطط للبدء من جديد إذا اضطروا، وإنهم يجمعون أصحاب المناعة، تمامًا كما أخبرنا جالي. وتقسِم إنهم حُمِلوا على الاعتقاد بأننا كنا قد غادرنا قبلهم، وإنهم بحثوا عنا.

صمت توماس مدركًا أن مينهو لن يحب الجزء التالي:

- وقالت إنها سوف تساعدنا إذا استطاعت.

هز مينهو رأسه:

- إنك أخرق، ما كان ينبغي لك الحديث معها!

قال خورخي:

- أكره إقحام أنفي في حديثكم يا شباب، يمكنكم الحديث عن هذا الهراء طوال اليوم، لكن لا جدوى تُرجى منه ما لم نُخرج أنفسنا من هذا المكان اللطيف؛ لا يهم مَنْ إلى جانب مَنْ!

وعندئذٍ انفتح باب الغرفة، ودخل ثلاثة من خاطفيهم حاملين أكياسًا ضخمة محشوة بشيء، وتبعهم رابع مسلح بقاذفة ومسدس، وجال بناظره

في الغرفة تحسُّبًا لأي متاعب، وبدأ الثلاثة الآخرون يوزعون ما بداخل الأكياس؛ خبزًا وقوارير مياه.

سأل مينهو:

- لماذا نظل ننتشل أنفسنا من ورطة، ثم نقع في أخرى دومًا؟ على الأقل كنا قادرين على لوم وكد على كل شيء!

- أجل، ما زلنا بمقدورنا لومهم.

ابتسم مينهو:

- جيد.. أولئك الأوغاد!

خيم صمتٌ مُقلقٌ على الغرفة في أثناء تجوُّل الخاطفين في أرجائها. بدأ الناس بالأكل، وأدرك توماس أنهم سيضطرون إلى الهمس إذا أرادوا مواصلة الحديث.

لكز مينهو توماس، وهمس:

- واحد منهم فقط يحمل سلاحًا، وهو لا يبدو شديد البأس، أراهن أنني يمكنني التغلب عليه.

أجابه توماس حابسًا أنفاسه:

- ربما.. لكن لا تُقدِّم على أي فعل متهور، فهو معه مسدس علاوةً على القاذفة، وثق بي، يجدر بك تجنُّب الإصابة بأي واحد منهما.

- طيب، أعرف.. أنتِ ثق بي هذه المرة.

غمز مينهو، ولم يسع توماس سوى إطلاق تنهيدة. لم يكُن من المحتمل ألا يلاحظ الآخرون بالخارج ما سيحدث. اقترب الخاطفون من توماس ومينهو، وأخذ توماس قرص خبز وقارورة ماء، لكن عندما حاول الرجل إعطاء الخبز لمينهو، أطاح به بعيدًا.

- لماذا قد أخذ أي شيء منك؟ إنه مسموم على الأرجح!

- لا مانع لدي إذا أردت أن تجوع!

أجاب الرجل، وابتعد. وما كاد يتجاوزهم حتى وثب مينهو فجأةً واقفًا على قدميه، وانقض على الرجل الذي يحمل القاذفة، فأجفل توماس، والقاذفة

تنفلت من قبضة الرجل، وتنطلق منها قنبلة نحو السقف، حيث انفجرت نائفةً خيوط الكهرباء. وكان الخاطف لا يزال على الأرض عندما انهال مينهو عليه باللكمات، وكان يجاهد ليمسك بمسدس الرجل بيده الأخرى.

تسمّر الجميع لوهلة، لكن الحركة عادت دفعة واحدة قبل أن تبدر ردة فعل من توماس. ألقى الحراس الثلاثة الآخرون أكياسهم، واتجهوا نحو مينهو، لكن قبل أن يخطوا خطوة واحدة انقض ستّة أشخاص عليهم، وألقوا بهم على الأرض. وساعد خورخي مينهو على سحب الحارس على الأرض، وهو يضرب ذراع الرجل حتى أفلت أخيرًا المسدس الذي كان قد أخرجه من حزامه، فركله مينهو بعيدًا، وحملته امرأة. ورأى توماس أن برندا أخذت القاذفة. صاحت، وصوبت السلاح نحو الخاطفين:

- توقفوا!

نهض مينهو، وفي أثناء ابتعاده عن الرجل المجنل على الأرض، رأى توماس أن وجه الرجل مغطى بالدماء، وكان الناس يسحبون الحراس الثلاث الآخرين ليمددوهم جوار زميلهم، بحيث يكون الأربعة صفًا، وهم مستقلون على ظهورهم.

حدث كل شيء في لمح البصر، ولم يكن توماس قد تحرك من مكانه على الأرض، لكنه شرع في العمل على الفور. قال:

- علينا حملهم على الكلام، وعلينا الإسراع قبل وصول تعزيزاتهم.

قال رجل بصوت عالٍ:

- علينا إطلاق النار على رؤوسهم.

وصاح بضعة آخرين موافقين:

- أطلقوا النار عليهم، ولنخرج من هنا.

أدرك توماس أن المجموعة صارت حشدًا غوغائيًا، وأنه عليه العمل بسرعة إذا أراد معرفة بعض المعلومات، قبل أن ينهار كل شيء. وقف وشق طريقه نحو المرأة التي حملت المسدس، وأقنعها بتسليمه له، ثم عاد وجثا بجانب الرجل الذي أعطاه الخبز. وضع توماس المسدس على صدغ الرجل قائلًا:

- ساعد إلى ثلاثة؛ إما أن تبدأ بإخباري عما تخطط وكد لفعله بنا، ومكان لقائكم بهم، أو سأضغط الزناد. واحد...
- لم يتردد الرجل:
- وكد؟ لا علاقة لنا بكد!
- إنك تكذب. اثنان...
- لا، أقسم لك! لا علاقة لهم بهذا! على حد علمي على الأقل.
- حقًا؟ إذن هلاً وضحت لي سبب اختطافكم أصحاب المناعة؟
- تذبذبت عينا الرجل نحو أصدقائه، ثم أجاب ناظرًا إلى توماس مباشرة:
- إننا نعمل لصالح الذراع اليمنى.

الفصل السادس والأربعون

سأل توماس:

- ماذا تقصد بأنك تعمل لصالح الذراع اليمنى؟
لم يبدو له الأمر منطقيًا.

قال الرجل رغماً عن المسدس المصوب إلى رأسه:

- ماذا تعني أنت بماذا أعني؟! أعمل لصالح الذراع اليمنى اللعينة، لماذا يصعب فهم هذا؟!!

أبعد توماس المسدس، وتراجع قاعدًا، وقد تملكته الحيرة:

- إذن لماذا تسعون للقبض على أصحاب المناعة؟

قال، وهو يرمق السلاح الذي انخفض:

- لأننا نريد القبض عليهم، ليس من شأنك معرفة أي شيء آخر.
هتف شخص من الحشد:

- أطلق عليه النار، واسأل التالي.

مال توماس نحوه، وألصق المسدس على صدغ الرجل مجددًا:

- إنك في غاية الشجاعة بالنظر إلى أنني الذي أحمل المسدس. سأعد إلى ثلاثة مرة أخرى، أخبرني لماذا تريد الذراع اليمنى أصحاب المناعة، وإلا فسأفترض أنك تكذب. واحد...

- تعرف أنني لا أكذب يا فتى!

- اثنان...

- لن تقتلني، أرى هذا في عينيك.

تحذّاه الرجل، وكان من المستحيل أن يطلق توماس النار على رأس رجل غريب، فتنهد، وأبعد المسدس:

- إذا كنت تعمل لصالح الذراع اليمنى، فمن المفترض أننا في جانب واحد، أخبرني بما يجري.

اعتدل الرجل جالسًا ببطء، وحذا حذوه أصدقاؤه الثلاث، وصاحب الوجه الدامي يئن من المجهود. وقال أحدهم:

- إذا أردت إجابات، فعليك بسؤال الزعيم. نحن حقًا لا نعرف أي شيء.
أردف الرجل الذي بجوار توماس:

- أجل، نحن نكرات!

اقتربت برندا بقاذفتها قائلة:

- وكيف يمكننا الوصول إلى زعيمكم هذا؟
هز الرجل كتفيه:

- ليست لدي فكرة.

زمجر مينهو، واختطف المسدس من يدي توماس، وصوب السلاح إلى قدم الرجل قائلًا:

- نلت كفايتي من هذا الحثالة. حسنًا، لن نقتلكم، لكن إصبع قدمك ستؤلمك ألمًا مبرحًا في غضون ثلاث ثوانٍ إذا لم تبدأ الكلام. واحد...

تقطب وجه الرجل بالغضب:

- أوكد لكم، لا نعرف شيئًا.

أجاب مينهو:

- حسنًا.

وأطلق النار.

شاهد توماس مصدومًا الرجل، وهو يمسك قدمه، وينوح من الألم. أصابه مينهو في إصبع قدمه الصغيرة، وذلك الجزء من الحذاء، والإصبع نفسها اختفيا تمامًا، وحل محلها جرح نازف.

زعت الحارسة التي جواره على الأرض:

- كيف يمكنك فعل هذا؟!

وهرعت لمساعدة صديقها، وأخرجت حفنة مناديل من بنطالها، وضغطتها على قدمه.

صدم توماس من أن مينهو فعلها حقًا، لكنه أكبر الشاب، إذ ما كان توماس يستطيع أن يضغط الزناد، وإذا كانوا يريدون الحصول على إجابات الآن، لما استطاعوا، ثم تطلع إلى برندا، وعرف من هزة كتفيها أنها تؤيد مينهو. وكانت تيريسا تشاهد من بعيد بوجه تتعذر قراءته. واصل مينهو ضغطه:

- حسنًا، بينما هي تعمل على قدمه البائسة، فليبدأ أحدكم الكلام. أخبرونا بما يجري وإلا فسنفقد إصبع قدم أخرى!

لوح بالمسدس متنقلًا به بين المرأة والرجلين الآخرين:

- لماذا تختطفون الناس لحساب الذراع اليمنى؟

أجابت المرأة:

- قلنا لكم إننا لا نعرف شيئًا. يدفعون لنا، ونفعل ما يطلبونه!

سأل مينهو مصوبًا المسدس نحو أحد الرجال:

- وأنت؟ هل تريد أن تقول شيئًا، وتنقذ إصبعًا أو إصبعين؟

رفع يديه قائلًا:

- أقسم بحياة أُمِّي إنني لا أعرف شيئًا، لكن...

بدا أنه ندم على الجزء الأخير فور نطقه، فانطلقت نظراته نحو أصدقائه،

وشحب وجهه:

- لكن ماذا؟ انطق.. أعرف أنك تخفي شيئًا!

- لا شيء.

صوب مينهو المسدس نحو قدم الرجل:

- هل نحن مضطرون حقًا إلى مواصلة هذه اللعبة؟ انتهيت من العد.

زعق الحارس:

- توقف! حسنًا، اسمع، يمكننا اصطحاب بعضكم معنا لتسألوهم

بأنفسكم، لا ندري ما إذا سوف يسمحون لكم بالحديث مع الشخص

الذي يتولى الأمر، لكن ربما. لن أعرض إصبع قدمي لإطلاق النار دون سبب وجيه!

تراجع مينهو خطوة مشيرًا إلى الرجل بالوقوف قائلاً:

- حسنًا.. إذن، رأيت، لم يكن هذا صعبًا جدًا! فلنذهب لزيارة زعيمكم هذا، أنا وأنت وأصدقائي.

اندلعت جلبة في الغرفة، إذ لم يرغب أي أحد في أن يتّرك، وما كانوا ليقبلوا الأمر دون جدال. نهضت المرأة التي جلبت الماء، وبدأت تزعق، فران الصمت على الحشد:

- إنكم أكثر أمانًا هنا! ثقوا بي من هذه الناحية، إذا حاولنا جميعنا الذهاب إلى حيث نحن ذاهبون، فأؤكد لكم أن نصفنا لن يصل. إذا أراد هؤلاء الشباب مقابلة الزعيم، فاتركوهم يخاطرون بحيواتهم، فالمسدس والقاذفة لن يكونا ذا نفع كبير بالخارج، لكن هنا لدينا باب موصل، وما من نوافذ!

ارتفعت في الغرفة جوقة تذرّات أخرى حالما أنهت كلامها، فالتفتت المرأة نحو مينهو وتوماس، وخاطبتهما من خلال الضجيج:

- اسمعا، الوضع خطر بالخارج، لا أنصح باصطحاب أكثر من شخصين، فكلما زاد عددكم، زاد احتمال رؤيتكم.

صمتت، ومسحت الغرفة ببصرها:

- ولذهبتُ بسرعة إذا كنت في مكانكم، فهؤلاء الناس -على ما يبدو- لن يزدادوا إلا تمللاً وعصبية، وسرعان ما سيستحيل إيقافهم.. وهناك بالخارج..

زمت شفتها بشدة، ثم تابعت:

- هناك نرّقون في كل مكان، ويقتلون كل ما يتحرك!

الفصل السابع والأربعون

صوب مينهو مسدسه نحو السقف، وأطلق النار، فجعل توماس يقفز، واستحالت جلبة الحشد صمًا مطبقًا. لم يرغب مينهو في قول كلمة، وأشار للمرأة بالتحدث:

- الوضع جنوني بالخارج! حدث كل شيء بسرعة فائقة، كأنهم كانوا مختبئين بانتظار إشارة أو شيء من هذا القبيل. صباح اليوم قُهرت الشرطة، وفتحت البوابات، وانضم إليهم بعض النزقيين من «القصر»، وهم في كل مكان الآن.

صممت متمهلة لتتبادل بعض النظرات:

- أؤكد لكم أن من الأفضل عدم الخروج، وأؤكد لكم أننا الأخيار، لا أدري ما خططت له الذراع اليمنى، لكن جزءًا من خطتهم يتضمن إخراجنا جميعًا من دِنفر.

زعق أحدهم:

- لماذا تعاملوننا كالسجناء إذن؟!

- إنني أؤدي ما وُظِّفْتُ لتأديته فحسب!

ثم وجهت انتباهها لتوماس، وتابعت:

- أعتقد أن مغادرة هذا المكان فكرة غبية، لكن كما قلت، إذا تعيَّن عليك الذهاب، فلا ينبغي أن تصطحب أكثر من شخصين. إذا رصد أولئك النزقون كمية كبيرة من اللحم الطازج الذي يسير على قدمين، فسينتهي أمركم، سواء كنتم مسلحين أو عُرَّلاً، وربما لن يرحب الزعيم بقدم حشد كبير، وإذا رأى حراسنا شاحنة مقفلة تقترب ربما يبدوون إطلاق النار على الفور.

قال توماس، ولم يدرك ما يريد قوله حتى لفظه لسانه:

- سنذهب أنا وبرندا.

هز مينهو رأسه:

- مُحال! أنا وأنت.

كان مينهو يمثل عبثاً بحدة طبعه، وبرندا تفكر قبل الإقدام على أي تصرف، وهذا ما كانوا يحتاجون إليه للخروج من هذا المأزق أحياناً. كما أن توماس لم يرغب في تركها تغيب عن أنظاره.. هكذا ببساطة.

- أنا وهي أبلينا بلاءً حسناً عندما كنا في الأرض المحترقة، يمكننا تولي الأمر.

- مستحيل يا رجل! ينبغي ألا ننفصل عن بعضنا بعضاً، علينا الذهاب نحن الأربعة.. سنكون أكثر أماناً.

أيقن توماس أن صديقه جُرح، وقال:

- مينهو، إننا بحاجة إلى شخص يتولى الأمور هنا.

وكان صادقاً في قوله، فقد كانوا في غرفة ملانة بأناس ربما يمكنهم مساعدتهم على القضاء على وِكد. وأردف:

- أضف إلى هذا.. أكره القول، لكن ماذا لو حدث لنا شيء؟ فلتظل هنا،

وتحرص على تنفيذ خططنا. لقد أسروا السيد طاسة يا مينهو، ومن

يدري بشأن الآخرين. قلت ذات يوم إنني ينبغي أن أكون أمين العدائين،

إذن دعني أؤدي المهمة اليوم، وثق بي، كما قالت السيدة، كلما قل

عددنا، ازدادت حظوظنا في عدم ملاحظتنا.

نظر توماس في عيني صديقه، وانتظر رداً، ولم يُجب مينهو لمدة طويلة،

وقال أخيراً:

- حسناً، لكن إذا مت، فلن أكون سعيداً!

أوماً توماس قائلاً:

- حلو الكلام.

لم يكن مدرّكاً لمدى أهمية دعم مينهو له، الذي أمده بالشجاعة اللازمة لفعل ما عليه فعله.

الرجل الذي قال إنه يمكنه اصطحاب توماس وأصدقائه إلى الزعيم صار هو دليلهم في الطريق، اسمه لورنس، وبدا -بصرف النظر عما بالخارج- متلهفًا لمغادرة الغرفة التي تعج بالغاضبين. فتح قفل الباب الكبير، وأشار لتوماس وبرندا باتباعه. توماس حامل المسدس، وبرندا مع قاذفتها. سارت المجموعة عائدة عبر الرواق الطويل، وتوقف لورنس عند الباب المفضي إلى خارج المبنى، وسقط ضوء السقف الباهت على وجه الرجل، فرأى توماس عليه أمارات القلق:

- طيب، علينا اتخاذ قرار. إذا ذهبنا سيرًا على الأقدام، فسنستغرق ساعتين، لكن حظوظنا في عبور الشوارع ستكون أفضل، إذ يمكننا الاختباء، ونحن نسير أفضل مما يمكننا إذا استقللنا الشاحنة المقفلة، والشاحنة ستوصلنا سريعًا، لكن سوف يُلاحظ مرورنا على وجه التأكيد.

قال توماس:

- السرعة مقابل التسلّل.

ونظر إلى برندا:

- ما رأيك؟

قالت:

- الشاحنة المقفلة.

وافقها توماس، وقد كانت صورة النزق ذي الوجه الدامي من ذلك اليوم

ما زالت تُورقه:

- أجل.. فكرة الخروج سيرًا على الأقدام ترعبني أيما رعب. الشاحنة.. قطعًا.

أوماً لورنس:

- حسنًا، الشاحنة إذن. والآن الزما الصمت، وتأهبا بسلاحيكما، أول ما علينا فعله هو ركوب الشاحنة، وإغلاق الأبواب، إنها خارج الباب مباشرةً، مستعدان؟

رفع توماس حاجبيه لبرندا، وأوماً كلاهما، مستعدان كما لم يسبق لهما الاستعداد.

أخرج لورنس حزمة بطاقات مفاتيح من جيبه، وفتح الأقفال، وعدة مزالج مرصوفة على الجدار، ثم فتح الباب ببطء. كان الظلام يخيم بالخارج، والإضاءة الشحيحة منبعثة من مصباح شارع وحيد، وتساءل توماس عن مدة استمرار سريان التيار الكهربائي قبل أن ينقطع، كما سيتوقف كل شيء في نهاية المطاف، ستغدو دِنفر ميتة في غضون أيام. كان يرى الشاحنة مركونة في زقاق ضيق على بُعد نحو عشرين قدمًا، وأطل لورنس برأسه إلى الخارج، وتلفت يمنا ويسرة، ثم عاد:

- تبدو الطريق خالية، فلنذهب.

انسلَّ ثلاثتهم، فركض توماس وبرندا نحو الشاحنة، بينما لورنس يؤمِّن الباب خلفهم، وأحس توماس بأنه يفيض حيوية ومشدود الأعصاب، وقد تملكه القلق جاعلاً إياه ينظر إلى اتجاہي الشارع، متأكدًا من أنه سيرى نزقًا، ويقفز فزعًا في أي لحظة، لكن المكان كان مقفرًا، رغم أن أصوات الضحكات الجنونية تتناهى إلى مسامعه من بعيد.

فُتحت أقفال الشاحنة، وفتحت برندا الباب، وركبت في نفس وقت ركوب لورنس، وانضم توماس إليهما في المقعد الأمامي، وأغلق الباب، فأوصد لورنس الأبواب على الفور، وأدار المحرك، وكان يهم بضغط دواسة الوقود عندما سمعوا ارتطامًا مُدويًا فوق رؤوسهم مباشرةً، واهتزت الشاحنة بعدة ضربات، ثم خيم الصمت، ثم سمعوا صوت سعال مكتوم.

قفز أحدهم على سقف الشاحنة...

الفصل الثامن والأربعون

اندفعت الشاحنة بسرعة للأمام، ويدا لورنس تقبضان بقوة على عجلة القيادة، واستدار توماس لينظر إلى الخارج عبر النافذة الخلفية، لكنه لم يَرَ شيئاً، بطريقةٍ ما كان الشخص الذي على سطح الشاحنة لا يزال متشبثاً. وحالما التفت توماس لينظر إلى الأمام، رأى وجهًا يزحف للأسفل على الزجاج الأماميَّ محدقاً إليهم بالمقلوب. كانت امرأة، شعرها متناثر بفعل الهواء مع إسراع لورنس في الزقاق بسرعة بالغة، والتقت عينا المرأة بعيني توماس، ثم ابتسمت كاشفةً عن أسنان مثالية على نحو مفاجئ.

زعق توماس:

- ما الذي تشبث به؟

أجاب لورنس بصوت مشدود:

- من يدري! لكنها لن تصمد طويلاً.

ظلت عينا المرأة عالقتين بتوماس، لكنها أفلتت يداً، وكوّرتها على شكل قبضة، ثم انهالت ضرباً على الزجاج؛ بوم.. بوم.. بوم، وظلت ابتسامتها مشرعة، وأسنانها تكاد تلمع بالضوء الساقط عليها.

صاحت برندا:

- هلاً تخلصت منها رجاءً؟

قال لورنس، وهو يسحق المكابح:

- حسناً.

حلقت المرأة في الهواء، منطلقةً كقنبلة يدوية؛ يداها تطوحان، وساقاها ترفسان، حتى ارتطمت بالأرض، فأجفل توماس، وأغمض عينيه بقوة، ثم جاهد ليلقي نظرة عليها، فصدّموا عندما رأوها تتحرك، وتحاول النهوض

مترنحة، استعادت توازنها، ثم استدارت نحوهم ببطء، ومصاييح الشاحنة تضيء كل جزء منها إضاءة ساطعة. لم تُعد مبتسمة إطلاقًا، إنما تجعدت شفاتها بتكشيرة شرسة، وقد احمرت كدمة كبيرة على جانب وجهها، وانغرست عيناها في توماس مرة أخرى، فارتجف.

ضغط لورنس بقوة على دواسة الوقود، وبدت النزقة كأنها ستندفع نحو المركبة، كما لو أن بمقدورها إيقافها بطريقة ما، لكنها انسحبت جانبًا في آخر ثانية، وشاهدتهم يمرون. عجز توماس عن انتزاع عينيه عنها، وفي آخر لمحة ذاب وجهها إلى عبوس طفيف، وصفت عيناها، كأنها أدركت للتو ما تفعله، كأنما بقي شيء بأعماقها من الشخص الذي كانت عليه. ورؤية هذا جعل الأمر أسوأ بالنسبة إلى توماس:

- كانت مثل مزيج من الرشد والجنون!

دمدم لورنس:

- فلنكن سعيدين، لأنها كانت واحدة فقط.

ضغطت برندا ذراع توماس:

- من الصعب رؤية هذا! أعرف شعورك أنت ومينهو عندما رأيتما ما حدث لنيوت.

لم يرد توماس بشيء، ووضع يده على يدها.

بلغوا نهاية الزقاق، وانعطف لورنس يمينًا إلى شارع أكبر نسبيًا، ورأوا بضعة أشخاص متناثرين أمامهم، قليلون منهم مشتبهون كأنهم يتشاجرون، لكن معظمهم ينقّبون في القمامة، أو يلتهمون أشياء لم يستطع توماس تبيئها، وفي أثناء مرورهم رأوا عدة وجوه تقف، وتحقق إليهم بأعين هامة.

لم يقل أيُّ من ركاب الشاحنة المقفلة شيئًا، كما لو أنهم يخشون أن الحديث من شأنه، بطريقة ما، أن ينبّه النزقين بالخارج. وأخيرًا قالت برندا:

- لا أصدق أن هذا حدث بهذه السرعة! أتعتقدون أنهم كانوا يخطون بطريقة ما للسيطرة على ديفر؟ أيمنهم حقًا تنظيم عملية على هذا النحو؟

أجاب لورنس:

- تصعب معرفة هذا على وجه التأكيد، كانت هناك إشارات: سكان محليون يختفون، وممثلون من الحكومة يختفون، واكتشاف أعداد متزايدة من المصابين، لكن يبدو أن عددًا هائلًا من أولئك الأوغاد كانوا مختبئين في انتظار اللحظة المناسبة ليجتاحوا المدينة.

قالت برندا:

- أجل، يتراءى لي أن المسألة حُسمت بتفوق النزقين على الأصحاء من حيث العدد، إذ حالما بدأت كفة الميزان تميل، مالت حتى النهاية.

قال لورنس:

- من يكثرث بكيفية وقوع ما جرى؟ كل ما يهم هو الوضع الآن. انظروا إلى ما حولنا، صار المكان كابوسًا.

أبطأ لينعطف يمينًا إلى زقاق طويل:

- كدنا نصل، علينا توخي مزيد من الحذر الآن.

أطفأ المصابيح الأمامية، ثم زاد السرعة. ما انفك الظلام يزداد جِلْكة في أثناء سيرهم، حتى لم يُعد توماس يرى شيئًا سوى ظلال ضخمة دون معالم محددة، ظل يتخيل أنها ستقفز أمامهم فجأة، وقال:

- ربما يجدر بك ألا تقود بهذه السرعة!

أجاب الرجل:

- سنكون على ما يرام، قُدت عبر هذا المسار آلاف المرات، وأعرفه كما أعرف راحة يد...

اندفع توماس للأمام، وأعادته حزام الأمان. دهسوا شيئًا، وعلق تحت الشاحنة؛ شيء معدني حسب صوته، فارتجبت الشاحنة مرتين، ثم توقفت.

همست برندا:

- ما هذا؟

أجاب لورنس بصوت أخفت:

- لا أدري، على الأرجح إنها سلة قمامة، أو شيء من هذا القبيل، أفزعنتي أيما فزع!

تحرك للأمام ببطء، فامتلاً الهواء بصريراً عالٍ، ثم سمعوا أصوات ارتطامات مختلفة، وبعدها ران الصمت على كل شيء.

غمغم لورنس:

- تخلصت منها.

ولم يحاول إخفاء ارتياحه. تابع القيادة، لكنه أبطأ كثيراً مقارنةً بسرعته السابقة. اقترح توماس، وكان مدهوشاً من سرعة دقات قلبه:

- ربما ينبغي أن تضيء المصابيح، لا أرى شيئاً أمامي!

أردفت برندا:

- أجل، كما إنني متأكدة من أن جميع الذين في محيطنا قد سمعوا الجلبة على أي حال.

أضاء لورنس المصابيح:

- أظنك محقة.

غمرت مصابيح الشاحنة الزقاق بأكمله بفيض من الضوء الأبيض الضارب للزرقة، وبدا -مقارنةً بالظلام الذي كانوا فيه قبيل لحظات- أشد سطوعاً من الشمس، وخزّر توماس عينيه ليحميهما من الضوء الباهر، ثم فتحهما على اتساعهما مع ثوران بركان الرعب بداخله، فعلى بُعد نحو عشرين قدمًا أمامهم، انبثق ثلاثون شخصًا على الأقل، واقفين محتشدين معًا، مغلقين الطريق إغلاقًا تامًا. وجوههم شاحبة مهزولة، تكسوها الخدوش والكدمات، وتتدلى من أبدانهم ملابس رثة قدرة، لبثوا واقفين في أماكنهم، وكل واحد منهم ينظر إلى الأضواء الباهرة دون أن يطرف له جفن، كانوا كأنهم جثث تقف على أقدامها، بُعثت من الموت للتو.

ارتعش توماس من البرودة التي سرت في جسده.

بدأ الحشد يتحرك منشقًا، تحركوا بتناغم، وظهرت مساحة واسعة وسطهم، وهم يتراجعون نحو جانبي الزقاق، ثم لَوَّح أحدهم بذراعه، مشيرًا إلى أن الشاحنة بإمكانها التقدم والمرور.

همس لورنس:

- هؤلاء نرزون في غاية التهذيب!

الفصل التاسع والأربعون

أجاب توماس، رغم أن كلامه بدا غيباً حتى بالنسبة إليه:

- ربما لم يبلغوا الطور بعد، أو ربما ليسوا في مزاج للدهس تحت شاحنة مقفلة كبيرة؟

قالت برندا:

- هيا، انطلق قبل أن يغيروا رأيهم.

ارتاح توماس عندما نفذ لورنس كلام برندا، فانطلقت الشاحنة للأمام كالسهم، ولم يبطئ سرعته، وكان النزقون المصطفون بجانب الجدارين يحدقون إليهم في أثناء مرورهم، ورؤيتهم من كثب، بخدوشهم ودمائهم، وكدماتهم، وأعينهم الجنونية؛ جعلت توماس يرتجف مجدداً. وكانوا يقتربون من نهاية المجموعة عندما سمعوا أصوات ارتطام عالية، وارتجت الشاحنة، وانحرفت إلى اليمين، واصطدمت مقدمتها بجدار الزقاق، فألصقت نزقين به، حدق توماس برعب عبر الزجاج الأمامي، وهما يصرخان من الألم، ويضربان مقدمة المركبة بقبضاتهم الدامية.

- ما هذا بحق الجحيم!؟

جار لورنس، وهو يتراجع بالشاحنة، فأصدرت عجلاتها صريراً متراجعةً بضع أقدام، وهي ترتج بعنف، وسقط النزقان على الأرض، وهاجمها على الفور أقرب الذين كانوا جوار الشاحنة، فأشاح توماس بوجهه سريعاً، وقد اجتاحه رعب مثير للغيثان. من جميع الجوانب، راح النزقون يضربون الشاحنة بقبضاتهم، وفي الوقت نفسه كانت إطاراتها تغزل، وتطلق صريراً عاجزةً عن الحركة، فكان مزيج الضجيج كأنه شيء قادم من كابوس.

زعقت برندا:

- ما الخطب؟! -

- لقد فعلوا شيئاً بالإطارات، أو محور الإطارات... شيئاً ما!

ظل لورنس يغير وضعية الشاحنة بين التقدم والتراجع، لكنه في كل مرة لا يتحرك سوى بضع أقدام. اقتربت امرأة ذات شعر أشعث من النافذة التي إلى يمين توماس، تحمل مجرفة ضخمة بيديها، وشاهدها، وهي ترفعها فوق رأسها، ثم تهوي بها على النافذة، لكن الزجاج صمد.

صاح توماس يائساً:

- علينا مغادرة هذا المكان!

لم يخطر له شيء آخر ليقوله. كانوا أغبياء بالوقوع في مثل هذا الفخ الواضح. ظل لورنس يغير ناقل السرعة، ويضغط دواسة الوقود، لكنهم بالكاد يتحركون للأمام والخلف، وسمعوا أصوات ارتطام مألوفة من السقف؛ كان أحدهم بالأعلى، والنزقون يهاجمون جميع النوافذ الآن، بكل ما يقع في أيديهم من عصي خشبية، وحتى أيديهم العارية. لم تستسلم المرأة التي خارج نافذة توماس، وما انفكت تهوي بمجرفتها على الزجاج مرة تلو أخرى، وأخيراً نجحت في الضربة الخامسة أو السادسة؛ ظهر شق رفيع على امتداد النافذة.

اختنق توماس بذعره المتعاضم:

- سَتُهُشُّمِه!

وقالت برندا في الوقت نفسه:

- أخرجنا من هنا!

تحركت الشاحنة بضع بوصات، حركة طفيفة بما يكفي لجعل المرأة تخطئ ضربتها التالية، لكن أحدهم هوى من الأعلى بمطرقة ثقيلة على الزجاج الأمامي، فارتسمت عليه شبكة عنكبوت ضخمة مثل وردة بيضاء. انتخعت الشاحنة للخلف مجدداً، فانكب الرجل الذي يحمل المطرقة على غطاء الشاحنة الأمامي، قبل أن يهوي على الزجاج مرة أخرى، ثم سقط على الأرض، فانتزع نِزْقَ نو جرح غائر طويل على رأسه الأصلع المطرقة من قبضة الرجل، وساهم بضربتين قبل أن تتشاجر مجموعة أخرى على سلاحه، وكادت الشقوق على الزجاج الأمامي تحجب الرؤية تماماً من داخل الشاحنة،

ثم انبعث صوت تهشُّم زجاج من الخلف، واستدار توماس، فرأى ذراعًا تتمعج عبر فتحة في النافذة، وحوافها المثلمة الحادة تمزق جلدها.

حلَّ توماس حزام أمانه، واندفع وَجَلًا إلى الجزء الخلفي من الشاحنة، وأمسك بأول ما وقع في يده؛ أداة بلاستيكية طويلة بها فرشاة في طرف، ونبوء حاد في الطرف الآخر؛ مجرفة ثلج، وزحف إلى صف المقاعد الأوسط، وهوى بالشيء على ذراع النزق، ثم مرة أخرى، ثم مرة ثالثة، فسحب الرجل يده صارخًا، وتساقطت شظايا الزجاج على الأرض الخرسانية بالخارج.

زعقت برندا به:

- أتريد القاذفة؟

صاح توماس:

- لا! إنها كبيرة جدًّا، ويصعب استخدامها داخل الشاحنة، أعطني المسدس!

انتخعت الشاحنة للأمام، ثم توقفت، فارتطم وجه توماس بظهر المقعد الأوسط، واستشرى الألم في خده وفكه، ثم التفت، فرأى رجلًا وامرأة يهشمان بقايا زجاج النافذة المكسورة، والدم يسيل على جانبي الثقب، وهو يتسع.

صاحت برندا من خلفه:

- إليك المسدس!

استدار، وأخذ منها المسدس، ثم صوب وأطلق النار مرة.. ثم مرتين، وسقط النزقان على الأرض، وصرخات ألمهما طغى عليها الضجيج الفظيع الصادر من صرير الإطارات، والمحرك المُنَهَك، وضربات هجوم النزقين.

صاح لورنس:

- أظننا كدنا نتحرر! لا أدري ما فعلوه بحق الجحيم!

التفت توماس لينظر إليه، فوجده ينضح بالعرق، وظهر ثقب وسط شبكة العنكبوت على الزجاج الأمامي، وغطت الشقوق النوافذ الأخرى بأكملها، ومعظم الأشياء بالخارج لم تُعد مرئية. أمسكت برندا قاذفتها مستعدة لاستخدامها إذا بلغ الأمر حد اليأس.

تحركت الشاحنة للخلف، ثم للأمام، ثم للخلف مجددًا، بدت أنها تحت السيطرة إلى حدٍ ما، ولم تُعد ترتج كما في السابق. انبثقت أربع أذرع عبر

الثقب الكبير الذي في الخلف، فأطلق توماس رصاصتين، وسمعوا صرخات، ثم لاح عند النافذة وجه امرأة؛ وجهٌ شائهُ بنقطيية شنعاء، وجميع أسنانها قدرة. قالت بكلمات مسموعة بالكاد:

- اسمحوا لنا بالدخول يا أولاد، لا نريد سوى الطعام. أعطونا بعض الطعام.. أدخلوني!

صرخت بالكلمة الأخيرة، وأقحمت رأسها في الفتحة كأنها تظن أن بإمكانها الولوج فعلاً، ولم يرغب توماس في إطلاق النار عليها، لكنه رفع المسدس، واستعد تحسُّباً لتمكُّنها بطريقةٍ ما من الدخول، لكن عندما اندفعت الشاحنة للأمام مجدداً، سقطت بالخارج، تاركَةً حواف النافذة المكسورة مغطاةً بالدماء. ثبَّت توماس نفسه متوقِّعاً تراجع الشاحنة مجدداً، لكن بعد توقُّف قصير مصحوب بارتجاج، تحركت للأمام عدة أقدام، مائلةً إلى اليمين، ثم بضع أقدام أخرى.

زَعَق لورنس:

- أظنني عرفت كيف سأُخرجها!

للأمام مجدداً، هذه المرة ربما عشر أقدام، وتبعهم النزقون بكل ما لديهم من قوة. مدة الصمت الوجيزة عندما تقدمت الشاحنة لم تدم طويلاً، وسرعان ما تعالت الارتطامات والضربات من جديد. مد رجل يده عبر الثقب الذي بالخلف حاملاً سكيناً طويلة، وراح يلوِّح بها ذات اليمين وذات اليسار نحو أي شيء ولا شيء، فرفع توماس مسدسه، وأطلق النار. كم عدد الذين قتلهم؟ ثلاثة؟ أربعة؟ هل قتلهم فعلاً؟

أطلقت الإطارات صريراً طويلاً، ثم انطلقت الشاحنة للأمام، ولم تتوقف، تقافزت عدة مرات، وهي تدهس النزقين الذين كانوا في طريقها، ثم استقرت وزادت سرعتها. نظر توماس إلى الخلف، ورأى أجساداً تتساقط من السقف على الشارع، وحاول باقي النزقين المطاردة، لكن سرعان ما ابتعدت الشاحنة. تهالك توماس على المقعد، متمدداً على ظهره، وهو يحدق إلى السقف المنبجج، تنفس الصُّعداء، وحاول استعادة السيطرة على عواطفه، وكان بالكاد مدرِّكاً لإطفاء لورنس المصباح الأمامي الواحد الذي لم يُهشَّم، وانعطافه مرتين، ثم ولوجه عبر باب مرأب مفتوح أُغلق حالما اجتازوه.

الفصل الخمسون

سربل الصمت عالم توماس عندما توقف لورنس، وأطفأ المحرك، ولم يكن يسمع سوى سريان الدم داخل رأسه، وأغمض عينيه محاولاً إبطاء تنفسه. ولم يقل أيُّ من الاثنين الآخرين شيئاً لعدة دقائق، حتى كسر لورنس الصمت: - إنهم بالخارج، يحاصروننا، وينتظرون خروجنا.

أرغم توماس نفسه على الجلوس متجهاً للأمام، وكان المكان خارج النوافذ المهشمة غارقاً في ظلام دامس.

سألت برندا:

- من؟

- حراس الزعيم. يعرفون أن هذه إحدى سياراتهم، لكنهم لن يقتربوا حتى نخرج، ونُظهر أنفسنا، إذ عليهم أن يتحققوا من هويتنا. وأخمن أن نحو عشرين سلاحاً مصوبين نحونا الآن!

سأل توماس، ولم يكن مستعداً لمواجهة أخرى:

- ما العمل إذن؟

- نخرج بهدوء وروية، سيتعرفون عليّ على الفور.

زحف توماس فوق المقاعد:

- هل نخرج في الوقت نفسه، أم ينبغي أن يخرج أحدنا أولاً؟

أجاب لورنس:

- سأخرج أولاً، وأقول لهم إن الوضع على ما يرام، انتظروا حتى أطرق على النافذة حتى تخرجوا. مستعدان؟

تنهد توماس:

- على ما أظن.

قالت برندا:

- سيكون الأمر مقيتاً إذا مررنا بكل ذلك ليطلقوا هم النار علينا! أنا متأكدة أنني أبـدو مثل نـزقة الآن!

فتح لورنس الباب، وانتظر توماس إشارته متوتراً، وأجفل من صوت إغلاق باب الشاحنة، لكنه كان مستعداً. عالجت برندا الباب، وفتحته ببطء وترجّلت، وتبعها توماس محاولاً الرؤية في الظلام، لكن الغرفة كانت حالكة السواد. انبعث صوت نقرة عالية، وغمر المكان على الفور بضوء أبيض باهر، فرفع توماس يديه، وأغمض عينيه، ثم وضع كفه أمام وجهه، وخزّر عينيه ليرى ما يجري. كان كشّاف ضخم مثبتاً على حامل ذي ثلاث قوائم موجّهاً إليهم مباشرة، وكان بالكاد يتبين هيئة شخصين على جانبي الكشّاف، ثم جال بناظره في بقية الغرفة، فرأى عشرة أشخاص على الأقل، جميعهم يحملون أسلحة متنوعة، تماماً كما قال لورنس سابقاً.

- لورنس، أهذا أنت؟

هتف رجل، فتردد صوته بين الجدران الخرسانية، وكان من المستحيل تحديد أي واحد منهم هو الذي تكلم.

- نعم.. أنا.

- ماذا حلّ بشاحنتنا؟ ومن هؤلاء الناس؟ قل لي إنك لم تحضر مصابين إلى هنا!

- هاجمتنا مجموعة كبيرة من النـزقين في الزقاق، ونحن في طريقنا إلى هنا، وهؤلاء منيعون... أرغموني على اصطحابهم إليكم، ويريدون مقابلة الزعيم.

سأل الرجل:

- لماذا؟

- قالوا إنـ...

قاطع الرجل لورنس:

- لا، أريد سماع السبب منهما. اذكروا اسميكما، وسبب إرغامكم رجُلنا على اصطحابكم إلى هنا، وتدمير إحدى المركبات القليلة المتبقية لدينا، ومن الأفضل أن يكون سببًا وجيهاً.

تبادل توماس وبرندا نظرة ليقررا من ينبغي له الحديث، وأومات برندا له. أعاد توماس نظراته إلى الكشاف، مركزًا على الرجل الذي إلى يمينه، بعدما خمن أنه هو الذي يتولى الكلام:

- اسمي توماس، وهذه برندا. نعرف جالي، فقد كنا معه في وِكد، وأخبرنا قبل بضعة أيام بشأن الذراع اليمنى، وما تفعلونه، ووافقنا على مساعدتكم، لكن ليس على هذا النحو، لا نريد سوى معرفة ما تخططون له، وسبب اختطافكم أصحاب المناعة واحتجازهم. كنت أظن أن وِكد هي التي تقترف مثل هذه الفِعال.

لم يَكُن توماس يعرف ما كان يتوقعه، لكن الرجل أطلق ضحكة قصيرة:
- أظنني سأسمح لك بمقابلة الزعيم، لا لشيء سوى أن تُخْرِج من رأسك فكرة أننا قد نفعل شيئًا مما تفعله وِكد!
هز توماس كتفيه:

- حسنًا، دعنا نقابل زعيمكم.
بدا الرجل صادقًا في امتعاضه من وِكد، لكن توماس لم يستوعب سبب اختطافهم جميع أولئك الناس.

قال الرجل:

- من الأفضل لك ألا تخادعنا يا فتى! لورنس، اصطحبهم للداخل، وليتفقد أحد آخر الشاحنة بحثًا عن أي أسلحة.

لاذ توماس بالصمت في أثناء اقتياده مع برندا إلى أعلى سلالم معدنية كالحة، ثم عبرا بابًا خشبيًا مكدودًا، ثم رواقًا ذا مصباح وحيد، وورق حائط ممزق عن جدرانها، وبلغا أخيرًا مساحة واسعة ربما كانت قاعة مؤتمرات أنيقة قبل خمسين عامًا، والآن لا تضم بين جدرانها سوى طاولة مُثَمَّمة وكراسي بلاستيكية متناثرة حيثما اتفق في أنحاء الغرفة.

كان شخصان يقعدان عند الطرف البعيد من الطاولة، ولاحظ توماس جالي أولاً، على اليمين، وقد بدا مرهقاً أشعث، لكنه تدبّر أمر إيماءة خفيفة وابتسامة طفيفة؛ ابتسامة لم تكن سوى تجعيدة بائسة على وجهه الذي يرثى له. وكان إلى جانبه رجل ضخم، شحمه أكثر من عضلاته، ومحيط خصره مضموم بالكاد بين ذراعي الكرسي البلاستيكي الأبيض الذي يقترعه.

سألت برندا:

- أهذا هو المقر الرئيسي للذراع اليمنى؟ إنني محبطة قليلاً.

أجاب جالي، وقد تلاشت ابتسامته:

- ظللنا ننتقل مرات أكثر من أن تُحصى، لكن شكرًا لك على الإطراء.

سأل توماس:

- إذن، أيكما هو الزعيم؟

أوماً جالي نحو رفيقه:

- لا تكن أخرق! فيننس هو المسؤول، وعليك إبداء شيء من الاحترام، فقد خاطر بحياته، لأنه يؤمن بضرورة وضع الأمور في نصابها الصحيح في العالم.

رفع توماس يديه بإشارة تصالحية:

- لم أقصد شيئاً. من سلوكك في شقتك سابقاً، ظننت أنك ربما تكون الذي

يمسك بزمام الأمور!

- طيب، ليس أنا، إنه فيننس.

سألت برندا:

- هل يعرف فيننس كيف يتكلم؟

زمجر الرجل الضخم بصوت هادر عميق:

- كفى! اجتاح النزقون مدينتنا بأكملها، وليس لدي وقت للعودة هنا،

والاستماع لمناكفات طفولية! ما الذي تريدونه؟!

حاول توماس كظم غضبه الذي اشتعل بداخله:

- أمر واحد فقط، نريد أن نعرف لماذا قبضتم علينا؟ لماذا تختطفون الناس لصالح وِكد؟ منحنا جالي أملاً كبيراً، وظننا أننا في الجانب نفسه، وتخيل مفاجأتنا عندما اكتشفنا أن الذراع اليمنى لا تقل سوءاً عن الذين من المفترض أنهم يناضلون ضدهم. ما المبلغ الذي سوف تجنونه من بيع أصحاب المناعة؟!

قال الرجل مجيباً، كأنه لم يسمع كلمة واحدة مما قاله توماس:

- جالي.

- نعم؟

- أتثق بهذين الاثنين؟

تحاشى جالي نظرات توماس، وأوماً قائلاً:

- نعم، يمكننا أن نثق بهما.

مال فينس إلى الأمام، واضعاً ذراعيه الضخمتين على الطاولة:

- إذن لا يمكننا إهدار أي وقت. اسمع يا فتى، هذه عملية قد تبدو مشابهة، ولم نخطط لجني قرش واحد من بيع أي أحد، إننا نجتمع أصحاب المناعة من أجل تقليد وِكد.

فوجئ توماس برده:

- ولماذا تفعلون شيئاً كهذا؟!

- سوف نستخدمهم للدخول إلى مقر وِكد الرئيسي.

الفصل الحادي والخمسون

حدق توماس إلى الرجل لبضع ثوانٍ. إذا كانت وكِد مسؤولة فعلاً عن اختفاء أصحاب المناعة الآخرين، فالأمر بسيط لدرجة كادت تُضحِكه. وقال:

- ربما تنجح هذه الخطة.

- تسرني موافقتك.

ظل وجه الرجل متعذر القراءة، ولم يعرف توماس إذا كان يتهمك عليه أم لا، وأردف الرجل:

- لدينا وسيط، وقد تمت الترتيبات سابقاً لبيعهم، هذه هي وسيلة دخولنا، علينا إيقاف هؤلاء الناس، ومنعهم من إهدار المزيد من الموارد في تجارب عبثية. إذا أردنا للعالم أن ينجو، فعلىنا استخدام ما لديهم في سبيل مساعدة الباقين على قيد الحياة، والحفاظ على استمرار الجنس البشريّ بطريقة عقلانية.

سأل توماس:

- أعتقد أن هناك فرصة لتمكنهم من إيجاد علاج؟

أطلق فينس ضحكة طويلة خافتة أشبه بقرقرة في صدره:

- إذا كنت تعتقد هذا بأدنى درجة من اليقين، لما وقفت أمامي هنا، أليس كذلك؟ ولما هربت، ولما سعيت للانتقام، وهذا ما أفترض أنك بصدده! أعرف ما مررت به، أخبرني جالي بكل شيء.

صمت، ثم قال:

- لا، ينسنا من أمر علاجهم منذ أمد بعيد!

قال توماس:

- لسنا هنا سعيًا وراء الانتقام، الأمر ليس متعلقًا بنا، ولهذا أعجبني حديثك عن استخدام مواردهم لغرض مختلف. ما مقدار ما تعرفونه عما تفعله وكِد؟

مال فينيس متكئًا على ظهر كرسيه الذي أطلق صريرًا من جميع أجزائه:
- أخبرتك للتو بسرٍ؛ سرٍ حرصنا على كتمانهِ ببذل الأرواح، وقد حان دورك لترد الثقة. إذا كان لورنس وجماعته يعرفون هويتك، لاصطحبوك إلى هنا على الفور. أعتذر عن المعاملة الخشنة!
أجاب توماس:

- لست بحاجة إلى اعتذارات، ولا أريد معرفة سوى ما خططتم له. لكنه انزعج من أن الذراع اليمنى كانت لتعامله معاملة مختلفة عن معاملة الآخرين إذا كانوا يعرفون من هو.

- لن نخوض في المزيد حتى نخبرنا بما تعرفه أنت، ما الذي يمكنك أنت تقديمه لنا؟

همست برندا، وهي تلتكز توماس بمرفقها:

- أخبره، فهذا ما جئنا من أجله.

كانت محقة، فقد أوحى له حدسه بأن يثق بجالي منذ لحظة تلقّيهم رسالته، وقد حان وقت الالتزام، إذ لن يمكنهم أبدًا دون مساعدتهم الوصول إلى البيرج، ناهيك بإنجاز أي شيء آخر. قال:

- طيب، تعتقد وكِد أن بإمكانها إكمال تطوير العلاج، وأنهم أوشكوا على بلوغ هدفهم، ولا ينقصهم سواي، ويقسمون إن هذه هي الحقيقة، لكن لكثرة أكاذيبهم ومراوغتهم، صار من المستحيل معرفة الحقيقة. لا أحد يعرف دوافعهم الآن، أو مدى بأسهم، أو ما هم مستعدون لفعله!

سأل فينيس:

- كم عددكم؟

فكر توماس:

- أقل من أربعة آخرين، ينتظرون حيث أخذنا لورنس، عددنا ليس كبيرًا، لكننا نعرف الكثير من التفاصيل الداخلية. كم عدد جماعتكم؟

- تصعب الإجابة عن هذا السؤال يا توماس! إن كنت تسأل عن عدد الذين انضموا إلى الذراع اليمنى منذ أن بدأنا الاجتماعات، وجمع القوات قبل بضع سنوات، فهناك أكثر من ألف عضو، لكن إن كنت تعني عدد الذين ما زالوا موجودين وسليمين، وما زالوا راغبين في مواصلة المشوار حتى النهاية، فنحن نتحدث عن مئات قليلة، مع الأسف!

سألت برندا:

- هل منكم أصحاب مناعة؟

- تقريبًا لا يوجد. أنا نفسي ليست لدي مناعة، وعلى ضوء ما جرى في دنفر، أنا متأكد من أنني أصبت بالوهج الآن. ونأمل ألا يكون غالبيتنا قد أصيبوا بالفيروس بعد، لكنه أمر لا فكاك منه في هذا العالم المتداعي، ونريد أن نحرص على فعل شيء في سبيل إنقاذ ما يمكن إنقاذه في الجنس الجميل الذي يسمى بالبشر.

أشار توماس إلى كرسيين على مقربة قائلًا:

- أيمكننا القعود؟

- بالطبع.

وحالما اقتعد توماس كرسيه، شرع في طرح الأسئلة التي ظلت تتراكم في رأسه:

- إذن، ما الذي تخططون لفعله بالضبط؟

أطلق فينس ضحكته الخافتة المدممة:

- اهدأ يا بُني! أخبرني بما يمكنك المساهمة به في كل هذا، ومن ثم سأخبرك بخططي.

أدرك توماس أنه يكاد يسقط عن كرسيه، وهو يميل نحو الطاولة، فاسترخى، وتراجع بظهره:

- اسمع، نعرف أشياء كثيرة عن مقر وِكد الرئيسي، وكيفية سير الأمور هناك، ولدينا أعضاء في مجموعتنا استعادوا ذكرياتهم، لكن أهم شيء

هو أن وكد ترغب في عودتي، وأظن أن بإمكاننا استغلال رغبتهم هذه بطريقة ما.

سأل فينس:

- أهذا كل ما في الأمر؟ أهذا كل ما لديك؟

- لم أقل إننا يمكننا فعل الكثير دون مساعدة، أو مساعدة الأسلحة.

تبادل فينس وجالي نظرة ذات مغزى إثر عبارة توماس الأخيرة، فسأل:

- ماذا؟

أعاد فينس انتباهه إلى برندا أولاً، ثم إلى توماس، وقال:

- لدينا ما هو أفضل من الأسلحة قطعاً.

مال توماس إلى الأمام مجددًا:

- وماذا عساه أن يكون؟

- لدينا وسيلة لضمان أن لا أحد يمكنه استخدام أي سلاح.

الفصل الثاني والخمسون

سألت برندا قبل أن يتمكن توماس من النطق:

- كيف؟

- سأدع جالي يشرح لكم.

وأشار فينس للفتى. قال جالي، وهو ينهض:

- حسنًا، فكّروا بجماعة الذراع اليمنى، هؤلاء الناس ليسوا جنودًا، إنهم محاسبون وعمّال نظافة، وسبّاكون ومعلمون. ويكّد لديها جيش صغير تقريبًا، مدرّب على استخدام أحدث وأعلى الأسلحة، وحتى إذا تمكنا من العثور على أضخم مخزون قاذفات في العالم، وكل ما يستخدمونه، فسوف نظل الطرف الأضعف.

عجز توماس عن تخيل ما يرمي إليه:

- ما هي الخطة إذن؟

- الوسيلة الوحيدة لتقريب موازين القوى تتمثل في ضمان تجريدكم من أي أسلحة، وعندئذٍ ربما تكون لدينا فرصة.

سألت برندا:

- إذن سوف تسرقونها بطريقة ما؟ ستعترضون شحنة، أم ماذا؟

- لا.. لا شيء من هذا القبيل.

أجاب جالي، وهو يهز رأسه، ثم اعترت وجهه حماسة طفولية، وأردف:

- الأمر لا يتعلق بعدد الذين يمكنك تجنيدهم لصالح قضيتك، إنما بمن يمكنك تجنيدهم. ومن بين كل الذين جمعتهم الذراع اليمنى، ثمة امرأة واحدة هي الأهم.

سأل توماس:

- من؟

- اسمها شارلوت تشيزويل. كانت كبيرة مهندسي أكبر مُصنّعي الأسلحة في العالم، على الأقل فيما يتعلق بالأسلحة المتقدمة التي تستخدم تكنولوجيا الجيل الثاني. وكل مسدس وقاذفة وقنبلة يدوية (كل شيء) تستخدمها وكِد هم مصدرها، وجميع الأسلحة تعتمد في عملها على إلكترونيات، وأنظمة كمبيوتر متقدمة، وقد اكتشفت شارلوت طريقة لجعل أسلحتهم بلا فائدة.

- حقًا؟

سألت برندا بنبرة يملؤها الشك، واستصعب توماس تصديق الفكرة أيضًا، لكنه أصغى بانتباه، وجالي يوضح:

- توجد رُقاقة مشتركة في كل سلاح يستخدمونه، وقد أمضت شارلوت الأشهر الأخيرة، وهي تحاول إيجاد طريقة لإعادة برمجة الأشياء عن بُعد من أجل تعطيل الأسلحة، وقد نجحت أخيرًا. سوف يستغرق الأمر بضع ساعات حالما تبدأ، وعلينا زرع جهاز صغير داخل المبنى حتى يعمل، ورفاقنا الذين سيسلّمون أصحاب المناعة هم الذين سيؤدون المهمة، وإذا نجحت الخطة، فسنجرب من الأسلحة أيضًا، لكن على الأقل سنكون قد نجحنا في معادلة ميزان القوى.

أردف فينس:

- حتى إذا لم يكن في الأمر ميزة لنا، فأنا متأكد من أن حراسهم وطاقمهم الأمنيّ اعتادوا استخدام تلك الأسلحة، لدرجة أنها أصبحت كطبيعة ثانية بالنسبة إليهم، لكنني أراهن أنهم صاروا ضعيفين في الاشتباك اليدويّ؛ القتال الحقيقي، والمناوشة بالسكاكين والمضارب والمجارف، والعصي والحجارة، والقبضات.

ابتسم ابتسامة واسعة شريرة، وتابع:

- سيكون عراكَ على الطراز القديم، وأعتقد أن بوسعنا التغلب عليهم. وإذا لم نلجأ إلى هذا الأسلوب وأسلحتهم لا تزال تعمل، فسوف يسحقوننا قبل أن نخطو خطوة واحدة!

استعاد توماس ذكرى معركتهم مع الهوام بداخل المتاهة، التي كانت تشبه وصف فينس. ارتعد للذكرى، لكنها بلا أدنى شك أفضل من مواجهة أسلحة بكامل عنفوانها. وإذا نجحت الخطة، فهذا يعني أن لديهم فرصة، وغمّر توماس بموجة حماسة:

- إذن كيف السبيل إلى التنفيذ؟

صمت فينس قليلاً:

- لدينا ثلاث سفن بيرج، وسنذهب بثمانين شخصاً، الأقوى في جماعتنا، وسوف نسلم أصحاب المناعة لوسيطنا داخل وكِد، ونزرع الجهاز، رغم أن هذه ستكون أصعب مهماتنا، وحالما يؤدي وظيفته، سنفجر الحائط، ونُحدث ثقباً فيه، ونُدخل الجميع. وحالما نبسط السيطرة على منشأتهم، ستساعدنا شارلوت على إعادة تشغيل ما يكفي من الأسلحة لنواصل سيطرتنا. إما أن نحقق هذا، وإما أن نموت جميعنا في سبيل تحقيقه. سنفجر المكان بأكمله إذا اضطررنا.

استوعب توماس الكلام كله، وخطر له أن مجموعته قد تساهم مساهمة قيمة في هجوم كهذا، خاصةً الذين استعادوا ذكرياتهم، إذ يعرفون تفاصيل مجمع مباني وكِد.

تابع فينس كأنه قرأ أفكار توماس:

- إذا كان ما يقوله جالي صحيحاً، فأنت وأصدقاؤك سوف تكونون عوناً كبيراً لفريق التخطيط، بما أن بعضاً منكم يعرفون المباني باطنها وظاهرها. ولا يمكننا الاستغناء عن أي فرد إضافي، مهما يكن عجوزاً أو يافعاً.

قالت برندا:

- لدينا بيرج أيضاً، ما لم يكن النزقون قد حطموها. إنها خارج أسوار دنفر في الجانب الشمالي الغربي، والطيار مع أصدقائنا الآخرين.

سأل توماس:

- أين سفنكم؟

لوح فينس بيده إلى خلف الغرفة:

- من هذا الاتجاه، آمنة وسليمة بما يكفي. كل شيء قريب. لوددنا أن ننتظر أسبوعاً أو أسبوعين لنستعد، لكن ليس لدينا خيار. جهاز شارلوت صار جاهزاً، والثمانون الأوائل جاهزون، يمكننا إمضاء يوم الغد أو نحوه في سماع ما تعرفونه، والانتهاء من التحضيرات النهائية، ومن ثم يمكننا التحرك. لا داعي لإضفاء أي رونق على المهمة، سنذهب وننفذ فحسب.

سماعه، وهو يقولها بهذه الطريقة جعل الأمر أكثر واقعية لتوماس:

- ما مدى ثقتك؟

قال فينس بتعابير متجهمّة:

- اسمعني يا فتى، منذ سنوات طويلة لم نكن نسمع سوى عن مهمة وكِد، ويقال لنا إن كل فلس، وكل رجل، وكل امرأة، وكل مورد؛ جميعها يجب تكريسها لإيجاد علاج للوهج. وأخبرونا أنهم وجدوا أصحاب مناعة، وأنهم إذا تمكنوا من اكتشاف سبب عدم تأثر أدمغتهم بالفيروس، فسوف يصبح بالإمكان إنقاذ العالم بأسره، وبينما تتداعى المدن، ينهار التعليم والأمن والوعون الإنساني، وعلاج جميع الأسقام الأخرى التي يعرفها الإنسان؛ يذهب العالم بأكمله إلى الجحيم حتى تتمكن وكِد من فعل ما يحلو لها!

قال توماس:

- أعرف.. أعرف كل هذا تمام المعرفة.

لم يستطع فينس الكف عن الكلام، وتدفقت منه أفكار كان من الواضح أنها تحتدم بداخله منذ سنوات:

- لكان بإمكاننا إيقاف انتشار المرض على نحو أفضل بكثير من قدرتنا على علاج المرض، لكن وكِد ابتلعت جميع الأموال وأفضل الناس، وليس هذا فحسب، بل ومنحونا أملاً زائفاً، فلم يعد أحد يحرص على الوقاية كما ينبغي، ويظن الناس أن العلاج سوف ينقذهم في نهاية المطاف. بيد أننا إذا انتظرنا مدة أطول، فلن نجد بشرًا لننقذهم!

بدا فينس منهكاً عندئذٍ، وران الصمت على الغرفة في أثناء جلوسه محددًا إلى توماس في انتظار رد، ولم يستطع توماس مجادلة الرجل فيما قاله للتو. عاود فينس الكلام أخيرًا:

- جماعتنا الذين سوف يبيعون أصحاب المناعة، يمكنهم بلا شك زرع الجهاز حالما يصبحون بالداخل، لكن سيكون الوضع أسهل بكثير إذا وجدناه مزروعًا سابقًا عندما نصل. اصطحاب ذوي المناعة سيكفل لنا دخول المجال الجوي، والإذن بالهبوط، لكن...

رفع حاجبيه لتوماس كأنه يريد أن يذكر ما هو بديهياً بنفسه. أوماً توماس:

- عندئذٍ يحين دوري.

قال فينس مبتسماً:

- أجل، أعتقد عندئذٍ سيحين دورك.

الفصل الثالث والخمسون

اكتنف توماس هدوءً مفاجئاً.

- يمكنكم إنزالي على بُعد بضعة أميال سأقطعها سيراً، سوف أتظاهر بأنني عدت لإكمال التجارب. وبناءً على ما رأيته وسمعته، سوف يرحبون بي بأذرع مفتوحة، ما عليكم سوى إخباري بما عليّ فعله لزرع الجهاز.

انشق وجه فينس بابتسامة أخرى:

- سأطلب من شارلوت إخبارك بنفسها.

- يمكنكم الحصول على معلومات ومساعدة من أصدقائي؛ تيريسا وأريس والآخرين، وبرندا هذه تعرف الكثير أيضاً.

كان قرار توماس سريعاً وقاطعاً، لكنه قد قبل بأداء المهمة الخطرة، هذه هي أفضل فرصة أتاحت له.

قال فينس:

- حسناً، ما الخطوة التالية يا جالي؟ ماذا نحن فاعلون؟

نهض عدو توماس القديم، ونظر إليه:

- سوف أطلب من شارلوت تدريبك على التعامل مع الجهاز، ومن ثم سنصطحبك إلى حظيرة البيرج، ونطلق بك إلى مكان قريب من مقر وكّد الرئيسيّ وننزلك، بينما يستعد بقيتنا مع فريق الهجوم الرئيسيّ.

من الأفضل لك أن تبرع في التمثيل هناك، وينبغي أن ننتظر بضع ساعات قبل أن نأتي بأصحاب المناعة، وإلا فسنبدو مثيرين للريبة.

- سوف أكون بخير.

بذل توماس جهداً ليأخذ نفساً عميقاً ليهدئ نفسه:

- عظيم. سنأتي بتيريسا والآخرين إلى هنا عندما تغادر، وأمل أنك لا تمنع الخروج في نزهة أخرى عبر شوارع المدينة.

كانت شارلوت امرأة هادئة صغيرة القوام وعملية للغاية، شرحت لتوماس وظائف جهاز التعطيل بأسلوب مقتضب وفَعَال، وكان الجهاز صغيرًا بما يكفي ليُحْمَل في حقيبة الظهر التي وفروها له، إلى جانب بعض الطعام، وملابس إضافية لتقيه البرد في أثناء سيره. حالما يُزرع الجهاز ويُفَعَل، سيبحث عن الإشارات الصادرة عن كل سلاح، ويتصل بها، ثم يشوِّش نظام تشغيلها، وسيستغرق نحو ساعة ليعطل جميع أسلحة وِكِد.

قال توماس إن الأمر بسيط بما فيه الكفاية، وسوف يكون الجزء الصعب هو زرع الجهاز دون إثارة الشكوك بعدما يدخل. قرر جالي أن لورنس هو الذي سوف يرافق توماس والطيار إلى الحظيرة المهجورة، حيث توجد سفن البيرج، وسوف يُقْلَعون مباشرةً إلى مقر وِكِد الرئيسي، وهذا يعني رحلة أخرى بالشاحنة المقفلة عبر شوارع دِنفر التي تعج بالنزقين، لكنهم سيسلكون طريقًا مباشرةً تمر بإحدى الطرق الرئيسية السريعة، وقد بزغ الفجر، ولسبب ما جعل بزوغ الفجر توماس يطمئن قليلًا.

ظهرت برندا، بينما كان توماس مشغولًا بجمع الإمدادات اللازمة للرحلة، فأومأ لها، وابتسم لها ابتسامة صغيرة:

- هل ستفتقدينني؟

سألها توماس، وقد جعل سؤاله يبدو كمزحة، لكنه في قرارة نفسه أرادها أن تقول: «نعم».

قلبت عينيها قائلة:

- لا تقل هذا! تبدو كأنك استسلمت. سوف نعود معًا، ونضحك متذكرين الأيام الخوالي قريبًا.

- لم أعرفك سوى منذ بضعة أسابيع!

أحاطته بذراعيها، وتحدثت في أذنه:

- لا يهم. أعرف أنني أرسلت إلى الأرض المحترقة للعثور عليك، والتظاهر بأنني صديقتك، لكن أريدك أن تعرف أنك صديقي فعلاً، وأنت... دفعها عنه ليتمكن من رؤية وجهها، فكان متعذر القراءة، وقال:
- ماذا؟

- لا... لا تُعرِّض نفسك للقتل فحسب.
ازدرد توماس ريقه، ولم يدر ما عليه قوله.
قالت:

- ماذا..؟

- كوني حذرة أنت أيضاً.

هذا كل ما استطاع قوله.

اقتربت برندا، وقبَّلته على خده قائلة:

- هذا ألطف كلام سمعتك تقوله.

وقلبت عينيها مجدداً، لكنها ابتسمت. وقد جعلت ابتسامتها كل شيء يبدو مشرقاً بالنسبة إلى توماس. وقال:

- احرصي على ألا يفسدوا الأمور، وتأكدي سلامة جميع الخطط.

- سأفعل.. سنراك في غضون يوم أو نحوه.

- حسناً.

- ولن أتعرض للقتل إذا لم تلقِ حتفك أنت أيضاً.. أعدك.

جذبها توماس معانقاً إياها عناقاً أخيراً:

- اتفقنا.

الفصل الرابع والخمسون

منحتهم الذراع اليمنى شاحنة مقفلة أفضل من سابقتها، وتولى لورنس القيادة، وقعدت الطائرة على مقعد الراكب جواره، كانت صامته متوقعة على نفسها، ولا تبدو ودودة، ولم يكن لورنس في أفضل مزاج أيضًا، على الأرجح، لأنه انتقل من توزيع الأطعمة في مبنى مغلق إلى سائق خاص في مدينة يجتاحها النزقون مرتين.

أشرقت الشمس، وانعكست أشعتها على مباني مدينة تبدو مختلفة تمام الاختلاف عما كانت عليه الليلة الماضية، ولسبب ما جعل الضوء العالم يبدو أكثر أمانًا قليلًا.

أُعيد إلى توماس مسدسه محشوًا، وقد أقحمه في خصر بنطاله الجينز. وكان يعرف أن اثنتي عشرة رصاصة لن تفعل الكثير إذا تعرضوا لكمين آخر، لكنها أراحت باله كثيرًا. قال لورنس كاسرًا حاجز الصمت أخيرًا:

- حسنًا، تذكروا الخطة.

سأل توماس:

- وما الخطة؟

- أن نبلغ الحظيرة، ونحن على قيد الحياة.

بدت خطة جيدة لتوماس.

انتكسوا إلى صمتهم السابق، ولم يعودوا يسمعون صوتًا سوى صوت المحرك، ومطبات الطريق، ومثل هذه اللحظة أرغمت توماس على التفكير بكل الأشياء الفظيعة التي يمكن أن تأخذ منحى سيئًا خلال اليوم أو اليومين التاليين، فحاول جاهدًا أن يوقف دوران عقله، ويركز على المدينة المتداعية التي تمر بجانبه. لم يرَ حتى اللحظة سوى أناس قلائل هنا وهناك، معظمهم

بعيدون، وتساءل عما إذا كانت الغالبية قد سهرت حتى وقت متأخر من الليل، خائفين مما قد يقفز إليهم من الظلام، أم إذا كانوا هم أنفسهم الذين يقفزون! كانت الشمس تومض على نوافذ ناطحات السحاب العالية، وبدأت المباني الضخمة الشاهقة كأنها تمتد إلى ما لا نهاية، سارت الشاحنة عبر قلب المدينة في شارع عريض تتناثر فيه السيارات المهجورة، ورأى توماس بضعة نزقين مختبئين في سيارات، يختلسون النظر عبر النوافذ، كأنهم ينتظرون وقوع فريسة في فخ نصبوه.

انعطف لورنس بعد ميل أو ميلين، ثم سار في طريق سريعة مستقيمة وطويلة تؤدي إلى إحدى بوابات المدينة المسورة، تحفه من جانبه حواجز شُيدت على الأرجح في عهد سابق أفضل، من أجل تخفيف ضجيج السيارات التي لا تحصى حتى لا تزعج سكان المدينة الكائنة منازلهم قريبًا من الطريق. وبدأ من المستحيل أن عالمًا كهذا قد كان موجودًا من قبل؛ عالمًا لا يخشى فيه المرء على حياته كل يوم.

قال لورنس:

- سوف توصلنا هذه الطريق إلى مقصدنا. الحظيرة هي أشد منشآتنا حراسة على الأرجح، لذا ما علينا سوى بلوغها، وبعد ساعة من الآن سنكون مطلقين في الهواء، سعداء وآمنين.
- جميل.

قال توماس رغم أن الأمر بدأ أسهل بكثير في الليلة السابقة. وظلت الطائرة صامتة. ساروا نحو ثلاثة أميال، ثم خفف لورنس سرعة المركبة مغمغمًا:
- ما هذا؟

أعاد توماس انتباهه إلى الطريق ليرى ما يقصده الرجل، فرأى عدة سيارات تسير في دوائر.

قال لورنس كأنه يحدث نفسه:

- أظنني سأحاول المرور بجانبهم.

لم يرد توماس، مدرّكًا أن كل من في المركبة يفهمون جيدًا أن ما يجري -أيًا كان- لا يمكن أن يعني سوى المتاعب.

زاد لورنس سرعته مجددًا قائلاً:

- سوف نستغرق وقتًا طويلًا إذا عدنا أدراجنا، وجربنا طريقًا أخرى.
سأحاول المرور عبرهم.

زعقت الطائرة خارجةً عن صمتها:

- لا تُقدِّم على تصرف غبيٍّ، فقطعًا لن نبلغ وجهتنا إذا اضطررنا إلى
المشي!

ومع اقترابهم مال توماس إلى الأمام في مقعده، وجاهد ليرى ما يجري؛
حشدٌ من نحو عشرين شخصًا يتشاجرون على كومة كبيرة لم يكن بمستطاع
توماس تبيئتها، يلقون بالحطام، ويجذبون ويدفعون، ويتبادلون اللكمات،
وخلفهم بنحو مئة قدم تدور السيارات، وتغزل وترتطم ببعضها بعضًا،
وكانت معجزة أن أي أحد في الطريق لم يُصدم بعد.

سأل توماس:

- ما الذي نخطط له؟

لم يبطئ لورنس سرعته، ولو قليلًا، وكادوا يصلون إلى الحشد.

صاحت الطائرة:

- عليك أن تتوقف!

تجاهل لورنس أمرها:

- لا، سأمر.

- ستتسبب بمقتلنا!

- سنكون بخير، اصمتي للحظة!

اقتربوا من مجموعة الناس الذين ما زالوا يتعاركون على ما في الكومة
الكبيرة. انزلق توماس إلى جانب الشاحنة محاولًا إلقاء نظرة أفضل. كان
النزقون ينهشون أكياسًا كبيرة من القمامة، ويُخرجون لفافات قديمة من
الطعام واللحم نصف المتعفن، وفتات الفضلات، لكن لم يكن بمقدور أي أحد
أن يمسك شيئًا قبل أن يحاول آخر اختطافه. تطايرت اللكمات، واستحالت

الأصابع مخالِبَ، وكان ثمة رجل مصاب بجرح غائر تحت عينه، وتتقاطر على وجهه لخرة دم كأنها دموع حمراء.

انحرفت الشاحنة، وهي تصدر صريرًا، فأعاد توماس انتباهه للأمام. كان سائقو السيارات (وهي موديلات قديمة ذات أسطح منبعجة، ذهب طلاؤها) قد توقفوا، واصطف ثلاثة منهم في مواجهة الشاحنة المندفعة نحوهم، لم يبطن لورنس سرعته، إنما مال صوب الفجوة الأكبر بين السيارة التي على اليمين، وبين التي في المنتصف، وعندئذ تحركت السيارة التي على اليسار بسرعة خاطفة للأمام، ودارت دورة حادة لتعرض الشاحنة قبل مرورها عبر الفجوة. صرخ لورنس:

- تشبثوا!

ثم زاد من سرعته الزائدة أصلًا. أمسك توماس بالمقعد الذي تحته، وهم ينطلقون نحو الفجوة. لم تتحرك السيارتان اللتان على جانبي الفجوة، لكن السيارة الثالثة كانت على وشك اعتراضهم، وأدرك توماس أن فرصتهم ضاعت، وهم بالصياح بهذا الإدراك، لكن فات الأوان.

كانت مقدمة الشاحنة قد اجتازت بالكاد بداية الفجوة عندما اصطدمت السيارة الثالثة بمؤخرة جانبها الأيسر، فطار توماس إلى يساره، وارتطم بالحاجز الذي يفصل النافذتين الجانبيتين، اللتين تهشمتا بصوت مريع، فتناثر الزجاج في كل الاتجاهات، ودارت الشاحنة حول نفسها، فتخطب توماس في كل الزوايا، وهو يحاول التشبث بأي شيء، وامتلاً الهواء بصرير الإطارات واحتكاك المعادن. سكنت الجلبة عندما ارتطمت الشاحنة أخيرًا بالجدار الأسمنتيّ.

وجد توماس -المكدود الذي تغطيه الكدمات- نفسه جاثيًا على ركبتيه على أرضية الشاحنة، ورفع نفسه، فرأى السيارات الثلاثة تنطلق مبتعدة، وأصوات محركاتها تتلاشى، وهي تختفي في الطريق الطويلة المستقيمة، في الاتجاه الذي جاء منه توماس ورفيقاه. ثم ألقى توماس نظرة سريعة على لورنس والطيارة، ووجد كليهما بخير. ثم حدث أغرب شيء؛ نظر توماس خارج النافذة، فرأى نزقًا في حالة يرثى لها يحدق إليه عن بُعد عشرين قدمًا، واستغرق ثانية ليدرك أن النزق صديقه... نيوت.

الفصل الخامس والخمسون

بدا نيوت مريعًا؛ شعره منزوع من أماكن لم تُعد سوى بقع صلعاء محتقنة بالدماء، ووجهه تغطيه الخدوش والكدمات، وقميصه ممزق، ومعلّق بالكاد على جسده الهزيل، وبنطاله قذر مكسو بالسخام والدماء، كأنه رضخ أخيرًا لهوية النزقين، وانضم إلى زمرةهم انضمامًا كاملًا، لكنه ظل يحدق إلى توماس، كأنه عرف أنه صادم صديقًا.

كان لورنس يتكلم، لكن توماس لم يستوعب ما يقوله إلا الآن:

- إننا بخير، تضررت الشاحنة ضررًا بالغًا، لكن نأمل أن تقطع بنا الميادين المتبقيين إلى الحظيرة.

حرك لورنس ناقل السرعة إلى وضعية التراجع، فابتعدت الشاحنة مترنحة عن الجدار الأسمنتيّ، وصوت البلاستيك والمعدن المتكسر وصرير الإطارات بدد الصمت الذي كان مخيمًا. ثم بدأ يقود مبتعدًا، فانتبه توماس أخيرًا كأن زرًا ضُغِط في دماغه، فصاح:

- توقف! أوقف الشاحنة! الآن!

أجاب لورنس:

- ماذا؟ ما الذي تقوله؟!

- أوقف الشاحنة اللعينة!

ضغط لورنس المكابح بقوة، وتوماس يقف على قدميه وجلاً، ويتجه نحو الباب، وهمّ بفتحه، فأمسك لورنس قميصه من الخلف، وجذبه للوراء. صاح الرجل به:

- ما الذي تفعله بحق الجحيم؟!

لكن توماس ما كان ليدع أي شيء يوقفه، فسحب المسدس من بنطاله،
وصوبه نحو لورنس قائلاً:

- أفلتنتي.. أفلتنتي!

أفلته لورنس، وطوّح بيديه في الهواء:

- مهلاً يا فتى، اهدأ، ما خطبك؟

ابتعد توماس عنه قائلاً:

- رأيت صديقي هناك، أريد الاطمئنان عليه، وإذا بدأت أي متاعب،

فسأركض عائداً إلى الشاحنة، كُن مستعداً للانطلاق فور عودتي.

سألته الطيارة ببرود:

- أظن أن ذلك الشيء بالخارج لا يزال صديقك؟! هؤلاء النزقون تجاوزوا

الطور بمراحل، أليس هذا واضحاً لك؟ لم يعد صديقك سوى حيوان

الآن.. أسوأ من حيوان!

أجابها توماس:

- سيكون وداعاً قصيراً إذن، أليس كذلك؟

ثم فتح الباب، ووقف في الشارع:

- عليكما تغطيتي إن استدعى الأمر ذلك، عليّ أن أفعل هذا.

زمجر لورنس:

- سوف أوسعك ضرباً قبل أن نصعد على متن السفينة، أعدك بهذا! أسرع،

إذا توجه إلينا أولئك النزقون الذين بجوار القمامة، فسنبدأ إطلاق النار،

ولن أكثرث إذا كانت أمك أو عمك فرانك بينهم!

- حسناً.

استدار توماس مبتعداً عنهما، وأقحم المسدس في بنطاله، وسار ببطء

نحو صديقه الذي كان يقف وحيداً بعيداً عن زمرة النزقون الذين ما زالوا

منشغلين بكومة قمامتهم، قانعين بها في اللحظة الراهنة، ولم يبدوا مهتمين

بتوماس. طوى توماس نصف المسافة إلى نيوت، ثم توقف. كانت وحشية

العينين هي أسوأ ما يتعلق بصديقه، فالجنون يعتمل فيهما، كبركتين آسنتين من المرض. كيف تدهورت حالته بهذه السرعة؟!

- مرحبًا.. نيوت. هذا أنا.. توماس، ما زلت تتذكرني، صحيح؟

وعندئذٍ اعترى عيني نيوت صفاءً مفاجئاً كاد يجعل توماس يتراجع من الدهشة:

- أتذكرك بالطبع يا تومي! جئت للتو إلى القصر لتراني، مُمعناً في تجاهلك لرسالتي، لا يمكن أن أجن جنوناً تاماً في غضون بضعة أيام!

هذه الكلمات ألمت قلب توماس أكثر من مظهر صديقه المثير للشفقة:

- لماذا أنت هنا إذن؟ لماذا لست... معهم؟

نظر نيوت إلى النزقين، ثم التفت إلى توماس قائلاً:

- تداهمني نوبات يا صاح، أحياناً لا أملك السيطرة على نفسي، وبالكاذ أعرف ما أفعله، لكن الأمر في معظم الأحيان أشبه بحكة في دماغي، وأتفه شيء غير معتاد كفيل بإزعاجي، وجعلي أستشيط غضباً!

- تبدو بخير الآن.

- أجل، ربما.. السبب الوحيد لانضمامي إلى هؤلاء المعاتيه بالقصر هو أنني لا أعرف ماذا عساي أن أفعل غير هذا؟! إنهم يتقاتلون، لكنهم مجموعة أيضاً، وإذا وجدت نفسك وحيداً، فسينتهي أمرك.

- نيوت، تعال معي هذه المرة، الآن، يمكننا اصطحابك إلى مكان أكثر أماناً، مكان أفضل لـ...

ضحك نيوت، وارتعش رأسه على نحو غريب بضع مرات في أثناء ضحكه،

وقال:

- اذهب من هنا يا تومي، ابتعد.

توسل توماس إليه:

- أرجوك تعال معي، سوف أقيدك إن كان هذا سيطمئنتك.

تحجّر وجه نيوت فجأةً بلامح الغضب، وخرجت سهام كلماته ممزوجة

بالغيظ:

- اخرس أيها الخائن الأخرق! ألم تقرأ رسالتي؟ ألم تستطع أن تسديني هذا المعروف الأخير؟ هل عليك أن تكون بطلاً دومًا؟ أكرهك! ولطالما كرهتك!

قال توماس مع نفسه بحزم: «إنه لا يعني ما يقوله، لكنها مجرد كلمات!»:
- نيوت...

- الأمر برمته كان خطأك! كان بوسعك إيقافهم عندما مات المؤسسون الأوائل، كان بإمكانك اكتشاف طريقة، لكن لا! واصلت التجارب، محاولاً إنقاذ العالم.. محاولاً أن تكون البطل، فجئت إلى المتاهة، ولم تتوقف قط. إنك لا تكثرث سوى بنفسك! اعترف! تريد أن تكون الذي يتذكره الناس، ويعبدونه! كان يجدر بنا أن نلقيك في صندوق المتاهة!
احمر وجه نيوت حمرة قانية، وتطاير اللعاب من فمه في أثناء زعيقه، وبدأ يخطو خطوات متناقلة للأمام، ويدها متكورتان في شكل قبضتين. صاح لورنس من الشاحنة:

- سأصعقه! تنحَّ جانباً!

التفت توماس:

- لا! الأمر بيني وبينه! لا تفعل شيئاً!

وواجه نيوت مجدداً:

- نيوت، توقف، استمع إليّ، أعرف أنك بخير في دواخلك، بحيث تستطيع الاستماع إليّ!

- أمقتك يا تومي!

كان يبعد عنه بضع أقدام، وتراجع توماس خطوة للوراء، وقد تحول ألمه من كلمات نيوت إلى خوف:

- أكرهك.. أكرهك.. أكرهك! بعد كل ما فعلته من أجلك، وبعد كل الوحل الذي مررت به في المتاهة، لم تلبّ الشيء الأوحده الذي طلبته منك! لا أستطيع أن أنظر إلى وجهك الأخرق القبيح!

تراجع توماس خطوتين إضافيتين قائلاً:

- نيوت، عليك أن تتوقف، سيطلقون عليك النار، توقف واستمع إليّ! ادخل الشاحنة، ودعني أقيّدك، أعطني فرصة!
لم يستطع قتل صديقه... لم يستطع.

صرخ نيوت، واندفع للأمام، فانطلقت قنبلة قاذفة من الشاحنة، وانزلقت وهي تصدر قعقة على الرصيف، لكنها أخطأته، وتسمّر توماس في مكانه، فأسقطه نيوت على الأرض قاطعاً أنفاسه، فجاهد ليملاً رثتيه بالهواء، وصديقه القديم يعتليه، ويثبته بالأرض. قال نيوت، ورذاذ لعبه يتناثر على توماس:

- ينبغي أن أقتلع عينيك، وألقنك درساً في الغباء، لماذا جئت إلى هنا؟ هل كنت تتوقع مني عناقاً لعيناً؟ ها؟ توقعتَ جلسة لطيفة للحديث عن أيام الجلايد الخوالي؟

هز توماس رأسه، وقد أمسك الرعب بتلابيبه، ومد يده ببطء شديد نحو مسدسه بيده الطليقة:

- أتريد أن تعرف لماذا أخرج يا تومي؟ هل سبق أن أخبرتك؟ لا، لا أظنني أخبرتك.

- ماذا حدث؟

سأله توماس محاولاً كسب الوقت، والتفت أصابعه حول المسدس.

- حاولت أن أقتل نفسي في المتاهة، تسلقت أحد تلك الجدران اللعينة وقفزت، لكن ألبي وجدني، وسحبني عائداً بي إلى المتاهة قبيل أن تُغلق الجدران بلحظات. كرهت ذلك المكان يا تومي، كرهت كل ثانية من كل يوم. والمسؤول... عن كل هذا.. هو أنت!

مال نيوت فجأةً، وقبض على يد توماس التي تمسك المسدس، وجذبها نحو نفسه، رافعاً إياها حتى التصقت فوهة المسدس بجبينه:

- والآن كُفّر عما اقترفته! اقتلني قبل أن أغدو واحداً من أولئك الوحوش آكلة لحوم البشر! اقتلني! عهدتُ بالرسالة إليك أنت! لا أحد آخر. اقتلني الآن!

حاول توماس أن يجذب يده بعيداً، لكن نيوت كان قوياً جداً:

- لا أستطيع يا نيوت، لا أستطيع.

- تُبّ وكفّر عما اقترفته!

كادت الكلمات تشق حلقه، وجسده يرتعش بأكمله، ثم خفت صوته متحوّلاً إلى همسٍ صارمٍ لحوح:

- اقتلني، أيها الأخرق الجبان! أثبت أن بمقدورك اتخاذ القرار الصائب..
أرحني من عذابي.

أرعبت الكلمات توماس:

- نيوت، ربما يمكننا أن...

- اخرس! اخرس تمامًا! لقد جعلتك موضع ثقتي! افعلها الآن!

- لا أقدر.

- افعلها!

- لا أستطيع!

كيف لنيوت أن يطلب منه فعل شيء كهذا؟ كيف عساه أن يقتل أحد أعز
أصدقائه؟!

- اقتلني، وإلا سأقتلك. اقتلني! افعلها!

- نيوت...

- افعلها قبل أن أصير واحدًا منهم!

- أنا...

- اقتلني!

وعندئذٍ صفت عينا نيوت، كما لو أنه استعداد آخر ما لديه من رشد، ولان
صوته:

- أرجوك يا تومي، أرجوك.

ضغط توماس الزناد، وقلبه يهوي إلى غياهب مدلهمة.

الفصل السادس والخمسون

كان توماس قد أغمض عينيه عندما ضغط الزناد، وسمع صوت اختراق الرصاصة للحم والعظام، وأحس بجسد نيوت يرتد، ثم يسقط على الشارع، تلوَّى توماس منقلبًا على بطنه، ثم دفع نفسه ليقف على قدميه، ولم يفتح عينيه حتى بدأ يركض. ما كان يسمح لنفسه برؤية ما فعله بصديقه، إذ كان يريزح تحت وطأة فعلته بكل ما فيها من رعب وفجاعة، وتأنيب ضمير، واغرورقت عيناه بالدموع، وهو يركض نحو الشاحنة البيضاء.

زقق به لورنس:

- اركب!

كان الباب لا يزال مفتوحًا، فقفز توماس عبره وأغلقه، ثم تحركت الشاحنة. لم ينبس أحدهم ببنت شفة، وراح توماس يحرق ذاهلاً خارج النافذة الأمامية. لقد أطلق النار على أعز أصدقائه في رأسه. لا يهم إن كان هذا ما طلبه هو منه، وما أراد نيوت، وترجّاه أن يفعله. ضغط الزناد رغم كل شيء، ونظر إلى الأسفل، فرأى يديه وساقيه ترتعشان، وأحس ببرودة قارسة مفاجئة. رأى توماس كل ما حوله ضبابيًا لبقية الرحلة، مروا بمزيد من النزقين، حتى إنهم اضطروا إلى إطلاق عدة قنابل من القاذفة مرتين عبر النافذة، ثم اجتازوا جدار المدينة الخارجي، واجتازوا السور المحيط بالمطار الصغير، واجتازوا باب الحظيرة الضخم الذي كانت عليه حراسة مشددة بمزيد من أعضاء الذراع اليمنى.

لم يقولوا الكثير، كان توماس ينفذ ما يقال له فحسب، ويذهب إلى حيث يتعين عليه الذهاب. صعدوا على متن البيرج، وتبعهم في الإجراءات، وأجروا تفتيشًا، لكنه لم يتفوه بكلمة. ذهب الطائرة لتشغيل السفينة الضخمة، واختفى لورنس في مكانٍ ما، ووجد توماس أريكة في الصالة العامة،

فاضطجع عليها، وراح يحدق إلى شبكة السقف المعدنية. لم يفكر لحظة -منذ أن قتل نيوت- بما هو مقبل على فعله. وبعدهما تحرر من وِكدٍ أخيرًا ها هو ذا يعود إليهم طوعًا. لم يُعد يكثرث، فأياً كان ما حدث، قد حدث وقُضي الأمر، وكان يعرف أن ما قد رآه سوف يؤرِّقه لبقية حياته؛ تشاك يلهث محاولاً التنفس، وهو ينزف حتى الموت، والآن نيوت، وهو يصرخ به بجنون محض مرعب، ولحظة رشده الأخيرة، وعيناه تتوسلان الرحمة.

أغمض توماس عينيه، وظلت الصور ماثلة أمامه، فاستغرق وقتًا طويلاً لينام. أيقظه لورنس قائلاً:

- استيقظ يا فتى، سنصل في غضون بضع دقائق، سوف نلتقيك، ثم نغادر على الفور. لم أقصد الإهانة.

تأوه توماس، وأنزل ساقيه من الأريكة:

- لم أشعر بالإهانة! ما المسافة التي عليّ قطعها سيرًا حتى أصل هناك؟

- بضعة أميال. لا تقلق، لا أظنك ستضطر إلى التعامل مع كثير من

النزقين، أصبح المكان باردًا في البرية، لكن ربما ترى بضعة أيائل

غاضبة، وربما تحاول الذئب أن تنهش ساقيك.. ليس هناك الكثير مما

يثير القلق!

نظر توماس إلى الرجل، متوقعًا ابتسامة كبيرة على وجهه، لكنه كان

مشغولًا في الزاوية بترتيب بعض الأشياء. وقال لورنس، وهو يحرك أداة

صغيرة على رف:

- معطفك وحقيبة ظهرك بانتظارك عند باب الشحنات. لديك الماء

والطعام، ونود أن نحرص على ذهابك في نزهة لطيفة ممتعة، مستمتعًا

بمباهج الطبيعة، وما إلى ذلك.

ما من ابتسامة أيضًا.

غمغم توماس:

- شكرًا.

وكان يحاول جاهدًا ألا ينزلق عائداً إلى لُجَّة الحزن المظلمة التي نام غارقًا

فيها، ولم يزل عاجزًا عن إخراج تشاك ونيوت من ذهنه.

توقف لورنس عما يفعله، والتفت إليه:

- سوف أسألك عن الأمر مرة واحدة.

- ماذا؟

- هل أنت واثق بشأن هذا؟ كل ما أعرفه عن هؤلاء الناس ينضح فسادًا،

فهم يخطفون، ويعدّبون، ويقتلون؛ لا يتورعون عن أي شيء في سبيل

ما يريدونه، فمن الجنون السماح لك بأن تتهادى إلى هناك وحدك!

لسببٍ ما لم يعد توماس خائفًا:

- سوف أكون بخير، احرصوا على العودة.

هز لورنس رأسه:

- إما أنك أشجع فتى قابلته، وإما مجنون ببساطة! على أي حال، اذهب

استحم، وغير ملابسك، ستجد بعض الملابس في الخزانات.

لم يعرف توماس كيف كان يبدو في تلك اللحظة، لكنه تخيل نفسه أقرب

إلى «زومبي» شاحب مجرد من الحياة، ذي عينيْن هامدتين. قال:

- حسنًا.

ثم ذهب ليحاول أن يغسل عن نفسه شيئًا من الرعب.

اهتزت البيرج في أثناء انخفاضها نحو الأرض، فأمسك توماس بقضيب

في الجدار، وبدأ الباب المنحدر يهبط، ومفاصله تصدر صريرًا، بينما هم لا

يزالون على ارتفاع مئة قدم، فهبت ريح باردة إلى الداخل، وعلا هدير منظومة

دفع السفينة. رأى توماس أنهم فوق فسحة صغيرة في غابة ضخمة من

أشجار الصنوبر التي تكسوها الثلوج، ولم تتمكن البيرج من الهبوط، وتعيّن

على توماس القفز. واصلت السفينة الانخفاض، واستعد توماس.

قال لورنس، وهو يوميء نحو الأرض عندما اقتربوا منها:

- حظًا موفقًا يا فتى، وددت أن أقول لك كُن حذرًا، لكنك لست غيبًا، لذا

لن أقول.

ابتسم توماس له، أملًا في رده بابتسامه، وأحس أنه يحتاج إلى ابتسامه

منه، لكن لا شيء، فقال:

- حسنًا، سوف أزرع الجهاز حالما أدخل، وأنا متأكد أن كل شيء سيجري دون مشكلات، صحيح؟
أجاب لورنس بنبرة لطيفة:

- سوف تطير السحالي من أنفي إذا لم تواجهنا مشكلات. والآن اذهب، وعندما تهبط اسلك هذا الاتجاه.

وأشار إلى اليسار نحو تخوم الغابة.

ارتدى توماس المعطف، وأدخل ذراعيه في حزامي حقيبة الظهر، ثم سار بحذر على المنحدر المعدني الضخم بباب الشحنت، وقرفص عند حافته، كان يبعد نحو أربع أقدام من الأرض المغطاة بالثلوج، لكن تعيّن عليه توخي الحذر، وقفز وهبط على بقعة هشة من الثلوج، ودواخله خيرة طوال الوقت.
لقد قتل نيوت... أطلق النار على رأس صديقه.

الفصل السابع والخمسون

كانت الفسحة تتناثر فيها جذوع أشجار سقطت منذ أمد بعيد، وأحاطت بتوماس غابة أشجار الصنوبر الكثيفة التي تشمخ إلى السماء، كأنها أبراج مهيبه. دارى عينيه من الرياح الهوجاء المنبعثة من أنظمة دفع البيرج، وهي ترتفع، وشاهدها، وهي تتلاشى في السماء الجنوبية الغربية. كان الهواء قارسًا، وأحس توماس بالغابة منتعشة، كأنه يقف في عالم جديد كليًا؛ مكان لم يلم به المرض، وكان متأكدًا من أن قليلين قد تسنّت لهم رؤية شيء كهذا اليوم، وأحس بأنه محظوظ.

شد حقيبة ظهره، وشرع في السير بالاتجاه الذي أشار إليه لورنس، عاقدا العزم على الوصول إلى مقصده في أقرب وقت ممكن، مفضلًا اختصار الوقت الذي سيفكر فيه بما فعله بنيوت، لمعرفته بأن وجوده وحده في البرية سيتيح له الوقت والعزلة للتفكير. خطا آخر خطوات في الفسحة، وولج في عتمة أشجار الصنوبر الكثيفة، منغمسًا في أريجها الطاغي، باذلاً قصارى جهده ليوقف دوران عقله إيقافًا تامًا.

أبلى بلاء حسنًا بالتركيز على مساره، ومناظر وأصوات الطيور، والسناجب والحشرات، والروائح الرائعة، ولم تكن حواسه معتادة على أشياء كهذه بما أنه أمضى معظم حياته التي يتذكرها بين الجدران، بالإضافة إلى المتاهة والأرض المحترقة. وفي أثناء مشيه في الغابة استصعب تصديق أن مكانًا بذلك الاختلاف -أي الأرض المحترقة- يمكن أن يوجد على الكوكب نفسه. هام عقله، وتساءل عما سوف تكون عليه الحياة بالنسبة إلى كل هذه الحيوانات إذا رحل البشر للأبد.

كان قد سار لأكثر من ساعة عندما بلغ أخيرًا نهاية الغابة، وبداية مساحة واسعة من أرض صخرية قاحلة، تتخللها جزر من تربة بُنيّة داكنة مجردة

من الغطاء النباتي، حيث تنجرف الثلوج بالرياح، تتناثر فيها صخور متباينة الأحجام، وتنحدر المساحة إلى جرف يطل على هاوية سحيقة، يمتد خلفها المحيط، الذي تنتهي زُرقتة الداكنة عند خط الأفق، حيث يتغير اللون إلى لون السماء الأزرق الفاتح، وعند حافة الجرف -أمامه بنحو ميل- ينتصب مقر وكبد الرئيسي.

كان مجمع المباني ضخماً، مكوّناً من مبانٍ متصلة غير مزخرفة، جدرانها تتخللها شقوق رفيعة في الأسمنت الأبيض، وبها نوافذ قليلة، ويرتفع مبنى دائريّ أعلى من المباني الأخرى كأنه برج. وقد تأثرت واجهات المباني بطقس المنطقة القاسي مع الرطوبة القادمة من البحر، بالشقوق التي تكسو الأجزاء الخارجية من المجمع، لكن بدا أن هياكل البناء سوف تظل في أماكنها للأبد، صامدة في وجه أفعال الطقس والبشر. وأعاد المبنى إلى ذهن توماس ذكرى باهتة عن شيء قرأه في كتب القصص؛ مكان كأنه مصحة نفسية تسكنها الأشباح، فكان المكان المثاليّ لاحتضان منظمة تحاول إنقاذ العالم من أن يصير مستشفى مجانيين. وكان هناك طريق ضيقة طويلة تمتد من المجمع، وتختفي في الغابة.

سار توماس عبر الأرض الصخرية، وقد خيم على المكان هدوء يكاد يكون مزعجاً، فلم يَكُن يسمع -إلى جانب وقع قدميه وتنفسه- سوى صوت الأمواج البعيدة، وهي تتكسر أسفل الجرف، وحتى هذا كان خافتاً. وكان متأكداً من أن موظفي وكبد قد رصدوا وجوده بحلول ذلك الوقت، فنظامهم الأمنيّ مُحكم بلا شك.

توقف إثر سماعه صوتاً، أشبه بنقرات معدن على صخرة، والتفت إلى يمينه، فرأى خنفساء معدنية -كأنها استجابت لأفكاره عن نظامهم الأمنيّ- تقف على صخرة كبيرة، وعينها الحمراء تومض تجاهه. تذكر إحساسه عندما رأى خنفساء معدنية أول مرة بداخل الجلايد قبل أن تسرع مختفية في الغابة الصغيرة هناك، وبدأت الذكرى كأنها من زمن غابر.

لوّح للخنفساء المعدنية، ثم تابع السير. خلال عشر دقائق سيطرق باب وكبد، طالباً الدخول لأول مرة، بدلاً من السعي للخروج. شق طريقه عبر الجزء الأخير من المنحدر، وتوقف عند رصيف متجمد يحيط بالمجمع، وبدأ كأنما

بُذلت جهود ذات يوم لجعل المكان أجمل من الأرض الجذباء المحيطة به، لكن الأجمات والزهور والأشجار استسلمت لوطأة الشتاء منذ أمد بعيد، ولم تُكن تغطي بقع التربة الرمادية التي تتخلل الثلوج سوى أعشاب غير مرغوب فيها. سار توماس على الممشى المرصوف، متسائلاً عن سبب عدم خروج أي أحد للترحيب به حتى الآن. ربما كان الرجل الجرد بالداخل، يشاهده، مخمناً أن توماس قرر أخيراً الانضمام إلى جانبهم.

استرعت انتباهه خنفساوان معدنيتان، كلتاهما تحومان وسط الأعشاب المغطاة بالثلوج في المكان المخصص للزهور، تمسحان المكان يمناً ويسرة بعينيها الحمراوين، وهما تسيران بجانبه، ثم رفع توماس بصره إلى أقرب نافذة، لكنه لم ير سوى الظلام، إذ كانت مظلة تظليلاً كثيفاً. ثم سمع دمدمة قادمة من خلفه، فالتفت ورأى عاصفة مقبلة نحوه، سُحبها داكنة وثقيلة، لكنها لا تزال على بُعد بضعة أميال، وفي أثناء مشاهدته شقَّت خيوطُ البرق السماء الرمادية، فأعادته إلى الأرض المحترقة، تلك الأمطار الغزيرة الفظيعة المصحوبة بالعاصفة الرعدية التي داهمتهم، وهم يقتربون من المدينة، وأمل ألا يكون الطقس بذلك السوء، وهو بعيد في الشمال.

استأنف سيره على الرصيف، وتباطأ وهو يقترب من المدخل الأمامي، ووجد نفسه إزاء بابين زجاجيين ضخمين بانتظاره، فطرق جمجمته اندفاع ذكرى مؤلمة؛ الهروب من المتاهة.. الفرار عبر دهاليز وكِد، والخروج من هذا الباب إلى المطر المنهمر. ثم نظر إلى يمينه، إلى باحة وقوف السيارات، حيث تقبع حافلة قديمة جوار صف سيارات، لا بد أنها التي دهست المرأة المسكينة المصابة بالوهج، ثم حملتهم على جناح السرعة إلى تلك المهاجع، حيث جرى التلاعب بأدمغتهم، وفي النهاية أخذهم الناقل المسطح إلى الأرض المحترقة. والآن بعد كل ما مر به، وقف عند عتبة باب وكِد، بكامل إرادته، ومد يده وطرق الزجاج البارد المنتصب أمامه، ولم يُكن يرى شيئاً على الجانب الآخر. وعلى الفور تقريباً، فُتحت عدة أقفال، واحداً تلو الآخر، ثم تأرجح أحد البابين إلى الخارج. جانسن الذي سيظل الرجل الجرد دوماً بالنسبة إلى توماس، مد إليه يده قائلاً:

- أهلاً بعودتك يا توماس، كنت أقول على الدوام إنك سوف تعود، لكن لم يصدقني أحد، إنني سعيد باتخاذك القرار الصحيح.
قال توماس:

- دعنا ننتهي من الأمر فحسب.
كان مستعداً للتعاون؛ لعب دوره، لكنه لم يكن مضطراً إلى التصرف بلطف.

قال جانسن:

- هذه فكرة ممتازة.

ثم تراجع، وانحنى انحناء خفيفة قائلاً:

- من بعد حضرتك.

برعشة باردة في عموده الفقريّ شبيهة بالطقس القارس بالخارج، سار توماس متجاوزاً الرجل الجرد، ودخل مقر وِكد الرئيسيّ.

الفصل الثامن والخمسون

دلف توماس إلى ردهة واسعة، بها بضع أرائك وكراسي قبالة مكتب ضخم خالٍ، كانت مختلفة عن الردهات التي رآها في المقر من قبل، والأثاث مُلوّن ومشرق، لكن ليس له أثر في إحساس الكآبة الذي يبعثه المكان.

قال جانسن:

- أظننا علينا إمضاء بضع دقائق في مكتبي.

وأشار إلى الرواق المتفرع إلى يمين الردهة، ثم سارا نحوه:

- إننا نشعر بأسف بالغ حيال ما حدث في دنفر، من المخزي أن نفقد مدينة بتلك الإمكانيات، وهذا سبب إضافي يدفعنا للانتهاء من مهمتنا بسرعة.

أرغم توماس نفسه على السؤال:

- ما الذي عليكم فعله بالضبط؟

- سوف نناقش كل شيء في مكتبي، فريقنا المسؤول هناك.

أحس توماس بالجهاز الذي في حقيبة ظهره ثقيل الوطأة على أفكاره، وكان عليه بطريقة ما أن يزرعه في أقرب وقت ممكن، ويشغل ساعته. قال:

- حسنًا، لكنني بحاجة ماسّة إلى دخول الحمام أولاً.

كانت أبسط فكرة تمكّن من الإتيان بها، والطريقة الوحيدة المؤكدة لينفرد بنفسه.

أجاب الرجل الجرد:

- هناك حمام أمامنا.

انعطفا عند زاوية، وتابع السير في دهليز معتم يقضي إلى حمام الرجال.

قال جانسن، وهو يوميء نحو الباب:

- سأنتظرك هنا.

دخل توماس دون أن يقول كلمة، وأخرج الجهاز من حقيبة ظهره، ونظر فيما حوله، فرأى فوق الحوض خزانة خشبية مخصصة لمستلزمات النظافة،

سطحها ناتئ قليلاً بما يكفي لوضع الجهاز عليه دون أن يكون باديًا للعيان. ثم سحب السيْفون، وفتح صنوبر الحوض. شغلَّ الجهاز كما لُقن، وأجفل من الصفير الخافت الذي صدر عنه، ثم رفعه ووضعه فوق الخزانة. وبعدهما أغلق الصنوبر، هذًا نفسه، وهو يجفف يديه.

ثم خرج عائدًا إلى الرواق. سأله جانسن بتهديب مزعج:

- انتهيت؟

أجاب توماس:

- انتهيت.

تابعا السير، ومرا جوار بضعة ملصقات معلّقة دون نظام، تحمل صور المستشار بايج، كما في الملصقات التي رآها في ديفر.

سأل توماس شاعرًا بالفضول حيال المرأة:

- هل سأقابل المستشار ذات يوم؟

أجاب جانسن:

- المستشار بايج مشغولة للغاية. عليك أن تتذكر يا توماس، إكمال المخطط الأوّلي، والوصول إلى العلاج النهائي ليس سوى البداية، ما زلنا ننظم المسائل اللوجستية المتعلقة بإيصال العلاج للناس، ومعظم الفريق يعمل جاهدًا على هذه المهمة في هذه اللحظة.

- ما الذي يجعلك واثقًا بنجاحنا؟ لماذا أنا؟

تطلّع جانسن إليه، وغمره بابتسامة قوارض قائلاً:

- أعرف يا توماس، أوّمن بنجاحنا بكل ذرة من كياني، وأعدك بأن يُنسب إليك الفضل الذي تستحقه.

لسبب ما خطر نيوت ببال توماس عندئذ:

- لا أريد أن ينسب إليّ أي فضل!

أجاب الرجل متجاهلاً توماس:

- ها قد وصلنا.

بلغا بابًا لا يحمل أي علامة، وطلب الرجل الجرد منه الدخول، فكان بالداخل شخصان؛ رجل وامرأة، يجلسان قبالة مكتب، لم يتعرف توماس عليهما. ترتدي المرأة بدلة داكنة، ولديها شعر أحمر طويل، وتقبع فوق أنفها نظارة ذات إطار رفيع، والرجل أصلع حاد القسّمات، يرتدي ملابس أطباء خضراء.

قال جانسن، وهو يتحرك ليقعد خلف المكتب، وأشار لتوماس ليقعد الكرسى الثالث الذي يتوسط زائريه، فقعد:

- هذان زميلاي؛ الدكتورة رايت هي كبيرة أطبائنا النفسيين، والدكتور كريستنسن كبير أطبائنا. أمامنا موضوعات مناقشة كثيرة، لذا اعدرنى لاختصار التعارف.

سأل توماس داخلًا فى صلب الموضوع:

- لماذا أنا المرشح النهائى؟

حاول جانسن استجماع شتات نفسه، وراح يحرك الأشياء التى على مكتبه قبل أن يتكى على ظهره، ويعقد يديه على حجره:

- سؤال ممتاز، كان لدينا بضعة -لا تؤاخذنى على التسمية- مواضيع دراسة، قررنا فى البداية أن يتنافسوا على هذا الشرف، ومؤخرًا انحصر الخيار بينك وبين تيريسا، لكنها تتبع الأوامر بطريقة مختلفة عن طريقك، فميك إلى التفكير الحر هو ما حسم فى نهاية المطاف أنك المرشح النهائى.

قال توماس لنفسه بمرارة: «خضت اللعبة حتى النهاية». إذن اتضح أن محاولات تمرده كانت عين ما يريدونه. وتوجه كل ما اعترك بداخله من غضب نحو الرجل القاعد أمامه؛ نحو الرجل الجرد. صار جانسن -من وجهة نظر توماس- تجسيدًا لوكد بكل ما فيها. وقال:

- دعونا ننتهى من هذا الأمر.

بذل كل ما بوسعه ليخفى غضبه، لكنه أحس به فى صوته.

لم يبد على جانسن التأثر، وقال:

- أرجو أن تتحلى بقليل من الصبر، لن يستغرق الأمر وقتًا طويلًا، وضع فى اعتبارك أن جمع أنماط المقتل عملية دقيقة وحساسة، فنحن نتعامل مع دماغك، وأقل خلل فى تفكيرك أو تفسيرك أو فهمك من شأنه أن يجعل المخرجات عديمة القيمة.

أردفت د. رايت، وهى تعيد خصلة شعر شاردة إلى خلف أذنها:

- أجل، أعرف أن المدير المساعد جانسن قد أخبرك عن أهمية عودتك، ونحن سعيديون باتخاذك القرار.

كان صوتها رقيقًا عذبًا، وبطريقة ما ينضح ذكاء.

تنحج د. كريستنسن، ثم تكلم بصوت مزماريٍّ ناعم، فشعر توماس
بنفور فوريٍّ منه:

- لا أدري كيف كان لك أن تتخذ أي قرار آخر، فالعالم بأكمله على شفا
الانهيار، ويمكنك المساعدة على إنقاذه.

أجاب توماس:

- هذا ما ترونه إذن.

قال جانسن:

- بالضبط، هذا ما نراه. كل شيء جاهز، لكن هناك المزيد قليلاً مما علينا
إخبارك به حتى تدرك هذا القرار الذي اتخذته تمام الإدراك.

ردد توماس:

- المزيد قليلاً مما عليكم إخباري به؟ أليس المغزى من «المتغيرات» هو
ألا أعرف كل شيء؟ ألن تلقوا بي في قفص مع غوريلات، أو شيء من
هذا القبيل، أو ربما ترغمونني على السير عبر حقل ألغام، أو التخلي
عني في المحيط لتروا إن استطعت السباحة إلى الشاطئ؟

أجاب د. كريستنسن مخاطباً جانسن:

- أخبره بالبقية.

سأل توماس:

- البقية؟

قال جانسن متنهداً:

- أجل يا توماس، البقية.. بعد كل التجارب، وبعد كل الدراسات، وبعد
كل الأنماط التي جمعناها، ودققنا النظر فيها، وبعد كل المتغيرات التي
خضعت لها أنت وأصدقائك؛ هذه هي نهاية المطاف.

لم يقل توماس شيئاً، وكان يتنفس بالكاد بسبب إحساس الترقب الغريب:
أي رغبته وعدم رغبته في المعرفة في الوقت نفسه.

مال جانسن إلى الأمام واضعاً مرفقيه على المكتب، ونظرة جادة تظلل
وجهه، ثم قال:

- أمر واحد أخير.

- وما هو؟

- توماس.. إننا بحاجة إلى دماغك.

الفصل التاسع والخمسون

تسارع وجيب قلب توماس حتى صار ضربات مقعقة في صدره، وعرف أن الرجل لا يختبره، إذ بلغوا أقصى حد يمكن أن يبلغوه في تحليل ردود أفعاله وأنماط دماغه، والآن قد اختاروا الشخص الأنسب للمشاركة في جهودهم لإيجاد العلاج. وأحس فجأة بأن الذراع اليمنى لن تصل بالسرعة اللازمة. أرغم نفسه على التردد:

- دماغي؟

أجاب د. كريستنسن:

- نعم، المرشح النهائي هو من يملك القطعة الناقصة لإكمال بيانات المخطط الأولي، لكن ليست لدينا طريقة للتأكد حتى نراقب الأنماط مع مقارنتها بالمتغيرات، وسيقدم لنا التشريح الحي بياناتنا النهائية، إذ ينبغي أن تعمل وظائفك كما ينبغي لها عندما تجري التشريح، ولن تشعر بأي ألم؛ سوف نخدرك تخديرًا قويًا إلى أن...

لم يكن بحاجة إلى إنهاء كلامه، وتلاشت كلماته، فاستحالت صمتًا، ثم انتظر علماء وكِد الثلاث جواب توماس، لكن لم يكن بمستطاعه الكلام، فقد واجه الموت مرات لا تحصى خلال ما يتذكره من حياته، ومع هذا كان يواجهه مدفوعًا بأمل النجاة، ويبدل قصارى جهده ليصمد يومًا إضافيًا، لكن هذا الوضع مختلف، إذ لم يكن عليه الصمود خلال تجربة ما حتى يأتي منقذوه، هذا اتجاه دون طريق عودة، وستحين نهايته إذا لم يأتوا. خطرت له فكرة مقبلة؛ هل كانت تيريسا تعرف هذا؟ وفوجئ بمدى ألم هذه الخاطرة.

سأله جانسن قاطعًا تسلسل أفكاره:

- توماس؟ أعرف أن هذه صدمة لك، وأريدك أن تفهم أن هذا ليس اختبارًا، هذا ليس «متغيرًا»، ولا أكذب عليك. نعتقد أن بإمكاننا إكمال المخطط

الأولي للعلاج بتحليل أنسجة دماغك، ومعرفة كيف تُمكنه مكوناته المادية - مع الأنماط التي جمعناها- من مقاومة قوة فيروس الوباء، وقد وُضعت جميع التجارب حتى لا نضطر إلى شق أدمغة الجميع، فهدفنا هو إنقاذ الأرواح، وليس إهدارها.

تابعت د. رايت:

- ظللنا نجمع الأنماط، ونحللها منذ سنوات، وكنت الأقوى بمراحل في ردود أفعالك إزاء المتغيرات، وكنا نعرف منذ مدة طويلة - وإخفاء هذا الأمر من مواضيع الدراسة كان أولويتنا القصوى- أننا في النهاية سوف يتعين علينا اختيار أفضل مرشح من أجل هذه العملية الأخيرة.

استرسل د. كريستنسن في توضيح العملية، وتوماس يستمع خديراً في

صمت:

- لا بد أن تكون على قيد الحياة، لكن غير مستيقظ، سوف ننومك ونخدر منطقة الجراحة، لكن لا توجد أي أعصاب في الدماغ، لذا فالعملية غير مؤلمة نسبياً. وللأسف لن تتعافى من استكشافاتنا العصبية؛ العملية نهايتها الوفاة، لكن النتائج لن تُقدَّر بثمن.

سأل توماس:

- وإذا لم تنجح العملية؟

ولم يكن يرى أمامه سوى نيوت في لحظاته الأخيرة. ماذا لو كان بإمكان توماس أن يجنّب آخرين لا يحصون تلك الميته الشنيعة؟

تذبذبت عينا الطبيبة النفسية من عدم الارتياح:

- عندئذٍ سنواصل العمل حتى ننجح، لكننا واثقون تمام الثقة...

قاطعها توماس عاجزاً عن كبح نفسه:

- لكنكم لستم واثقين، أليس كذلك؟ إنكم تدفعون للناس ليخطفوا لكم

المزيد من مواضيع الدراسة أصحاب المناعة..!

لفظ تسميتهم بحنق مُر، وتابع:

- حتى يمكنكم البدء من جديد!

لم يُجِب أحد لوهلة، ثم قال جانسن:

- سوف نفعل كل ما يتطلبه إيجاد العلاج، بأقل عدد ممكن من الأرواح المزهقة. ما من حاجة إلى قول شيء آخر في هذه المسألة!
سأل توماس:

- لماذا نكلف أنفسنا عناء الكلام؟ لماذا لا تمسكون بي وتقيدونني، وتشقون دماغي؟!
أجاب د. كريستنسن:

- لأنك مرشحنا النهائي، وكنتَ جزءًا من حلقة الوصل بين المؤسسين، وطاقم الموظفين الحالي، ونحاول أن نظهر لك الاحترام الذي تستحقه، على أمل أن تتخذ القرار بنفسك.
سألت د. رايت:

- توماس، هل نمهلك بعض الوقت؟ أعرف أن هذا الأمر صعب، وأؤكد لك أنه ثقيل علينا أيضًا، فنحن نطلب تضحية هائلة. هل ستتبرع بدماغك في سبيل العلم؟ هل ستتيح لنا تجميع آخر قطع الأحجية لنخطو خطوة أخرى نحو علاج من أجل الجنس البشري؟

لم يدرِ توماس ما عليه قوله، عاجزًا عن تصديق المنحى الذي اتخذته الأحداث، وبعد كل شيء، أيمن أن يكون صحيحًا أنهم لا يحتاجون سوى إلى موت شخص واحد فقط؟

الذراع اليمنى قادمة، وومضت صورة نيوت في عقله.
قال أخيرًا:

- أريد الانفراد بنفسي، رجاءً.
لأول مرة رغب جزءٌ منه في الاستسلام، والسماح لهم بفعل ما يريدونه حتى إذا كانت فرصة النجاح ضئيلة.

قال د. كريستنسن:

- سوف تتخذ القرار الصائب، ولا تقلق، لن تشعر بمثقال ذرة من ألم.
لم يرغب توماس في سماع كلمة أخرى:

- أريد قضاء بعض الوقت وحدي قبل أن يبدأ كل هذا.

قال جانسن، وهو ينهض:

- تستحق بعض الوقت، سنصطحبك إلى المرافق الطبية، وندخلك في غرفة خاصة لبعض الوقت، لكن علينا بدء الأمور سريعًا.

مال توماس إلى الأمام، ووضع رأسه في يديه محدقًا إلى الأرضية، وبدت الخطة التي دبّرها مع الذراع اليمنى سخيطة غاية السُخف، فحتى إذا تمكن من الهروب من هذه المجموعة - حتى إذا أراد أن يهرب الآن-، فكيف سيصمد حتى يصل أصدقائه؟!

سألته د. رايت، وهي تضع يدها على ظهره:

- توماس؟ هل أنت بخير؟ ألدك أي أسئلة أخرى؟

جلس توماس مستقيمًا، وأبعد يدها قائلاً:

- فلنذهب... إلى حيث قلتم.

بدا أن الهواء ينفد من مكتب جانسن، وضاق صدر توماس، فنهض وسار نحو الباب، وفتحه ثم خرج إلى الرواق. كان الأمر يفوق مقدرته على الاحتمال.

الفصل الستون

تبع توماس الطبيبين، لكن تسارعت الأفكار في عقله، ولم يدر ما عليه فعله، فما من طريقة للتواصل مع الذراع اليمنى، وقد فقد المقدرة على التخاطر مع تيريسا وأريس. انعطفوا عند عدة زوايا، وجعلت كثرة الأوراق توماس يتذكر المتاهة، وكاد يتمنى لو أنه عاد إليها.. كانت الأمور أبسط وقتذاك.

أوضح جانسن:

- هناك غرفة أمامنا إلى اليسار، وقد وفرت فيها سابقًا لوحة طباعة في حال رغبت في كتابة أي رسائل لأصدقائك، وسأجد طريقة لإيصالها إليهم.

وقالت د. رايت من الخلف:

- كما سأحرص على تناولك وجبةً ما.

شعر توماس بالضيق من تهذيهم، وتذكر قصص القتلة الذين كانوا يُعدمون في الماضي، دائمًا ما كانوا تُقدّم لهم وجبة أخيرة أيضًا، مهما تَكُن فاحرة ومكلفة!

توقف ونظر إليها قائلاً:

- أريد شريحة لحم، و«جمبري، وروبيان»، وكعكًا مُحلّى، وحلوى.

- آسفة.. عليك أن ترضى بشطيرتين!

تنهد توماس قائلاً:

- هذا ما توقعته!

اقتعد توماس كرسيًا وثيرًا، وراح يحدق إلى لوحة الطباعة التي على الطاولة الصغيرة أمامه، ولم تَكُن لديه نية في كتابة رسالة لأي أحد، لكن لم يخطر له شيء آخر يمكنه فعله. اتضح أن الوضع أعقد بكثير مما كان

ليتخيله، ولم يدِرِ ما كان يتوقعه، لكن فكرة تشريحه حيًّا لم تخطر له قط، وكان يظن -بصرف النظر عما يريدونه- أن بإمكانه مسيرتهم حتى ظهور الذراع اليمنى، لكن مسيرتهم الآن سوف تؤدي بحياته.

أخيرًا كتب رسائل وداع لمينهو وبرندا تحسُّبًا لموته في نهاية المطاف، ثم أسند رأسه إلى ذراعيه إلى أن وصل الطعام.. تناوله ببطء، ثم أسند رأسه مجددًا، ولم يسعه سوى أن يأمل في وصول أصدقائه في الوقت المناسب، وفي كل الأحوال لن يبرح الغرفة ما لم يتيقن تمام اليقين أنه لم يعد لديه خيار آخر. غفا في أثناء انتظاره، وتوالت الدقائق. أجفل مستيقظًا إثر طرق على الباب. جاءه صوت جانسن المكتوم:

- توماس؟ علينا أن نبدأ الآن.

أشعلت كلماته نيران الذعر في توماس، فقال:

- إنني... لستُ مستعدًا بعد.

وكان يعرف أنه يبدو سخيًّا.

بعد صمت طويل قال جانسن:

- أخشى أننا ليس أمامنا خيار آخر!

- لكن...

بدأ توماس الكلام، لكن قبل أن يتمكن من استجماع شتات أفكاره، انفتح الباب، ودخل جانسن:

- توماس.. الانتظار لن يزيد الوضع إلا سوءًا، علينا الذهاب.

لم يدِرِ توماس ما عليه فعله، وكان دهشًا من تعاملهم معه بهدوء حتى الآن، وأدرك أنه قد بلغ نهاية المطاف، ونفذ وقته، فأخذ نفسًا عميقًا:

- لننتهِ من الأمر إذن.

ابتسم الرجل الجرد قائلًا:

- اتبعني.

اقتاد جانسن توماس إلى غرفة تحضير، بها سرير ذو عجلات محاط بجميع أنواع أجهزة المراقبة، وعدة ممرضات، ود. كريستنسن موجود، مرتديًا

بدلة الجراحين بكامل ملحقاتها من رأسه إلى أخمص قدميه، وعلى وجهه قناع جراحيّ، ولم يرَ توماس سوى عينيه، لكنه بدا متلهفًا للبدء.

سأل توماس:

- هكذا إذن؟ حان الوقت لشق رأسي؟

مرّقت موجة زعر أحشاءه، وأحس كما لو أن شيئًا يحاول أن ينهش صدره.

أجاب الطبيب:

- آسف، لكن علينا البدء.

كان الرجل الجرد يهم بالكلام عندما دوّت صافرات الإنذار في جميع أنحاء المبنى. انتفض قلب توماس، وسرى الارتياح في جميع أوصاله.. لا بد أنها الذراع اليمنى. فُتح الباب والتفت، فرأى امرأة عليها أمارات الهستيريا تقول:

- وصلت بيرج، على متنها دفعة من أصحاب المناعة، لكنها كانت خدعة

ليتمكنوا من الدخول، وهم يحاولون الاستيلاء على المبنى الرئيسي الآن.

ردّ جانسن كاد يوقّف قلب توماس:

- يبدو أننا علينا الإسراع ببدء هذه العملية، خذّره يا كريستنسن.

الفصل الحادي والستون

انقبض صدر توماس، وغص حلقه، حدث ما كان يأمله، لكنه وجد نفسه متسمراً.
زمجر جانسن بأوامره:

- د. كريستنسن، أسرع، لا ندري ما يخطط له أولئك الناس، لكن لا يسعنا إهدار أي ثانية الآن، سأذهب لأطالب أفراد العمليات بالصمود مهما يكلف الأمر!

قال توماس أخيراً:

- مهلاً! لست متأكداً من استعدادي لفعل هذا!

أحس بكلماته خاوية، وكان يعلم أنهم لن يتوقفوا بعدما بلغوا هذه المرحلة. احمرَّ وجه جانسن، وبدلاً من الرد على توماس، التفت إلى الطبيب قائلاً:
- افعل كل ما يتطلبه إجراء العملية لهذا الصبي.

وحالما فتح توماس شفّتيه ليتكلم، وخز شيءٌ حادٌ ذراعَه، فبعث موجات حرارة في بدنه، فأصيب بالشلل، وتهالك على النقالة. كان خدرًا من العنق للأسفل، واستشرى الرعب بداخله. مال د. كريستنسن فوقه، ومرر حقنة فارغة إلى ممرضة:

- إنني في غاية الأسف يا توماس، علينا إجراء هذه العملية.

دفعه الطبيب والممرضة إلى السرير، ورفعوا ساقيه حتى يتمدد على ظهره، وكان توماس قادرًا على تحريك رأسه قليلاً من جانب إلى آخر، ولا شيء آخر. وكان التحول المفاجئ في الأحداث طاغياً عليه مع إدراكه للعواقب المترتبة على هذا التحول. إنه على مشارف الموت، وما لم تتمكن الذراع اليمنى من نجده بطريقتي ما، فسيلقى حتفه.

دخل جانسن في مجال رؤيته، وهو يومئ راضياً، ربّت الرجل الجرد على كتف الطبيب قائلاً:

- انجز الأمر.

ثم استدار واختفى، وتناهى إلى مسامع توماس صراخ أحدهم في الرواق قبل إغلاق الباب.

أوضح د. كريستنسن:

- سأكتفي بإجراء بعض الفحوص، ثم سوف ننقلك إلى غرفة العمليات. استدار وانشغل ببعض الأدوات خلفه. أحس توماس كأن الرجل يتحدث إليه من بُعد مئة ميل، وظل مستلقيًا، لا حول له ولا قوة، وتلاطمت الأفكار في عقله، والطبيب يسحب منه الدم، ويقيس جمجمته، ظل الرجل يعمل بصمت، وهو يرمش بالكاد، لكن حبيبات العرق على جبهته أظهرت أنه يسابق شيئًا لا علم له به. هل سيستغرق ساعة للانتهاء؟ عدة ساعات؟ أغمض توماس عينيه، وتساءل عما إذا كان جهاز تعطيل الأسلحة قد أدى وظيفته، وتساءل عما إذا كان أي أحد سوف يعثر عليه، ثم أدرك؛ هل يريد حقًا أن يعثروا عليه؟ هل من الممكن أن يكِد قد اقتربت من إيجاد علاج؟ أرغم نفسه على التنفس بانتظام، والتركيز على محاولة تحريك أطرافه، لكن لم يتحرك قيد أنملة.

اعتدل الطبيب فجأة، وابتسم لتوماس ابتسامة واسعة، وقال:

- أعتقد أننا مستعدون، سننقلك إلى غرفة العمليات الآن.

سار الرجل خارجًا من الباب، ودُفعت نقالة توماس إلى الرواق، عاجزًا عن الحركة، ظل ممددًا يحدق إلى مصابيح السقف، وهي تومض متحركة فوقه في أثناء سيرهم في الدهليز، حتى اضطر أخيرًا إلى إغماض عينيه. سوف ينومونه، وسيتلاشى العالم، وسيكون ميتًا. فتح عينيه فجأة، ثم أغمضهما، تسارعت نبضات قلبه، وتعرقت يداه، وأدرك أنه يمسك بملاءات النقالة بقبضتين متحجرتين، بدأ يستعيد قدرته على الحركة ببطء، ثم فتح عينيه مجددًا، المصابيح تمر فوقه، انعطافة أخرى، ثم أخرى، كاد القنوط يعتصر الحياة من توماس قبل أن تتسنى الفرصة للأطباء.

- أنا...

بدأ يتكلم، لكن لم تند عنه كلمة أخرى.

خفض كريستنسن بصره إليه، وسأله:

جاهد توماس ليتكلم، لكن قبل أن يتمكن من لفظ كلمة أخرى بصعوبة، دوى انفجار اهتزت له جنبات الرواق، وتعثرت الطبيب، فدفعت وزنه النقالة للأمام، وهو يترنح محاولاً منع نفسه من السقوط، واندفعت النقالة إلى اليمين، وارتطمت بالجدار، ثم ارتدت، ودارت حول نفسها حتى ارتطمت بالجدار المقابل، وحاول توماس أن يتحرك، لكنه ما زال مشلولاً، عاجزاً، وخطر بباله تشاك ونيوت، فاعتصر قلبه حزنٌ لم يعرف له مثيلاً من قبل قط. صرخ شخص تجاه الانفجار، وأعقبت صراخه صيحات، ثم خيم الصمت على كل شيء. انتصب الطبيب على قدميه، وهول نحو النقالة، واستعد لها، وتابع دفعها مرتطمًا ببابين متأرجحين، وكان بالداخل عدة أشخاص يرتدون ملابس الجراحين بانتظارهم في غرفة العمليات البيضاء.

زمجر كريستنسن بالأوامر:

- علينا أن نسرع! جميعكم، اتخذوا أماكنكم. ليزا، خذْ ريه تخديراً كاملاً، الآن!
ردت امرأة قصيرة:

- لم نفرغ من جميع التح...

- لا يهم! سيحترق المبنى بأكمله على ما يبدو.

قرَّب النقالة جوار طاولة عمليات، ورفعت عدة أيادٍ توماس حتى قبل أن تتوقف النقالة تماماً، استقر على ظهره، وجاهد ليستوعب جلبية الأطباء والمرضات، كانوا تسعة أو عشرة على الأقل. أحس بوخزة في ذراعه، ونظر إلى الأسفل، فرأى المرأة القصيرة توصلّ محلولاً وريدياً، وطوال هذا الوقت لم يكن قادراً على تحريك شيء سوى ذراعيه. نُبِّتت الإضاءة فوقه، وأوصلت بجسده أشياء في أماكن متفرقة منه، وبدأت أجهزة المراقبة تصدر صفيرها، ثم سمع هدير آلة، وأناساً يتحدثون مع بعضهم بعضاً، وضجت الغرفة بحركة دؤوبة، كأنما يؤدون رقصة منسقة بعناية. كانت الأضواء باهرة، ودارت الغرفة حوله رغم أنه يتمدد ساكناً سكوناً تاماً، تصاعد رعبه مما سيفعلونه به، مدرّكاً أن نهايته قد حانت... هنا والآن.

- أمل أن تنجح العملية.

تمكن من النطق أخيراً.

انقضت بضع ثوانٍ أخرى، وتمكن منه مفعول الأدوية، وتلاشى كل شيء.

الفصل الثاني والستون

لم يعرف توماس سوى الظلام لمدة طويلة، الفاصل في خواء أفكاره رفيعٌ كشعرة، لا يتسع إلا بالقدر الذي يتيح له معرفة الخواء نفسه، وفي مكان ما عند حافة هذا الخواء، كان يعرف أنه من المفترض أن يكون نائمًا، وألا يبقى على قيد الحياة إلا ليتمكنوا من التنقيب في دماغه، وتفكيكه، وعلى الأرجح تشريحه فصًا فصًا.

إذن لم يمت بعد. وفي مرحلة ما من تيهه بين جحافل الظلام، سمع صوتًا.. ينادي اسمه. وبعدها سمع «توماس» مرات عديدة، قرر أخيرًا أن يقتفي أثر الصوت، ويجده، فحمل نفسه على التحرك نحو الصوت... نحو اسمه.

الفصل الثالث والستون

قالت له امرأة، وهو يجاهد لاستعادة وعيه:

- توماس، إنني أوّمن بقدرتك.

لم يميز صوتها، لكنه بطريقةٍ ما كان رقيقًا، وذا نبرة أمرّة في الوقت عينه، فتابع المجاهدة، وسمع نفسه يئن، وأحس بنفسه يتحرك في فراشه. وأخيرًا فتح عينيه، وراح يرمش في مواجهة أضواء السقف، ثم لاحظ بابًا ينغلق خلف الشخص الذي جاء ليوقله.

قال:

- مهلاً!

لكن الصوت الذي ند عنه لم يكن سوى همسة متحشجة. وضع مرفقيه تحته، ورفع نفسه مستعينًا بقوة إرادته، كان وحده في الغرفة، ولم يسمع صوتًا سوى صيحات قادمة من بعيد، ودمدمة كقصف الرعد من حين لآخر. بدأ عقله ينجلي، وأدرك أنه -عدا عن الدوار الخفيف- يشعر أنه بخير، مما يعني أنه ما زال محتفظًا بدماعه، إلا إذا حدثت طفرة في المعجزات التي يجترحها العلم.

استرعى انتباهه ملفٌ بُنِّي من ورق سميك على الطاولة التي جوار سرير، مكتوب على غلافه الأمامي «توماس» بأحرف حمراء كبيرة. أنزل ساقيه ليجلس منتصبًا على حافة الفراش، وأخذ الملف. وجد بداخله ورقتين؛ الأولى خريطة لمجمع وكد، موضَّح عليها بقلم أسود عريض عدة مسارات في المبنى، ثم ألقى نظرة سريعة على الثانية، فكانت رسالة موجهة إليه، وتحمل توقيع المستشار بايج. وضع الخريطة، وشرع في قراءة الرسالة من البداية:

«عزيزي توماس...

أعتقد أن التجارب انتهت، وبحوزتنا بيانات أكثر من كافية لوضع المخطط الأولي، بيد أن زملائي لا يتفقهون معي بهذا الشأن، لكنني تمكنت من إيقاف

هذه العملية، وإنقاذ حياتك. وتتمثل مهمتنا الآن في العمل على البيانات التي بحوزتنا، وإيجاد علاج للوهج. ومشاركتك مع مواضيع الدراسة الآخرين، لم تُعد ضرورية.

والآن أمامك مهمة جسيمة. أدركتُ عندما أصبحت مستشارة أهمية إضافة باب خلفي من نوع ما لهذا المبنى، وجعلت هذا الباب الخلفي في غرفة صيانة غير مستخدمة، وأطلب منك إخراج نفسك وأصدقائك، والعدد الكبير من أصحاب المناعة الذين جمعناهم. الوقت عنصر جوهري، وأنا متأكدة أنك تعي هذا.

هناك ثلاثة مسارات موضحة على الخريطة التي أرفقتها؛ يوضح لك المسار الأول كيفية مغادرة هذا المبنى عبر نفق، وحالما تخرج، ستجد المكان الذي دخلت منه جماعة الذراع اليمنى في مبنى آخر، وهناك يمكنك الانضمام إليهم. ويوضح المسار الثاني كيفية الوصول إلى مكان أصحاب المناعة. ويوضح الثالث مكان الباب الخلفي، وهو ناقل مسطح سينقلكم إلى ما أمل أن يكون حياة جديدة، اصطحبهم جميعاً، وغادروا.

إيفا بايج، المستشارة.»

لبث توماس يحدق إلى الورقة، وعقله يدور، ثم سمع دمدمة قادمة من بعيد انتشلته من شروده، وأعادته إلى الواقع. إنه يتق بيرندا، وهي تثق بالمستشارة. لا يسعه فعل شيء الآن سوى التحرك. طوى الرسالة والخريطة، وأقحمهما في جيبه الخلفي، ثم نهض ببطء، ركض نحو الباب، متفاجئاً من مدى سرعة استعادته لقوته، واختلس نظرة في الرواق، فوجده خالياً، فانسلَّ خارجاً، وحالما صار في الرواق، ركض من خلفه شخصان، ومرّاً جواره، ولم يلقياً حتى نظرة سريعة على توماس، فأدرك أن الفوضى التي خلّفها هجوم الذراع اليمنى هي التي أنقذته. أخرج الخريطة، وأمعن النظر فيها، متابِعاً الخط الأسود الذي يقود إلى النفق، لن يستغرق الوصول إليه وقتاً طويلاً، حفظ المسار، وبدأ يركض في الصالة، معتمراً أن يتفقد في أثناء ركضه المسارين الآخرين اللذين حددتهما المستشارة بايج على الخريطة. توقف قبل أن يبتعد أكثر من بضع ياردات، مشدوهاً بما يراه، فأخرج الخريطة، وقربها ليتأكد، فربما لم يقرأها قراءة صحيحة، لكن لم يوجد أي خطأ فيما يراه.

لقد أخفت وكِد أصحاب المناعة في المتاهة...!

الفصل الرابع والستون

كانت توجد متاهتان على الخريطة بالطبع؛ متاهة المجموعة (أ)، ومتاهة المجموعة (ب)، ولا بد أن كليهما مشيدتان عميقًا في القاعدة الصخرية التي تحت المقر الرئيسيّ لوكد. ولم يعرف توماس أي المتاهتين ينبغي له الذهاب إليها، لكن في كلتا الحالتين سيعود إلى المتاهة، فبدأ يركض -وقد اجتاحتها رهبة خانقة- نحو نفق المستشار بايج.

تابع الخريطة، وركض عبر رواق تلو رواق حتى بلغ سلالم طويلة تنحدر إلى القبو، وقاده المسار عبر غرف خالية، وأخيرًا إلى باب صغير يفضي إلى نفق. كان النفق معتمًا، لكن توماس شعر بارتياح، لأنه ليس مظلمًا تمامًا، ورأى في أثناء ركضه في الدهليز الضيق عدة مصابيح عارية تتدلى من السقف، وبعد نحو مئتي قدم بلغ سلمًا موضَّحًا على الخريطة، فتسلقه، ووجد أعلاه بابًا معدنيًا مستديرًا ذا مقبض دائريّ، نكَّره بمدخل غرفة الخرائط في الجلايد. أدار المقبض، ودفعه بكل قوته، فتسلل ضوء خافت، وتوماس يرفع الباب، ومع انقلاب الباب على مفاصله للأعلى، هبَّ هواء بارد مغبر على توماس، ثم رفع نفسه إلى سطح الأرض، فألقى نفسه جوار صخرة ضخمة في الأرض الجذباء المغطاة بالثلوج الواقعة بين الغابة ومقر وكِد. رفع غطاء النفق، وأغلقه بعناية، ثم قرفص خلف الصخرة، ولم يلاحظ أي تحركات، لكن ظلام الليل جعل الرؤية الواضحة متعذرة. رنا ببصره إلى السماء، وعندما رأى الغيوم المدلهمة الثقيلة نفسها التي لاحظها عندما وصل إلى المجمع، أدرك أنه ليست لديه أدنى فكرة عن مقدار ما انقضى من وقت منذئذٍ؛ هل مكث في المبنى بضع ساعات فحسب، أم ليلة كاملة، وقد أقبل النهار ثم أدير؟

ذكرت المستشار بايج في رسالتها أن الذراع اليمنى اقتحمت المباني من مكان ما، على الأرجح بالتفجيرات التي سمعها توماس سابقًا، وهذا المكان هو ما عليه الذهاب إليه أولًا، إذ رأى أن من الحكمة الانضمام إلى المجموعة،

فوجوده بينهم أمان له، كما عليه أن يخبرهم بمكان إخفاء أصحاب المناعة. وبالنظر إلى الخريطة، فأفضل خيار لتوماس هو الركض إلى سلسلة المباني الواقعة على الجانب الأبعد من المكان الذي جاء منه، والبحث في المنطقة هناك. تحرك واستدار حول الصخرة الضخمة، وركض نحو أقرب مبنى، كان ينحني في أثناء ركضه، محاولاً أن يظل منخفضاً بقدر الإمكان. شق البرق صفحة السماء، فأضاء مجمع المباني الأسمنتيّ، وانعكس عن الثلوج البيضاء، وأعقبه قصف الرعد بسرعة مزلزلاً الأرض وأعماق صدره.

وصل إلى المبنى الأول، وشق طريقه عبر أجمات ذابلة إلى جوار الحائط، وسار باحثاً بمحاذاة المبنى، لكنه لم يجد شيئاً. ثم توقف عندما بلغ أول زاوية، واختلس النظر منها، فرأى باحات متصلة في المساحة التي بين المباني، لكنه لم يرَ منفذاً إلى الداخل. دار حول المبنىين التاليين، وعندما اقترب من الرابع، سمع أصواتاً، فانبطح على الأرض فوراً، وأسرع بقدر ما أمكنه من هدوء عبر التراب المتجمد نحو أجمة غير مشدبة، ثم أطل برأسه من خلفها بحثاً عن مصدر الجلبة. وجده، رأى أنقاضاً مبعثرة بالباحة في أكوام كبيرة، وخلفها ثقب كبير جرى تفجيريه في خاصرة المبنى، مما يعني أن الانفجار كان من الداخل. وكان ينبعث من الفجوة ضوءٌ باهتٌ مُلقياً على الأرض ظلالاً متشظية، وعند حافة هذه الظلال يقعد شخصان يرتديان ملابس مدنية.. الذراع اليمنى.

همّ توماس بالنهوض، لكن يداً باردة غطت فمه بقوة، وأحاطت ذراع أخرى بصدرة وجذبتة، ساحبةً إياه على الأرض، وقدماه تشقان الثلوج، فانتفض وجاهد لتحرير نفسه، لكن الشخص كان قوياً جداً. انعطفا عند زاوية المبنى إلى باحة صغيرة، وألقى توماس على الأرض على بطنه، وقَلَبه أسره على ظهره، وغطى فمه مجدداً، كان رجلاً لا يعرفه، وألقى فوقه شخص آخر... جانسن!

قال الرجل الجرد:

- لقد خيبت ظني! لا يبدو أن كل من في منظمتي على قلب رجل واحد!
لم يسع توماس فعل شيء سوى محاولة الإفلات من الشخص الذي يثبته على الأرض.

تنهد جانسن قائلاً:

- أظننا سنضطر إلى إتمام المهمة بالطريقة الصعبة.

الفصل الخامس والستون

سحب جانسنُ مديّةً طويلةً مُستدقّةً، ورفعها متفحصًا إياها بعينين ضيقتين:

- أوكد لك يا فتى، لم أحسب نفسي رجلًا عنيفًا يومًا، لكن أنت وأصدقاك دفعتموني إلى حافة العنف، وقد استنفدتم كل حبال صبري، لكنني سوف أتحدى بضبط النفس، فخلافاً لك، إنني لا أفكر بنفسني فحسب، إنني أعمل من أجل إنقاذ الناس، وسوف أكمل هذا المشروع.

حمل توماس نفسه على الاسترخاء والسكون، فالعراك لم يحقق له شيئاً، وعليه أن يدخر طاقته حتى تسنح الفرصة المناسبة، إذ كان من الواضح أن الرجل الجرد قد فقد صوابه، وبالنظر إلى المديّة، فهو عازم أشد العزم على إعادة توماس إلى غرفة العمليات بأي ثمن.

- يا لك من صبي مطيع! لا داعي للمقاومة، وينبغي أن تكون فخورًا، فأنت وماغك سوف تنقذان العالم يا توماس.

كان الرجل الذي يمسك بتوماس قصيرًا غليظًا، أسود الشعر، وقال عندئذ:

- سأبعد يدي عن فمك الآن يا فتى، وإذا أصدرت أي صوت، فسيطعنك المدير المساعد جانسنُ بمديّته، فهمت؟ نريدك حيًّا، لكن هذا لا يعنى أننا لا نستطيع التعامل مع جراح حرب طفيفة!

أومأ توماس بكل ما أوتي من هدوء، وأقلته الرجل، وتراجع قاعدًا، وقال:

- فتى ذكي!

حانت اللحظة لتوماس للانقضاض. طوّح بساقه بعنف، وركل جانسنُ في وجهه، فانتخع رأس الرجل للخلف، وارتطم جسده بالأرض، وتحرك ذو الشعر الأسود ليعرقل توماس، لكن توماس راغ من تحته، وهاجم جانسنُ

مجددًا، وهذه المرة ركل اليد التي تمسك بالمدينة، فانفلتت من قبضته، وتدحرجت على الأرض حتى ارتطمت بجانب المبنى. وجَّه توماس انتباهه إلى المدينة، التي صارت أيضًا موضع اهتمام الرجل الغليظ، فاندفع نحو توماس الذي سقط على ظهره فوق جانسن، فتلوى جانسن تحتها، وهما يتصارعان، وأحس توماس بيأس يتملكه، فانفجر الأدرينالين في أوصاله، وصاح وركل، وجاهد لينزلق من بين الرجلين، متشبثًا ومتخبطًا بيديه وقدميه، فأقلت منهما، وارتمى نحو المبنى قاصدًا المدينة، وسقط جوارها، فأمسكها واستدار سريعًا، متوقعًا هجومًا فوريًا، لكن كلا الرجلين كانا لا يزالان ينهضان ليقفا على أقدامهما، ومن الواضح أنهما صُعقا بقوته التي تفجرت فجأة. نهض توماس أيضًا، رافعًا المدينة أمامه، وقال:

- دعاني أذهب، سيرا بعيدًا عني، ودعاني أذهب! أقسم إنكما إذا هاجمتماني، فسيجن جنوني بهذا الشيء، ولن أتوقف عن الطعن حتى تفارقا الحياة... أقسم على هذا!

قال جانسن:

- إنك تواجه اثنين يا فتى، مديتك لا تهم!

أجاب توماس محاولاً أن يبدو خطيرًا بقدر خطورته التي يشعر بها:

- لقد رأيت ما أنا قادر على فعله، شاهدتني في المتاهة، وفي الأرض المحترقة!

كاد يضحك من المفارقة؛ لقد جعلوا منه قاتلاً.. من أجل إنقاذ الناس!

قال الرجل القصير بضحكة ساخرة:

- إذا اعتقدت أننا...

تراجع توماس، وقذف المدينة كما رأى جالي يقذفها، فدارت حول نفسها في المساحة التي تفصل بينهما، وانغرزت في عنق الرجل، لم يروا دماءً في البداية، لكن الرجل رفع يده، وقد ارتسمت ملامح الصدمة على وجهه، وأمسك بالمدينة المغروسة فيه، وعندئذٍ سالت الدماء، منبجسةً بدفقات متزامنة مع نبضات قلبه، وفغر فاه، لكن قبل أن يتمكن من قول شيء تهالك على ركبتيه. همس جانسن:

- أيها الـ...

واتسعت عيناه من الرعب، وهو يحدق إلى رفيقه. صُدم توماس بما فعله، وتسمّر في مكانه، لكنه استعاد رباطة جأشه عندما أدار جانسن رأسه لينظر إليه، فركض مسرعًا مبتعدًا عن الباحة، وانعطف عند زاوية المبنى، عائدًا إلى الفجوة التي في جدار المبنى.. كان عليه أن يعود إلى الداخل.

صاح جانسن:

- توماس! عُد إلى هنا! ليست لديك أدنى فكرة عما تفعله!

وسمع توماس وقع خطواته تلاحقه. لم يفكر توماس حتى في إبطاء سرعته، واجتاز الأجمة التي كان مختبئًا خلفها، وركض بأقصى سرعة نحو الفجوة التي في جدار المبنى. كان رجل وامرأة لا يزالان بالجوار، يقتعدان الأرض، ويستندان بظهريهما إلى بعضيهما بعضًا، وحالما رأيا توماس، نهضا مرتبكين.

صاح إليهما، وهما يهمان بطرح الأسئلة:

- أنا توماس! أنا إلى جانبكم!

تبادلًا نظرة، ثم التفتا إلى توماس، وهو ينزلق متوقفًا أمامهما. استدار لينظر خلفه لاهنًا، فرأى هيئة جانسن الشبحية على بُعد خمسين قدمًا تقريبًا تركض نحوهم.

قال الحارس:

- كانوا يبحثون عنك في كل مكان، ويُفترض أن تكون بالداخل!

وأشار بإصبعه نحو الفجوة.

قال توماس لاهنًا:

- أين الجميع؟ أين فينس؟

وفي أثناء حديثه أدرك أن جانسن لا يزال يلاحقه، فالتفت ليواجه الرجل الجرد، الذي كان وجهه متمعجًا بغضب غير طبيعي؛ تعابير سبق لتوماس أن رآها من قبل، الغضب الجنوني نفسه الذي رآه في نيوت.. كان الرجل الجرد مصابًا بالوهج.

تحدّث جانسن بين أنفاسه الثقيلة:

- هذا الفتى.. إحدى ملكيات.. وكِد... سلّماه لي.

لم يطرّف للمرأة جفن:

- وكِد لا تساوي قلامة ظفر بالنسبة إليّ أيها العجوز! أقترح عليك أن

تغرب عن وجوهنا، ولا أنصحك بالعودة إلى الداخل، فهناك أشياء سيئة

على وشك اللحاق بأصدقائك الذين بالداخل!

لم يُجب الرجل الجرد، وظل يلهث، وعيناه تتذبذبان بين توماس والآخرين،

وأخيراً بدأ يتقهقر ببطء قائلاً:

- إنكم لا تفهمون! عجرتكم التي تظنونها سُمّاً أخلاقياً سوف تعجّل

بنهاية كل شيء، أمل أن ترتاح ضمائرکم، وأنتم تتعفنون في الجحيم!

ثم استدار وركض مبتعداً، متلاشياً في العتمة.

سألت المرأة:

- ما الذي فعلته، فأغضبه هكذا؟!

كان توماس يحاول التقاط أنفاسه:

- القصة طويلة، عليّ أن أجد فينس، أو أيّاً كان الشخص المسؤول. وعليّ

أن أعرّ على أصدقائي.

أجاب الرجل:

- اهدأ يا فتى، الأوضاع هادئة نسبياً الآن، الجميع منتشرون، منشغلون

بالزرع، وأشياء كهذه.

سأل توماس:

- الزرع؟

- الزرع.

- وما الذي يعنيه هذا؟

- زرع المتفجرات أيها المغفل! سوف نسوّي المبنى بالأرض، لتعرف وكِد

أننا جادون في مسعانا!

مكتبة

t.me/soramnqraa

الفصل السادس والستون

اتضح كل شيء بجلاء لتوماس في هذه اللحظة، إذ كان فينس يتسم بتعصب لم يدركه توماس تمام الإدراك حتى الآن. مثلًا: الطريقة التي عاملت بها الذراع اليمنى توماس وأصدقاءه في الشاحنة المقفلة بعدما اختطفوهم عند البيرج، وأيضًا لماذا لديهم كل هذه المتفجرات، وليس معهم أسلحة تقليدية حقيقية؟! لا يبدو الأمر منطقيًا، إلا إذا كان هدفهم هو التدمير، وليس الاستيلاء، إذن فهدف الذراع اليمنى لا يتطابق مع هدف توماس. ربما يظنون أن دوافعهم سليمة، لكن توماس بدأ يدرك أن الجماعة تضع نُصب عينيها غاية سوداوية. كان عليه توخي الحذر، ولم يكن يهمه عندئذٍ إلا إنقاذ أصدقائه، وإطلاق سراح الآخرين الذين اختطفوا.

قاطع صوت المرأة أفكار توماس:

- إنك غارق في تفكير عميق لا قرار له!

- أجل... آسف، متى تعتقدون أنهم سوف يبدوون التفجير؟

- قريبًا على ما أعتقد، إنهم يزرعون منذ ساعات، ويريدونها أن تنفجر جميعها في وقت واحد، لكن لا أظن أنهم ماهرون إلى هذه الدرجة.

- ماذا عن جميع الناس الذين بالداخل؟ ماذا عن الذين جئنا لإنقاذهم؟!

نظر الاثنان إلى بعضهما بعضًا، ثم هذا أكتافهما.

- يأمل فينس أن يتمكن من إخراج الجميع.

- يأمل؟ ما الذي يعنيه هذا؟!

- أنه يأمل!

- عليّ أن أتحدث معه.

ما كان توماس يريدُه حقًا هو العثور على مينهو وبرندا. وبصرف النظر عما تعتمز الذراع اليمنى فعله، كان يعرف ما عليه فعله هو وأصدقائه؛ الذهاب إلى المتاهة، واصطحاب كل من فيها إلى الناقل المسطح.

أشارت المرأة إلى الفجوة التي في خاصرة المبنى قائلة:

- ثمة طريق من هنا إلى منطقة استولوا عليها بالكامل تقريبًا، ستجد فيها فينيس على الأرجح، لكن توخ الحذر، فحراس وكِد يختبئون في جميع أنحاء المبنى، وهم أوغاد في غاية الشراسة.

- شكرًا على التحذير.

استدار توماس متلهفًا للدخول، ولاحت الفجوة متجهمة له، وثمة ظلام مغبر بانتظاره بداخلها، وقد توقفت صافرات الإنذار، والأضواء الحمراء الوامضة. ولج عبر الفجوة، لم يرَ توماس، أو يسمع شيئًا في البداية، سار في صمت، محاذًا مما قد يفاجئه عند كل زاوية، وكانت الإضاءة تشتد سطوعًا كلما تقدم، وأخيرًا لمح بابًا مفتوحًا عند نهاية الرواق، فركض نحوه، وأطل برأسه، فرأى غرفة كبيرة بها طاولات متناثرة على الأرض، وموضوعة على جوانبها كأنها دروع، وعدة أشخاص يربضون خلفها.

كان الأشخاص يراقبون بابًا مزدوجًا كبيرًا على الجانب الآخر من الغرفة، ولم يلاحظ أحد وجود توماس، وهو يقف عند إطار الباب مُخبئًا معظم جسده عن الذين بالداخل، ثم اشرب بعنقه ليلقي نظرة أفضل، ولمح فينيس وجالي خلف إحدى الطاولات، لكنه لم يتعرف على أي أحد آخر. وهناك مكتب صغير على أقصى الجانب الأيسر من الغرفة، أمكنه الجزم بوجود تسعة أو عشرة أشخاص على الأقل بداخله، وحاول أن يرى، لكنه لم يتبين أي وجوه. همس بأعلى صوت واثته الجراءة على الهمس به:

- هنا! هنا! جالي!

التفت الفتى على الفور، لكنه جال ببصره لعدة ثوان قبل أن يلمح توماس، وضيق جالي عينيه كأنه يظن أنهما تخدعانه. لوَح توماس ليتأكد أنه رآه، فأشار له جالي بالقدوم. نظر توماس فيما حوله مجددًا ليتأكد أن الوضع آمن، ثم انحنى وركض نحو الطاولة، وانخفض على الأرض جوار عدوه القديم. وكانت الأسئلة التي تراوده من الكثرة بحيث لم يعرف من أين يبدأ.

سأله جالي:

- ماذا حدث؟ ما الذي فعلوه بك؟

حدجه فينس بنظرة صارمة، لكنه لم يقل أي شيء.

لم يعرف توماس كيف يجيب:

- لقد... أجروا بعض الفحوص. اسمعوا، وجدت المكان الذي يخبئون فيه أصحاب المناعة، فعليكم ألا تفجروا المكان قبل أن نخرجهم.

قال فينس:

- اذهب لإخراجهم إذن، أمامنا فرصة واحدة هنا، ولا أريد إهدارها.

- أنت جلبت بعض أولئك الناس إلى هنا!

نظر توماس إلى جالي ملتصمًا المؤازرة، لكنه لم يجد منه استجابة سوى هزة كتف. وجد توماس نفسه وحده. سأل:

- أين برندا ومينهو، والجميع؟

أوما جالي نحو الغرفة الجانبية:

- جميعهم هناك، قالوا إنهم لن يحركوا ساكنًا حتى تعود.

أحس توماس فجأة بالأسف على الفتى الذي تغطيه الندوب إلى جواره، وقال له:

- تعال معي يا جالي، دع هؤلاء الناس يفعلون أيًا ما يريدون فعله، لكن تعال وساعدنا. ألا تتمنى لو أن أحدًا ساعدنا عندما كنا في المتاهة؟

التفت فينس نحوهما التفاتة حادة، وزمجر:

- إياك أن تفكر مجرد تفكير! توماس، كنت تعرف أهدافنا عندما جئت إلى هنا، وإذا تخليت عنا الآن، فسأعدك خائنًا، وستكون هدفًا!

أبقى توماس تركيزه على جالي، ورأى حزنًا في عيني الفتى انفطر له قلبه، كما رأى فيهما شيئًا لم يره من قبل؛ الثقة.. الثقة الصادقة.

قال توماس:

- تعال معنا.

ارتسمت ابتسامة على وجه عدوه القديم، وأجاب إجابة ما كان توماس ليتوقعها أبدًا:
- حسنًا.

لم ينتظر توماس ردة فعل فينس، وأخذ بذراع جالي، وأسرعًا معًا مبتعدين عن الطاولة، ثم ركضا إلى المكتب، وانسلًا بداخله. هرع مينهو إليه أولًا، فعانقه عناق دبية، وجالي يقف إلى جانبهما يشاهد مُحَرَجًا، ثم كان هناك الآخرون؛ برندا وخورخي وتيريسا وحتى أريس، وكاد توماس يشعر بالدوار من التبادل السريع للأحضان، وكلمات الترحيب والتعبير عن الارتياح، وكان مبتهجًا على نحو خاص برؤية برندا، واحتضنها مدة أطول مقارنة بالآخرين، لكن رغم الإحساس الرائع، كان يعلم أنهما ليس أمامهما وقت لهذا.
ابتعد عنها قائلاً:

- لا أستطيع شرح كل شيء الآن، علينا العثور على أصحاب المناعة الذين اختطفتهم وكِد، ثم نعثر على الناقل المسطح السري الذي علمت بشأنه. وعلينا الإسراع قبل أن تفجر الذراع اليمنى هذا المكان.
سألت برندا:

- أين أصحاب المناعة؟

وأردف مينهو:

- أجل، وما الذي علمت بشأنه؟

لم يخطر لتوماس قط أنه سيقول ما يوشك على قوله:

- علينا العودة إلى المتاهة.

الفصل السابع والستون

أُطْلِعَهُم توماس على الرسالة التي وجدها جواره في غرفة التعافي، ولم تمر سوى بضع لحظات ليتفقوا جميعهم -حتى تيريسا وجالي- على التخلي عن الذراع اليمنى، ويشقوا طريقهم وحدهم.. طريقهم نحو المتاهة. نظرت برندا إلى خريطة توماس، وقالت إنها تعرف طريق الوصول إلى المتاهة، وأعطته مدية، فأمسك بها بقوة، متسائلاً عما إذا ستوقف نجاته على شفرة رفيعة واحدة. انسلوا من الغرفة الجانبية، واتجهوا نحو الباب المزدوج، بينما فينس والآخرين يزعقون بهم، وينعتونهم بالجنون، ويقولون لهم إنهم سيلقون حتفهم في غضون دقائق، وضرب توماس بكلامهم عُرض الحائط.

كان الباب لا يزال موارباً، فدخل توماس عبره أولاً، وانخفض مستعداً لأي هجوم، لكنه وجد الصالة خالية، ثم تبعه الآخرون، وقرر أن يفضل السرعة على الحذر، فركض عبر أول رواق طويل. جعلت الأضواء الكئيبة المكان يبدو كأنه مسكون، كما لو أن أرواح جميع الذين قتلتهم وكذا ما زالت تجوس متربصة في كل ركن وتجويف، لكن توماس أحس أنها إلى جانبه.

كانت برندا تشير إلى الاتجاهات التي عليهم أن يسلكوها، انعطفوا عند زاوية، وهبطوا سلالم، وسلكوا طريقاً مختصرة عبر غرفة تخزين قديمة، وساروا عبر رواق طويل آخر، وهبطوا المزيد من السلالم، وانعطفوا يمينا ثم يساراً. حافظ توماس على إيقاع سريع، ماسحاً محيطه باستمرار تحسباً لأي خطر. لم يببطئ سرعته، ولم يتوقف لالتقاط أنفاسه، ولم يشك في إرشادات برندا قط. صار عداءً مجدداً، ورغم كل شيء، راوده إحساس رائع.

اقتربوا من نهاية أحد الأروقة، وانعطفوا يمينا، وما كاد توماس يخطو أكثر من ثلاث خطوات حتى هاجمه شخص من حيث لا يدري، وأمسك بكتفيه، وألقاه على الأرض. سقط توماس، وتدحرج دافعاً الشخص عنه، وسمع

صیحات وأصوات عراك قادمة من الآخرين، كان المكان مظلمًا، وبالكَاد يرى الشخص الذي يعاركه، لكنه لكم وركل، وطوَّح بمديته، وأحس بها تلامس شيئًا وتمزقه، فصرخت امرأة، ثم هوت قبضة على خده الأيمن، وارتطم شيء صلب بأعلى فخذِه. توقف توماس ليستعد للانقضاض، ثم اندفع بكامل قوته، فارتطمت مهاجمته بالجدار، ثم قفزت فوقه مجددًا، فتدحرجا واصطدما باثنين آخرين يتصارعان. وجَّه كامل تركيزه على إحكام قبضته على المديّة، وظل يطوح بها، لكن التصاقه بالمعتدية عليه صعب المهمة، فوجَّه لكمة إلى أسفل ذقن مهاجمته، ثم استغل لحظة ارتباكها بغرس مديته في معدتها، فانطلقت صرخة أخرى من مهاجمته، فدفعها بعيدًا عنه للأبد.

وقف توماس، ونظر فيما حوله بحثًا عن يمكنه مساعدته، فرأى في الضوء الشحيح مينهو يعتلي رجلًا، ويكيل له الضربات، ولم يكن الرجل يبدي أي مقاومة، ورأى برندا وخورخي قد اجتمعا على حارس آخر، وحالما نظر توماس نهض الرجل وجلاً على قدميه، ولانذ بالفرار، ثم رأى تيريسا وهارييت وأريس يتكئون على جدار يلتقطون أنفاسهم. جميعهم نجوا، وعليهم أن يركضوا.

صاح:

- هيا! اتركه يا مينهو!

سدد صديقه لكَمتين إضافيتين كعلاوة، ثم نهض، وركله ركلة أخيرة قائلاً:

- انتهيت، يمكننا الذهاب.

انعطفت المجموعة، وتابعت الركض.

ركضوا هابطين مجموعة طويلة أخرى من السلالم، وتعثروا واحدًا تلو الآخر عند الغرفة التي بالأسفل، وتسمَّر توماس من الصدمة عندما أدرك المكان الذين هم فيه. كانت الغرفة التي بها حاويات الهوام؛ الغرفة التي وجدوا أنفسهم فيها بعدما هربوا من المتاهة. كانت نوافذ غرفة المراقبة لا تزال مهشمة، وشظايا الزجاج متناثرة على الأرض. والحاويات المستطيلة حيث كانت الهوام تستريح وتشحن بالكهرباء، بدت كأنها ظلت مغلقة منذ

خروج أفراد الجلايد قبل أسابيع. وأعتمت طبقة غبار الأسطح التي كانت لامعة في آخر مرة رآها توماس. وعرف أنه بوصفه عضوًا سابقًا في وِكد قد أمضى ساعات وأيامًا لا تحصى في هذا المكان في أثناء عملهم على إنشاء المتاهة، وأحس بالخزي يعتريه مجددًا.

أشارت برندا إلى السلم الذي يقود إلى المكان الذي ينبغي لهم التوجه إليه، وارتعد توماس عندما تذكر عبورهم منحدر الهوام اللزج في أثناء هروبهم، كان بإمكانهم تسلُّق السلم هبوطًا.

سأل مينهو:

- لماذا لا يوجد أي أحد هنا؟ لماذا لا يوجد حراس في حال احتجازهم للناس هنا؟!

ودار حول نفسه متفحصًا المكان.

فكر توماس بما قاله:

- من يحتاج إلى جنود لإبقائهم بالداخل والمتاهة تؤدي عملها؟ استغرقنا وقتًا طويلًا بما يكفي لنجد مخرجًا.

قال مينهو:

- لا أدري، ثمة شيء مريب في الأمر!

هز توماس كتفيه:

- حسنًا، لا جدوى من البقاء هنا، وما لم يكن لديك شيء مفيد، فلنصعد ونبدأ في إخراجهم.

ردد مينهو:

- مفيد؟ ليس لدي شيء.

- فلنذهب صعودًا إذن.

تسلق توماس السلم، وسحب نفسه إلى غرفة أخرى مألوفة؛ الغرفة التي بها الأجهزة، حيث أدخل الرمز المطلوب لتعطيل الهوام. كان تشاك هناك،

وكان مرعوبًا، لكنه شجاع، ولم تمض ساعة بعد ذلك، وكان ميتًا. وامتلاً صدر توماس مرة أخرى بألم فقد صديقه.

غمغم مينهو:

- ما أحلى العودة إلى الديار!

مشيرًا إلى الفجوة المستديرة فوقهم؛ الفجوة التي تفضي إلى الجرف، التي كانت مخفية في الماضي عندما كانت المتاهة نشطة، باستخدام تكنولوجيا التصوير المجسم لجعلها تبدو جزءًا من السماء المزيفة التي لا نهاية لها خلف الحافة الصخرية للمنحدر. أُوقِف كل شيء الآن بالطبع، وكان توماس يرى جدران المتاهة عبر الفتحة التي وُضع تحتها سلم متنقل.

قالت تيريسا، وهي تتحرك لتقف جوار توماس:

- لا أصدق أننا عدنا إلى هنا!

كان صوتها ملتاغًا عكس ما يشعر به توماس بداخله. ولسبب ما، بهذا التصريح البسيط، أدرك توماس أنه بوقوفه معها في ذلك المكان قد جمعتهما أخيرًا أرضية مشتركة. كلاهما يحاول إنقاذ أرواح، وكلاهما يحاول التعويض عما اقترفاه بالمساعدة في بدء كل شيء. أراد أن يصدق هذا بكل ذرة من كيانه.

التفت لينظر إليها قائلاً:

- جنون، صحيح؟

ابتسمت لأول مرة منذ... لم يستطع توماس أن يتذكر، وقالت:

- جنون!

كان هناك الكثير جدًا مما لا يتذكره توماس؛ عنه وعنهما، لكنها جواره، وتساعد، وهذا أقصى ما يطلبه.

سألت برندا:

- أليس من الأفضل أن نصعد إلى هناك؟

أوماً توماس.

- بلى، من الأفضل.

كان آخر الصاعدين. بعدما تسلق الآخرون، تسلق السلم، ودفع نفسه إلى فوق حافة الفجوة، ثم سار على لوحين وُضعا ليصلا بين الفجوة وأرضية المتاهة الصخرية عند حافة الجرف. واندھش بالمنطقة السوداء التي كانت تبدو دائماً كهوّة سحيقة لا قرار لها، ثم رفع بصره إلى المتاهة، واضطر إلى التوقف ليستوعب ما يراه، حيث كانت السماء تسطع بلون أزرق مشرق، اتضح له أنه مجرد سقف رماديّ باهت. وأوقفت تقنية التصوير المجسم على جانب الجرف، فتحول المشهد الذي كان يسبب الدوار إلى جص أسود بسيط، لكن رؤية الجدران العملاقة المغطاة باللبلاب الممتدة من الجرف، أخذت أنفاسه، فهذه منتصبة دون الاستعانة بالإيهام، والآن تشمخ فوقه كأعمدة صخرية من زمن غابر، خضراء ورمادية، وتكسوها الشقوق، كأنها ستظل راسخة في مكانها لألف سنة قادمة، كشواهد قبور تشير إلى موت الكثيرين.

ها قد عاد توماس...

الفصل الثامن والستون

ركض مينهو في الطليعة هذه المرة، بكتفين منتصبين، وكل جزء في جسده ينضح بفخره بالعامين اللذين كان خلالهما سيِّدًا على دهاليز المتاهة. وكان توماس في أعقابه، يشرب بعنقه ليرى جدران اللبلاب الشامخة بمهابة نحو السقف الرماديّ. كان شعورًا غريبًا أن يعودوا إلى المتاهة بعد كل ما مروا به منذ هروبهم. لم يتكلموا كثيرًا في أثناء ركضهم نحو الجلايد. وتساءل توماس عن انطباع برندا وخورخي عن الجلايد، إذ كان يعلم أنه يبدو ضخماً، ولن تستطيع أي خنفساء معدنية أن تعكس حجمًا كهذا إلى غرف المراقبة. ولم يسعه سوى تخيل جميع الذكريات السيئة، وهي تتلاطم في دماغ جالي. انعطفوا عند الزاوية الأخيرة التي تؤدي إلى الدهليز العريض خارج باب الجلايد الشرقي، وعندما وصل توماس إلى قسم الجدار الذي قيّد فيه ألبي عاليًا بين اللبلاب، نظر إلى المكان، ورأى الأغصان الممزقة المتشابكة، وبعد كل ذلك المجهود لإنقاذ قائد أفراد الجلايد، شهد موته بعد أيام قلائل، ولم يكن عقله قد تعافى تمامًا من التحول. أحس توماس بفورة غضب كأن سائلًا يغلي في عروقه. بلغوا الفجوة الكبيرة في الجدران التي تمثل الباب الشرقيّ، فأبطأ توماس سرعته، والتقط أنفاسه. كان هناك مئات الناس يجوبون في الجلايد، وارتعب لمرأى بضعة رُضع وأطفال صغار متناثرين بين الحشد، ومضت لحظة قبل أن تنتشر الهمهمات بين حشود أصحاب المناعة، لكن في غضون ثوانٍ سلّطت جميع الأعين على القادمين الجدد، وخيم على الجلايد صمت مطبق.

سأل مينهو توماس:

- هل كنت تعرف أنهم بهذه الكثرة؟

كان الناس في كل مكان، قطعًا أكثر من أعداد أفراد الجلايد في أي وقت مضى، لكن ما عقد لسان توماس كان مرأى الجلايد نفسه مجددًا؛ المبنى المتضعع الذي يسمونه بيت المزرعة، ومجموعة الأشجار البائسة، وبيت الدم، والحقول التي لم يعد فيها سوى أعشاب متيبسة، وغرفة الخرائط المتفحمة التي اسودَّ بابها المعدني، ولا يزال مواربًا، حتى إنه كان يرى الزنزانة من حيث يقف، وماجت المشاعر المختلفة بداخله.

قال مينهو، وهو يفرقع أصابعه:

- أنت، أيها الشارد، سألتك سؤالًا!

- ها؟ آه... كثيرون، إنهم يجعلون المكان يبدو أصغر من حجمه عندما كنا هنا.

لم يمضِ وقت طويل قبل أن يلمحهم أصدقاؤهم؛ السيد طاسة، وكلينت الطبيجي، وسونيا، ويضع فتيات أخريات من المجموعة (ب)، جميعهم جاؤوا ركضًا، فثارت موجة من الترحيب الحار والعناقات.

ضرب السيد طاسة توماس على ذراعه:

- هل تصدق أنهم أعادوني إلى هذا المكان؟ حتى إنهم لا يسمحون لي بالطبخ، ويكتفون بإرسال كمية من الطعام المعبأ عبر الصندوق ثلاث مرات في اليوم، حتى إن المطبخ لا يعمل؛ لا كهرباء، لا شيء!

ضحك توماس، وقد خفَّ غضبه:

- أتعتقد أنك كنت طاهيًا رديئًا لخمسين شخصًا؟ حاول إطعام هذا الجيش!

- طريف يا توماس، إنك طريف! سررت برؤيتك.

ثم اتسعت عيناه:

- جالي؟ جالي هنا؟ جالي حي؟!

أجاب الفتى بجفاء:

- سررت برؤيتك أيضًا.

رَبَّتْ توماس على ظهر السيد طاسة:

- القصة طويلة، إنه فتى صالح الآن.

أصدر جالي صوتًا متهكمًا، لكنه لم يرد.

اقترب مينهو منهم قائلاً:

- طيب، انتهت اللحظات الجميلة، كيف سنؤدي هذه المهمة يا صاح؟

قال توماس:

- لن تكون صعبة جدًا.

في الحقيقة كان ممتعضًا من فكرة محاولة إخراج جميع أولئك الناس ليس عبر المتاهة نفسها فحسب، بل وأيضًا عبر الطريق الطويلة التي تمر بمجمع وكِد إلى الناقل المسطح، لكنها مهمة لا مناص منها.

قال مينهو:

- لا تقل لي هذا الهراء، عينك لا تكذبان!

ابتسم توماس:

- حسنًا، لكن قطعًا معنا الكثير من الناس ليقاتلوا معنا.

سأله مينهو شاعرًا بالاشمئزاز:

- هل نظرت إلى هؤلاء الواهين المساكين؟ نصفهم أصغر منا، والنصف الآخر لا يبدون أنهم خاضوا أتفه شجار من قبل!

أجاب توماس:

- أحيانًا لا يهم شيء سوى العدد.

لمح تيريسا وناداهها، ثم وجد برندا.

سألت تيريسا:

- ما الخطة؟

إذا كانت تيريسا في صفهم حقًا، فقد حان وقت احتياج توماس إليها، وإلى جميع الذكريات التي استعادتها.

قال مخاطبًا الجميع:

- اسمعوا، فلنقسمهم إلى مجموعات، لا بد أنهم أربعمئة أو خمسمئة شخص، إذن مجموعات مكونة من خمسين شخصًا، ثم يتولى قيادتهم فرد جلايد، أو إحدى فتيات المجموعة (ب). تيريسا، هل تعرفين كيفية الوصول إلى غرفة الصيانة التي تحدثنا عنها؟

عرض عليها الخريطة، وأومات بعدما أمعنت النظر فيها.

تابع توماس:

- إذن سوف أساعد في تحريك الناس، بينما أنت وبرندا تتوليان المقدمة، وعلى كل واحد منا قيادة إحدى المجموعات، ما عدا مينهو وخورخي وجالي، أظن أن عليكم مراقبة المؤخرة يا رفاق.

قال مينهو، وهو يهز كتفيه، والملل بارٍ عليه:

- يناسبني هذا.

وأردف خورخي:

- كما تريد يا فتى.

واكتفى جالي بإيماءة.

أمضوا العشرين دقيقة التالية في تقسيم المجموعات وترتيبهم في صفوف طويلة، وأولوا اهتمامًا خاصًا بجعل المجموعات متقاربة من حيث السن والقوة. ولم يمانع أصحاب المناعة الانصياع للأوامر حالما أدركوا أن القادمين الجدد قد جاؤوا لإنقاذهم. وبعدها انتظمت المجموعات، وقف توماس وأصدقائه أمام الباب الشرقي، ولوّح توماس بيديه ليلفت انتباه الجميع. بدأ توماس حديثه:

- اسمعوا! تخطط وكد لاستغلال أجسادكم وأدمغتكم في أغراض علمية، وقد ظلوا يدرسون الناس لسنوات، ليجمعوا البيانات من أجل تطوير علاج للوهج. والآن يريدون استغلالكم أنتم أيضًا، لكنكم تستحقون حياة أفضل من حياة فئران التجارب. وكما نعلم جميعنا أنكم المستقبل، ولن يأتي أي مستقبل بالطريقة التي تريدها وكد، ولهذا نحن هنا، لإخراجكم من هذا المكان. سنمر عبر عدة مبانٍ لنجد ناقلًا مسطحًا سيأخذنا إلى

مكان آمن. وسوف يتعيّن علينا القتال إذا هُوجِمنا، فليبقَ كل واحد مع مجموعته، وعلى الأقوياء منكم فعل كل ما تتطلبه حماية الـ...
قوِطعت كلمات توماس الأخيرة بصوت تصدُّع عنيف، كصوت تشظي صخور، ثم هدأ كل شيء، ولم يتردد سوى الصدى بين الجدران الضخمة.
صاح مينهو باحثًا في السماء عن مصدر الصوت:

- ما هذا؟

وجال توماس بعينه في الجلايد، فوجد جدران المتاهة لا تزال منتصبّة، ولم يتحرك شيء من مكانه. وكان يهم بالكلام عندما انبعث صوت تصدُّع آخر، ثم تلاه آخر، وعمّ الجلايد هزيم مُرعد، بدأ خافتًا، ثم ازداد عمقًا وضجيجًا، وبدأت الأرض تهتز كأن العالم على وشك التداعي.

دار الناس حول أنفسهم باحثين عن مصدر الضجيج، ورأى توماس أن الذعر قد بدأ يتفشى بينهم، وأنه سيفقد السيطرة عما قريب، وازداد عنف اهتزاز الأرض، وتضخمت الأصوات، كأنها مزيج من قصف الرعد واحتكاك الصخور، واندلعت الصرخات وسط حشد الناس الذين يقفون أمامه.

ثم أدرك توماس فجأة:

- المتفجرات!

صاح مينهو به:

- ماذا؟!

نظر توماس إلى صديقه قائلاً:

- الذراع اليمنى!

اهتز الجلايد إثر هدير يصرم الأذان، فاستدار توماس، ونظر إلى الأعلى، فرأى جزءًا ضخماً من الجدار الذي إلى يسار الباب الشرقيّ قد تحطم وتطايرت قطع ضخمة من الصخور في كل الاتجاهات، وحلّقت فوقهم صخرة ضخمة بزواوية مستحيلة، ثم هوت نحو الأرض.

لم يتسنّ الوقت لتوماس ليصيح محدّراً قبل أن تسقط على مجموعة من الناس، فتسحقهم، وهي تنشطر، فظل واقفاً في مكانه لوهلة مشدوهاً، والدم ينز من حواف الصخرة مكوّناً بحيرة على الأرضية الحجرية.

الفصل التاسع والستون

صرخ الجرحى، وكوّن دوي الانفجارات المكتومة مع تصدّع الصخور مزيجًا مروّعًا من الأصوات، والأرض تتزلزل تحت أقدام توماس. بدأت المتاهة تتداعى حولهم، ووجب عليهم الخروج.

زعى توماس بسونيا:

- اركضي!

لم تتردد، فاستدارت واختفت في دهاليز المتاهة، والذين يقفون في صفها لم يكونوا بحاجة إلى أمر ليتبعوها.

تعثر توماس، ثم استعاد توازنه، وركض إلى مينهو قائلاً:

- رافق المؤخرة! أنا وتيريسا وبرندا علينا بلوغ مقدمة المجموعة!

أوما مينهو، ودفعه ليحثه على الذهاب، نظر توماس إلى الخلف، فرأى بيت المزرعة ينفلق من منتصفه مثل جوزة، ونصف بنائه ينهار على الأرض وسط غيمة من شظايا الخشب والغبار، وانتقلت نظراته إلى غرفة الخرائط، فرأى جدرانها الخرسانية تتهالك. لم يكُن أمامه وقت يضيعه، بحث في خضم الفوضى حتى وجد تيريسا، فأمسك بصديقه القديمة، وتبعته إلى الفجوة المؤدية إلى المتاهة، وكانت برندا هناك، تبذل قصارى جهدها مع خورخي لتنظيم عبور الجميع حتى لا يتسببوا في تدافع واختناق قد يقتل نصفهم. انبعث صوت تصدّع آخر من الأعلى، فرفع توماس بصره، ورأى قسماً من الجدار يسقط جوار الحقول، وانفجر عندما ارتطم بالأرض، ولحسن الحظ لم يكُن أحد تحته. ثم أدرك، وقد داهمته موجة رعب، أن السقف نفسه سوف ينهار في النهاية. زعقت برندا به:

- اذهب! إنني خلفك مباشرة!

أمسكت تيريسا بذراعه، وسحبته للأمام، وركض ثلاثتهم متجاوزين حافة الباب اليسرى المسننة، وولجوا المتاهة، شاقين طريقًا متعرجة بين حشود الناس الراكضين في الاتجاه نفسه. واضطر توماس إلى العدو بسرعة ليلحق بسونيا، ولم تُكن لديه فكرة عما إذا كانت عداءة في متاهة المجموعة (ب)، أو عما إذا ستتذكر تفاصيل المتاهة جيدًا كما يتذكرها هو، هذا إذا كانت المتاهتان متشابهتين في المقام الأول.

استمر اهتزاز الأرض وارتجاجها إثر كل انفجار قادم من بعيد، وكان الناس يتخبطون يمينًا ويسارًا، ويسقطون، ويعادون النهوض، ويتابعون الركض، وتوماس يراوغ وينحني في أثناء ركضه. استمر تساقط الصخور من الجدران، وشاهد صخرة ترتطم برأس رجل، وتُسقطه على الأرض، فانحنى الناس على جسده الهامد محاولين رفعه، لكن الدماء كانت من الغزارة بحيث تأكد توماس أن الأوان قد فات.

وصل توماس إلى سونيا، وتجاوزها، قائدًا الجميع عبر منعطف تلو منعطف. كان يعرف أنهم يقربون، ولم يسعه سوى أن يأمل في أن المتاهة هي أول مكان يتضرر، وأن باقي مباني المجمع ما زالت سليمة، وأنهم لا يزال أمامهم متسع من الوقت إذا تمكنوا من الخروج. نتأت الأرض من تحتهم فجأة، ووخز الهواء صوت تصدع يصم الأذان، فانكبَّ توماس على وجهه، ثم نهض وجِلا، ورأى على بُعد نحو مئة قدم أمامه قسما من الأرض المرصوفة بالحجر قد تحرك للأمام، وفي أثناء مشاهدته انفجر نصفه، فأمطر حجارةً وغبارًا في كل الاتجاهات. لم يتوقف، إذ كان هناك ممر ضيق بين الجدار والأرض الناتئة، وركض عبره، وفي أعقابه تيريسا وبرندا، لكنه كان يعلم أن الممر الضيق سوف يبطئ تحرك المجموعة؛ صاح ملتفتًا:

- أسرعوا!

وأبطأ سرعته ليرى ما يحدث خلفه، فوجد اليأس في أعين الجميع.

عبرت سونيا الفجوة، ثم توقفت لتساعد الآخرين على العبور، ممسكةً بالأيدي، جاذبة ودافعة. كانوا يعبرون بسرعة أكبر مما كان يأمل توماس، وتابع الركض نحو الجرف بأقصى سرعة. شق طريقه عبر المتاهة. العالم يهتز، والجدران تتقوّض لافظةً صخورها حولهم، والناس يصرخون ويكون،

ولم يكن ثمة ما يمكنه فعله سوى قيادة الناجين للأمام. انعطفوا يسارًا ثم يمينًا، ثم يمينًا مرة أخرى، ثم بلغوا الدهليز الطويل الذي يفضي إلى الجرف، وخلف حافته رأى توماس السقف الرماديّ ينتهي عند جدران سوداء، ورأى فجوة المخرج المستديرة، وصدعًا ضخمًا على امتداد ما كان سماء زائفة ذات يوم. التفت إلى سونيا والآخرين:

- أسرعوا! تحركوا!

وفي أثناء اقترابهم رأى توماس الرعب مجسدًا؛ وجوه شاحبة شوّها الخوف، أناس يتجدلون على الأرض، ثم ينهضون، ورأى صبيًا لا تتجاوز سنه العشر سنوات يكاد يجر امرأة حتى وقفت على قدميها، وهوت صخرة بحجم سيارة صغيرة من أعلى الجدار، وارتطمت برجل أكبر سنًا، فأطاحت به عدة ياردات قبل أن يتهالك على الأرض متكومًا. ملأ الرعب توماس، لكنه واصل الركض، وهو يزعق طوال الوقت مشجعًا جميع من حوله. بلغوا الجرف أخيرًا، ووجدوا اللوحين ثابتين في مكانهما، أشارت سونيا لتيريسا بأن تعبر الجسر المؤقت، وتدخل عبر فجوة الهوام القديمة. ثم عبرت برندا، وصف من الناس في أعقابها.

انتظر توماس على حافة الجرف، وراح يلوح حائثًا الناس على التحرك. كان عملاً مضمينًا لا يكاد يطاق أن يرى الناس يشقون طريقهم خارجين من المتاهة ببطء، بينما المكان بأكمله يبدو على وشك الانهيار على نفسه في أي لحظة. ركضوا واحدًا تلو الآخر عبر اللوحين، ونزلوا في الفجوة. وتساءل توماس عما إذا كانت تيريسا توجههم ليهبطوا عبر المنزلق بدلًا من السلم لتسريع العملية.

صاحت سونيا بتوماس:

- اذهب أنت! ينبغي أن يعرفوا ما عليهم فعله حالما يهبطون.

أوماً توماس، رغم أنه سيشعر بالخزي إثر زهابه، فقد مر بالتجربة نفسها عند هروبه أول مرة، عندما ترك أفراد الجلايد ليقاتلوا، وذهب لإدخال الرمز، لكنه كان يعرف أن سونيا محقة. ألقى نظرة أخيرة على المتاهة التي ترتج وتتساقط كتل من سقفها المتضعع، وتنتأ الحجارة من أرضيتها التي كانت ملساء ذات يوم، ولم يدر كيف سيتمكنون جميعهم من الوصول، وتألّم قلبه

على مينهو والسيد طاسة والآخرين. دسّ نفسه في تيار الناس، وعبر اللوحين إلى الفجوة، ثم حاد عن الحشد عند المنزلق، وركض إلى السلم، وهبط بأسرع ما يمكنه، وغمره الارتياح بالأسفل عدما رأى أن الأضرار لم تلحق بهذا القسم بعد. وكانت تيريسا تساعد الناس على النهوض بعد هبوطهم، وتخبرهم بالاتجاه الذي ينبغي لهم التوجه إليه.

صاح قائلاً لها:

- اتركي لي هذا! اذهبي إلى المقدمة!

وأشار إلى الباب المزدوج.

وكانت تهم بإجابته عندما وقع بصرها على شيء وراء توماس، واتسعت عيناها من الخوف، فاستدار توماس؛ كانت عدة حاويات هوام مغبرة تنفتح، ونصفها العلويان يرتفعان للأعلى على مفاصلها كأنها أغطية نعوش.

الفصل السابع

صاحت تيريسا:

- استمع إلي!

وأمسكت به من كتفيه وأدارته لتنظر إلى وجهه، وأشارت إلى أقرب حاوية:
- يوجد بالقرب من ذيول الهوام ما سمّاه المؤسسون بالسبطانة، بداخل الشحم، هناك مفتاح على شكل مقبض، عليك إدخال يدك عبر الجلد، وسحبه للخارج، إذا سحبه ستموت هذه الأشياء.

أوماً توماس:

- حسنًا، وأصلي إخراج الناس!

استمر ارتفاع أعطية الحاويات، وتوماس يركض إلى أقربها إليه، وكان الغطاء قد بلغ منتصفه عندما وصل إليه، جاهد لينظر بالداخل، فرأى جسد الهامة الضخم الشبيه بالبزاقة يرتعش ويتلوى، ويمتص الرطوبة والوقود عبر أنابيب موصلة إلى جانبه. ركض توماس إلى الطرف البعيد، ورفع نفسه على حافة الحاوية، ثم تمدد وانحنى على الهامة التي بالداخل، وأقحم يده عبر الجلد الرطب ليبحث عما وصفته تيريسا، راح يلهث من المجهود، ودفع يده حتى عثر على مقبض صلب، فجذبه بكل ما يملك من قوة، فتمزق الشيء بأكمله، واستحالت الهامة كتلةً من الهلام الهامد في قاع الحاوية. ألقى المقبض على الأرض، وركض إلى الحاوية التالية التي كان غطاؤها ينخفض نحو الأرض، ولم يستغرق سوى بضع ثوانٍ ليرفع نفسه إلى جانب الحاوية، ثم أقحم يده في اللحم الدهني، وأخرج المقبض.

وفي أثناء ركض توماس إلى الحاوية التالية، تجاسر على إلقاء نظرة سريعة للأعلى نحو تيريسا، فكانت لا تزال تساعد الناس لينهضوا من الأرض

بعد هبوطهم عبر المنزلق، وتوجَّههم نحو الباب. كانوا يتدفقون بسرعة، ويهبطون فوق بعضهم بعضًا. ظهرت سونيا، ثم السيد طاسة، ثم جالي، حتى مينهو جاء محلِّقًا في أثناء مشاهدة توماس، الذي كان عندئذٍ عند الحاوية، وقد انفتح غطاؤها بالكامل، والأنابيب التي تصل بين الهامة والوعاء تنفصل تبعًا. جذب نفسه فوق الحافة، وأقحم يده في جلد الشيء، وخلع المقبض.

هبط توماس على الأرض، واستدار إلى الحاوية الرابعة، لكن الهامة بدأت تتحرك، وجزؤها الأمامي ينزلق فوق حافة الحاوية المفتوحة، والزوائد تنبثق من جلدها لتعينها على المناورة، وصل توماس إليها في آخر لحظة، فقفز ورفع نفسه فوق حافة الحاوية، وغرس يده داخل الجلد الشحيم، وأمسك بالمقبض، فاندفعت نحو رأسه شفرتان على شكل مقص، لكنه انحنى، وهو يقتلع المقبض من جسد المخلوق، فهدم، وأعادته كتلته إلى الوعاء الشبيه بالنعش.

عرف توماس أن الأوان قد فات على إيقاف الهامة الأخيرة قبل خروجها من الحاوية، والتفت إليها ليقمِّم الوضع، فرأى جسدها بأكمله يندلق على الأرض، وقد شرعت في مسح المكان بأداة مراقبة صغيرة ناتئة من مقدمتها، ومن ثم، كما رأى الهوام تفعل مرات عديدة من قبل، تكوَّر المخلوق، وانبثقت المسامير من جلده، ثم تدحرج للأمام، وصوت طنين هادر ينبعث من الآلات التي في بطنه، فتطايرت شظايا الخرسانة في الهواء ومسامير الهامة تهرس الأرض، وظل توماس، بلا حول ولا حيلة، يشاهدها، وهي تقتحم مجموعة صغيرة من الناس الذين هبطوا للتو عبر المنزلق. امتدت الشفرات، ومزقت عدة أشخاص قبل أن يدركوا ما يجري حولهم.

نظر توماس فيما حوله، باحثًا عن أي شيء يمكنه استخدامه سلاحًا، ورأى ماسورة بطول ذراعه تقريبًا قد سقطت من شيء في السقف، فركض نحوها والتقطها، وعندما استدار إلى الهامة، رأى مينهو قد انبرى لها، وراح يركلها بشراسة تكاد تكون مرعبة. هاجم توماس الوحش، زاعقًا بالآخرين ليبتعدوا، فاستدارت الهامة نحوه كأنها سمعت الأمر، وتراجعت مستندةً إلى جزئها الخلفي الشحيم، وانبثقت زائدتان من جانبيها، فتوقف توماس منزلقًا. ظهرت

ذراع معدنية جديدة، وهي تطن بمنشار دوّار، إلى جانب كماشة بشعة تنتهي أطرافها الأربعة بشفرات.

صاح توماس:

- مينهو، دعني أشتت انتباهها! أخرج الجميع من هنا، واطلب من برندا قيادتهم إلى غرفة الصيانة!

في أثناء كلامه رأى رجلاً يحاول الزحف مبتعداً عن طريق الهامة، وقبل أن يتمكن الرجل من الابتعاد بضع أقدام، انطلق من المخلوق قضيب، وانغرس في صدره، فتهالك على الأرض، وهو يطفح دمًا. ركض توماس نحو الهامة رافعًا ماسورته، مستعدًا لضرب الزوائد ليجد طريقه إلى المقبض، وعندما أوشك على الوصول إليها انطلقت تيريسا من يمينه، وألقت بجسدها على الهامة، فتكوّرت على الفور، وتقلصت أذرعها المعدنية لتضغط على تيريسا.

صرخ توماس:

- تيريسا!

وأبطأ سرعته، ولم يعد واثقًا بما عليه فعله. تلوّت تيريسا لتتنظر إليه قائلة:

- اذهب! أخرجهم من هنا!

وبدأت تركز وتنهش، واختفت يداها في كتلة الدهون، وبدا أنها نجت من أي إصابة خطيرة حتى الآن. اقترب توماس قليلاً، مُحكِّمًا قبضته على الماسورة، وباحثًا عن ثغرة للهجوم دون أن يصيب تيريسا. وقعت عينا تيريسا عليه مجددًا، فقالت:

- ابتعد...

تلاشت كلماتها، إذ امتصت الهامة وجهها في جلدها الدبق، وراحت تجذبها أعماق فأعمق، وتخنقها. حدق توماس متخشبًا؛ مات أناس كثيرون.. كثيرون جدًا، وما كان ليقف متفرجًا، ويتركها تضحى بنفسها لتتنقذه والآخرين، ما كان يسمح بهذا. صرخ وركض بكل ما يملك من قوة، وقفز محلقة في الهواء، وارتطم بالهامة، فاتجه المنشار الدوّار نحو صدره، فراغ إلى اليسار، وضربه بالماسورة، فانكسر المنشار، وطاح بعيدًا، وسمعه توماس يرتطم بالأرض محدثًا ضجيجًا في المكان. ثم استغل لحظة توازنه ليرفع يديه، ويغرس

الماسورة في جسد المخلوق بالقرب من رأس تيريسا، وبذل كل ما بوسعه ليستلّ الماسورة، ثم غرسها مرة تلو أخرى. هوت عليه الزائدة ذات الكماشة، ورفعته في الهواء وألقته، فارتطم بالأرضية الأسمنتية الصلبة متدحرجًا، ثم قفز واقفًا على قدميه. استعادت تيريسا شيئًا من التوازن، وهي على جسد المخلوق، وراحت تناوش أذرع الهامة المعدنية. شن توماس هجومًا مرة أخرى، وقفز متشبثًا باللحم الدهنيّ، وانهاه بالماسورة على كل ما يقترب منه، وتيريسا تقاتل وتعارك بالأسفل. أجفل المخلوق إلى جانب، ثم دار حول نفسه، وأطاح بها على بُعد عشر أقدام في الهواء قبل أن تسقط.

قبض توماس على ذراع معدنية، وركل الكماشة، وهي تهوي عليه مرة أخرى، ثم غرس قدميه في الكتلة الدهنية، ودفع نفسه أسفل خاصرة المخلوق، وأغمد يده في اللحم الرخو متحسسًا المقبض. خدش شيء ظهره، وتفشى الألم في جسده بأكمله، وواصل التنقيب باحثًا عن المقبض، شاعرًا بلحم المخلوق، كأنه طين سميك كلما توغلت يده بداخله. وأخيرًا لامست أطراف أصابعه بلاستيكيًا صلبًا، فدفع بيده بوصة للأمام، وأمسك بالمقبض، وجذبه بكل ما أوتي من قوة، وألقى بجسده بعيدًا عن الهامة، ورفع بصره، فرأى تيريسا تناوش شفرتين على بُعد بوصات من وجهها. ثم ران صمت مفاجئ على المكان إثر فرقة محرك المخلوق وموته، واستحال كتلة مستطيلة مسطحة من الدهون والتروس، وارتخت زوائده الناتئة، وهمدت على الأرض.

أراح توماس رأسه على الأرض، وتنفس الصُّعداء، ثم جاءت تيريسا إلى جانبه، وساعدته على الاستلقاء على ظهره، فرأى الألم على وجهها، وبشرتها المخدشة المتعرقة المحققة بالدماء، لكنها عندئذٍ ابتسمت بطريقةٍ ما، وقالت:

- شكّرًا يا توم.

- على الرحب.

كانت لحظة الاستجمام من المعركة أروع من أن تُصدّق.

ساعدته على الوقوف على قدميه قائلة:

- علينا مغادرة هذا المكان.

لاحظ توماس انقطاع تدفق الناس عبر المنزلق، وكان مينهو قد عبر للتو الباب المزدوج، ثم التفت وواجه توماس وتيريسا. انحنى واضعًا يديه على ركبتيه ليلتقط أنفاسه، وقال:

- خرجوا جميعهم.

ثم اعتدل واقفًا متأوِّهاً، وأردف:

- الذين نجوا منهم على الأقل، أظننا نعرف الآن لماذا تركونا ندخل بسهولة؛ كانوا يخططون لتمزيقنا شر ممزق بالهوام الخرقاء إذا عدنا. على أي حال، عليكم الصعود إلى المقدمة، ومساعدة برندا على إيجاد الطريق.

سأله توماس، وقد كان إحساسه بالارتياح غامراً:

- أهي بخير إذن؟

- نعم، وصلت إلى الأعلى.

وقف توماس على قدميه بصعوبة، لكنه ما كاد يخطو بضع خطوات حتى توقف؛ انبعث دويٌّ عميق من مكانٍ ما، من جميع الاتجاهات، وارتجَّت الغرفة لبضع ثوانٍ ثم سكَّنت. قال:

- من الأفضل أن نسرع.

وشرع في الركض ليلحق بالآخرين.

الفصل الحادي والسبعون

نجح مئتا شخص على الأقل في الخروج من المتاهة، لكنهم توقفوا لسبب ما، فشق توماس طريقه في الرواق المكتظ، وجاهد ليبلغ المقدمة. انسل بين رجال ونساء وأطفال حتى لمح برندا أخيرًا، فاندفعت نحوه، وعانقته ثم قبّلت خده، فتمنى توماس بكل جوارحه أن ينتهي كل شيء عندئذٍ، وأن يغدو بأمان، ولا يضطروا إلى الذهاب إلى أي مكان.

قالت:

- أمرني مينهو بالمغادرة، أرغمني على الذهاب، ووعد بالمساعدة إذا احتجت إليها، وقال لي إن إخراج الجميع هو الأهم، وإنكم يمكنكم تولي أمر الهامة. كان ينبغي أن أبقى.. أسفة.

أجاب توماس:

- أمرته بذلك. فعلت الأمر الصائب.. الأمر الوحيد الصائب. سنغادر هذا المكان عما قريب.

دفعته دفعة خفيفة:

- إذن، فلنسرع لنحقق المغادرة.

قال:

- حسنًا.

وضغط يدها، وانضما إلى تيريسا، وتحركوا نحو مقدمة المجموعة مجددًا. كان الرواق أعتم من ذي قبل، والمصابيح التي تعمل تصدر ضوءًا خافتًا، وتنطفئ من حين لآخر، وكان الناس الذين يمرون بهم مجتمعين واجمين، ينتظرون قلقين، رأى توماس السيد طاسة، الذي ظل صامتًا، لكنه بذل ما بوسعه ليبتسم ابتسامة تشجيعية، بدت كالعادة كأنها ساخرة. ومن بعيد تجيء أصوات دويٍّ مكتوم جعل المبنى يرتعش، وبدا أن الانفجارات لا تزال

بعيدة، لكن توماس عرف أنها ستداهمهم قريبًا. عندما وصل مع برندا إلى مقدمة الصف، وجدوا أن المجموعة توقفت عند سلالم، غير متأكدين مما إذا كان عليهم أن يصعدوا أو يهبطوا. وقالت برندا:

- علينا أن نصعد.

لم يتردد توماس، وأشار للمجموعة بأن يتبعوه، وبدأ يتسلق وبرندا إلى جانبه. رفض الاستسلام للإرهاق. أربعة طوابق.. خمسة.. ستة، ثم توقف في ممر ملتقطاً أنفاسه، ونظر إلى الأسفل، فرأى الآخرين قادمين. اقتادته برندا عبر ممشى، وعبر رواق طويل آخر، وانعطفت يسارًا ثم يمينًا، وصعدوا مجموعة سلالم أخرى، وعبروا صالة، ثم هبطوا عبر سلالم أخرى. تابعوا السير، وكان توماس يأمل أن يتبين صدق المستشار بشأن الناقل المسطح. دوى انفجار في مكان ما فوقهم، ارتج له المبنى بأكمله، وألقى توماس على الأرض، تشبّع الهواء بالغبار، وتساقطت قطع صغيرة من السقف على ظهره، وامتلاً الهواء بأصوات صرير أشياء وتحطمها. وأخيرًا بعد عدة ثوانٍ من الاهتزاز، سكن المبنى، وخيم الصمت على كل شيء. مد يده نحو برندا، واطمأن على سلامتها. وصاح في الرواق:

- هل الجميع بخير؟

هتف أحدهم:

- نعم!

- واصلوا التحرك! كدنا نصل!

ساعد برندا على الوقوف، ثم استأنفوا السير، وتوماس يبتهل أن يظل المبنى متماسكًا لوقت أطول قليلًا.

أخيرًا وصل توماس وبرندا، والذين يتبعونهم إلى قسم المبنى الذي رسمت المستشار دائرة حوله على الخريطة؛ غرفة الصيانة. انفجرت عدة قنابل، كل واحدة أقرب من سابقتها، لكن لم تكن بالقوة التي توقفهم بعدما وصلوا تقريبًا. كانت غرفة الصيانة تقع خلف منطقة مخازن كبيرة. وجدوا صفوفًا مرتبة من الأرفف المعدنية على امتداد الجدار الأيمن ملأى بالصناديق، فسار توماس إلى هذا الجانب من الغرفة، ثم لَوَّح للجميع بالدخول، وأراد

أن يجتمعوا كلهم قبل أن يدخلوا الناقل المسطح، وكان هناك باب في الجزء الخلفي من المكان، لا بد أنه يفضي إلى الغرفة التي يبحثون عنها. قال لبرندا: - أدخلهم واجعليهم يستعدون.

ثم ركض إلى الباب. إذا كذبت المستشارة بايج بشأن الناقل المسطح، أو عرف أي شخص من وكِد أو الذراع اليمنى بما يعتزمون فعله، فسينتهي أمرهم.

أفضى الباب إلى غرفة صغيرة ملأنة بطاولات تتناثر عليها الأدوات والقطع المعدنية وأجزاء الآلات، وعلى الجانب البعيد ثمة قطعة قماش ضخمة معلقة على الجدار، ركض توماس إليها وأنزلها، فوجد خلفها جدارًا رماديًا يصدر وميضًا خافتًا، مؤطرًا بلون فضي لامع، وإلى جواره صندوق تحكّم؛ كان الناقل المسطح.. لم تكذب المستشارة بايج. أطلق توماس ضحكة عندما خطرت له الفكرة؛ ساعدتهم وكِد.. زعيمة وكِد نفسها ساعدتهم، إلا إذا... أدرك أنه عليه التأكد من أمر واحد أخير، عليه اختباره ليعرف إلى أين يؤدي قبل أن يعبره الجميع. أخذ توماس نفسًا عميقًا.. هذه هي اللحظة الحاسمة. أرغم نفسه على أن يخطو عبر سطح الناقل المسطح البارد، فخرج إلى سقيفة خشبية بسيطة، بابها مفتوح أمامه على مصراعيه، وخلف الباب رأى خُصرة... الكثير من الخُصرة؛ عشبًا، أشجارًا، زهورًا، أجسامت.. كان المكان جيدًا بما يكفي بالنسبة إليه. عاد إلى غرفة الصيانة مبتهجًا؛ لقد نجحوا، كادوا يبلغون بر الأمان. ركض خارجًا إلى منطقة التخزين، وصاح:

- هيا! أدخلوا الجميع إلى هنا.. إنه يعمل! أسرعوا!

دوى انفجار ارتعشت له الجدران والأرقف المعدنية، وأمطر السقفُ غبارًا وحطامًا.

كرر:

- أسرعوا!

جعلت تيريسا الناس يركضون، ووجهتهم ناحية توماس، الذي وقف إلى الداخل من باب غرفة الصيانة، وعندما اجتازت أول امرأة عتبة الباب، أخذ بذراعها، واقتادها إلى جدار الناقل المسطح الرمادي. سألتها:

- تعرفين هذا، صحيح؟

أومات، وهي تحاول بشجاعة إخفاء لهفتها في عبور الشيء ومغادرة المكان، وقالت:

- عركتُ الحياة بما يكفي لمعرفة هذه الأمور يا فتى.

- أيمكنني أن أعهد إليك بالتأكد من عبور الجميع؟

امتقع وجهها في البداية، لكنها أومات. طمأنها توماس:

- لا تقلقي، ابقِ هنا بقدر ما يمكنك فحسب.

وحالما وافقت ركض عائداً إلى الباب.

كانت الغرفة تعج بالناس، فترجع توماس، وقال:

- إنه هناك، أفسحوا مكاناً على الجانب الآخر!

انسل بين الناس المحتشدين، وعاد إلى المخزن، وكان الجميع مصطفين يسرون في طابور إلى غرفة الصيانة، وفي مؤخرة الحشد يقف مينهو وخورخي، وبرندا وتيريسا، وأريس والسيد طاسة، وبضع فتيات من المجموعة (ب)، وكان جالي هناك أيضاً، فشق توماس طريقه نحو أصدقائه. قال مينهو:

- من الأفضل أن يسرعوا، الانفجارات تزداد اقتراباً.

أردف جالي:

- سينهار المكان بأكمله.

جال توماس بناظره في السقف كأنه يتوقع انهياره في أي لحظة، وقال:

- أعرف، أمرتهم بالإسراع، سنخرج جميعنا من هنا في غضون...

- ما الذي يجري هنا؟!

هتف صوت من نهاية الغرفة.

ندت بضع شهقات حول توماس، وهو يلتفت ليرى المتحدث، كان الرجل الجرد قد دخل للتو عبر الباب من الرواق الخارجي، ولم يكن وحده، محاطاً بحراس وكِد، حسب توماس مجموعهم، فوجدهم سبعة، مما يعني أنه وأصدقائه لا تزال لديهم الأفضلية.

توقف جانسن، وضم كفيه حول فمه ليوصل صوته في أثناء دوي انفجار

آخر:

- من الغريب اختيار هذا المكان للاختباء، وكل شيء على وشك الانهيار!

تساقطت قطع معدنية من السقف، وأصدرت جلبة على الأرض.

صاح توماس:

- تعرف ما يوجد هنا! لقد فات الأوان، ذهب معظمنا بالفعل!

استلَّ جانسنُ المدية الطويلة نفسها التي كان يحملها بالخارج، ولَوَّحَ بها، وكأنما كانت إشارة، كشف الآخرون عن أسلحة مشابهة.

قال جانسنُ:

- لكن يمكننا استنقاذ بعضكم، ويبدو أن الأقوى والألمع من بينكم يقفون أمامنا هنا، حتى مرشحنا النهائي نفسه الذي نريده بشدة، لكنه يرفض التعاون!

انتشر توماس وأصدقاؤه في صفٍ بين حشد السجناء الذي يسير ببطء وبين الحراس، وكان الآخرون في مجموعة توماس يبحثون في الأرض عن أي شيء يمكنهم استخدامه سلاحًا؛ أنابيب، براغي طويلة، أي قطع معدنية. لمح توماس كتلة أسلاك سميكة مغلقة تنتهي بأسلاك شائكة، تبدو مميتة كأنها رمح، فأمسكها، والغرفة ترتج إثر انفجار آخر، وانهار قسم ضخم من الأرفف المعدنية على الأرض.

زعق الرجل الجرد:

- لم يسبق لي أن رأيت عصابة خطيرة كهذه!

لكن وجهه كان جنونياً، وقد انعقف فمه بتكشيرة وحشية، وأردف:

- عليَّ الاعتراف بأنني مرعوب!

صاح مينهو به:

- أغلق فمك الأخرق، ولنحسم الأمر!

ركز جانسنُ نظراته الجنوبية الباردة على المراهقين الذين يواجهونه، وقال:

- بكل سرور.

كان توماس متحرِّقًا للهجوم لينتقم لكل الخوف والألم، والمعاناة التي وسَّمت حياته منذ مدة طويلة. وصرخ:

- هيا!

انقضَّت المجموعتان على بعضهما بعضًا، وطغى على صيحات الحرب التي أطلقوها ارتجاجٌ مفاجئٌ إثر انفجارات زلزلت المبنى من حولهم.

الفصل الثاني والسبعون

حافظ توماس على توازنه بطريقةٍ ما، رغم ارتجاج الغرفة من سلسلة الانفجارات الأقرب حتى الآن، تهاوت معظم الأرفف، وانفلتت الأشياء في أنحاء الغرفة. تفادى كتلة خشب مثلمة، ثم قفز فوق قطعة آلة متدرجة تحته. تعثر جالي، الذي كان جوار توماس، وسقط، فساعده على النهوض، وواصل الهجوم، وتعثرت برندا، لكنها استعادت توازنها. التحموا بالآخرين مثل الصف الأول من الجنود في المعارك القديمة. واجه توماس الرجل الجرد نفسه، الذي كان أطول منه بقدم على الأقل، مُلوِّحًا بمديته، التي هوت نحو كتف توماس راسمة قوسًا، لكن توماس طوَّح بسلكه للأعلى، وضرب إبط الرجل، فصرخ جانسن، وألقى سلاحه، وتدفق الدم من جرحه، فأطبق عليه بيده الأخرى، وتقهرق مبتعدًا، رامقًا توماس بعينين تقطران مقلًا.

كان الجميع يقاتل ذات اليمين وذات الشمال، وامتلأ رأس توماس بأصوات احتكاك المعدن بالمعدن والصيحات والصرخات والتأوهات، صار بعضهم اثنين في مواجهة واحد، وكان مينهو يقاتل امرأة بدت قوتها ضعف قوة أيٍّ من الرجال، وكانت برندا على الأرض تصارع رجلًا نحيلًا، وتحاول إسقاط منجل من يده. رأى توماس كل هذا بنظرة خاطفة، ثم أعاد تركيزه على خصمه.

قال جانسن متجهماً:

- لا يهمني إذا نزفت حتى الموت، ما دمت سأموت بعدما أعيذك للأعلى.

ارتجَّت الأرض تحته إثر انفجار آخر، وتعثر توماس للأمام، وسقط منه سلاحه الذي وجده كيفما اتفق، ثم ارتطم بصدر جانسن، فتهالك الاثنان على الأرض، وجاهد توماس ليدفع عنه الرجل بيد، ويضربه بكل ما أوتي من قوة باليد الأخرى، فانهال على خد جانسن الأيسر بقبضته المكورة، وشاهد رأس الرجل الجرد، وهو ينتزع جانبًا، والدم يتطاير من فمه، ثم أرجع توماس يده

ليضربه مجددًا، لكن الرجل قوَّس جسده بعنف، وألقاه بعيدًا، فسقط على ظهره.

وقبل أن يتمكن توماس من التحرك قفز جانسن عليه، ووضع ساقيه حول جذعه، مثبتًا ذراعي توماس بركبتيه، فتشنج توماس ليتحرر، والرجل ينهال عليه بقبضتيه، لاكمًا وجه توماس غير المحمي مرة تلو أخرى. داهم الألم توماس، ثم ضُخ الأدرينالين في أوصاله، ما كان ليموت هنا، دفع الأرض بقدميه، ورفع بطنه للأعلى. لم يتزحزح عن الأرض إلا بمقدار بضع بوصات، لكنها كانت كافية لتحرير ذراعيه من ركبتي الرجل، فصدَّ اللكمة التالية بذراعيه، ثم صوب قبضتيه الاثنتين نحو وجه جانسن، ففقد الرجل الجرد توازنه، ودفعه توماس عنه، ثم ركل جانسن بثني ركبتيه، وتصويب باطن قدميه إلى خاصرته، وتابع ركله بهذه الطريقة عدة مرات، لكن جانسن انقلب فجأةً وهاجمه، أمسك قدمي توماس، وألقاهما جانبًا، ثم قفز معتليًا توماس مجددًا. جن جنون توماس، وراح يرفس، ويلكم ويتلوى ليبعد الرجل من فوقه.. تدرجًا، وكلُّ منهما ينال الأفضلية لجزء من الثانية قبل أن ينقلب الوضع مرة أخرى. تطايرت القبضات، وركلت الأقدام، واستشرت وخزات الألم في جسد توماس، وراح جانسن ينشب مخالفه ويعض، وواصل التدرج، وتبادل الضرب بهياج دون تركيز.

وجد توماس أخيرًا زاوية مواتية ليهوي بمرفقه على أنف جانسن، فصُعب الرجل، وهرعت يده إلى وجهه، سرت دفقة طاقة هائلة في أوصال توماس، فوثب على جانسن واعتلاه، وأحكم أصابعه حول عنق الرجل، وضغط عليه، فراح جانسن يتخبط بقدميه وذراعيه، لكن توماس أطبق على عنقه بضراوة وحشية، مائلًا إلى الأمام بكل ثقله، ويدها تضيقان الخناق تضيقًا متزايدًا، وأحس بأشياء تنهشم وتطقطق، ثم جحظت عينا جانسن، وتدلَّى لسانه من فمه.

صُفع رأس توماس بكف مفتوحة، وعرف أن ثمة كلمات تُوجَّه إليه، لكنه لم يعها، ثم ظهر وجه مينهو أمام وجهه، وكان يزعق قائلاً شيئًا، وقد تملك توماس التعطش للدماء. مسح عينيه بكم قميصه، ثم ركز نظراته على جانسن

مجددًا. كان الرجل قد قضى نحبه، وصار هامدًا شاحبًا رثًا. ونظر توماس إلى مينهو. كان صديقه يزعق:

- إنه ميت! إنه ميت!

أرغم توماس نفسه على إفلات عنق الرجل، ونهض عنه مترنحًا، وأحس بمينهو يساعده على الوقوف. صاح مينهو في أذنه:

- نلنا منهم جميعهم! علينا أن نذهب!

اهتز جانبا غرفة التخزين بانفجارين في الوقت نفسه، وانهار الجداران نفسهما إلى الداخل، فتطايرت قطع القرميد والخرسانة في جميع الاتجاهات، وانهمر وابلٌ من الأنقاض على توماس ومينهو، وتلبّد الهواء بالغبار، ثم أحاطت هيئات شبحية بتوماس، تترنح وتسقط ثم تنهض. كان توماس واقفًا على قدميه، يتحرك، مُيمّمًا شطر غرفة الصيانة.

سقطت أجزاء من السقف، وتهشمت مدوية، بأصوات مريعة تصم الأذان، وارتجّت الأرض ارتجاجًا عنيفًا، وتوالى انفجار القنابل دون انقطاع، وبدأت كأنها في كل مكان في لحظة واحدة. سقط توماس، فشده مينهو ليقف على قدميه، وبعد ثوان سقط مينهو، فرفعه توماس، وسحبه حتى صارا يركضان. ظهرت برندا فجأة أمام توماس، والرعب في عينيها، وحُيِّل له أنه رأى تيريسا قريبة أيضًا، جميعهم يجاهدون للحفاظ على توازنهم، وهم يتحركون للأمام. دوّت جلبة هائلة أرغمت توماس على النظر إلى الوراء، ورفع بصره للأعلى، فرأى قسمًا كبيرًا من السقف يتصدع وينهار، فوقف يشاهد متسمرًا، وهو يهوي نحوه، وظهرت تيريسا عند زاوية رؤيته، وصورتها تُميّز بالكاد عبر الهواء المختنق، وارتطم جسدها بتوماس، دافعًا إياه نحو غرفة الصيانة، فاستحال عقله صفحة بيضاء، وهو يتعثّر للخلف ويسقط، في نفس لحظة سقوط كتلة السقف الضخمة على تيريسا ساحقة جسدها، فلم يظهر منها سوى رأسها، وذراع واحدة أسفل محيط الكتلة.

- تيريسا!

صرخ توماس بصوت خارق طغى على كل شيء، وهرع نحوها، فرأى الدم يسيل على وجهها، وبدأت ذراعها مهشمة. صرخ باسمها مجددًا، وفي عقله

رأى تشاك يسقط على الأرض مضرّجًا بدمائه، ورأى عيني نيوت الجاحظتين..
ثلاثة من أقرب أصدقائه، سلبتهم منه وكِد.

همس لها مدرّكًا أنها لا تسمعه:

- أنا آسف.. أنا آسف.

تحركت شفتها، محاولةً الكلام، فمال توماس نحوها ليتبيّن ما تحاول
قوله. همست:

- أنا... أيضًا، لم أهتم يومًا.. سوى بـ...

عندئذٍ سَحَب توماس على قدميه، وجُذِبَ بعيدًا عنها، ولم تُكُن لديه الطاقة
أو الإرادة ليقاوم. لقد رحلت.. اجتاح الألم جسده، ووخزه قلبه. مينهو وبرندا
رفعاه ليقف على قدميه، ثم تحرك ثلاثتهم للأمام. نشب حريق من فجوة
خلفها انفجار، وانسرب الدخان، وامتزج بالغبار الكثيف، فسعل توماس، لكنه
لم يسمع سوى هدير في أذنيه. ارتعش الهواء إثر دويٍّ آخر، فأدار توماس
رأسه، وهو يركض ورأى الجدار الخلفيَّ لغرفة التخزين ينفجر، ويسقط على
الأرض، وألسنة اللهب تتراقص بين أنقاضه، ثم بدأ السقف المتبقي فوقه
يتداعى بعدما لم يُعد شيء يسنده. كان كل شبر من المبنى يتساقط.

وصلوا إلى باب غرفة الصيانة، وانسلوا داخلها، فرأوا جالي يختفي عبر
الناقل المسطح، والجميع ذهبوا. سار توماس متعثّرًا مع أصدقائه عبر الممر
القصير الذي بين الطاومات، وأحسوا أنهم سيموتون في غضون ثوانٍ، إذ
تصاعدت أصوات ارتطام الأشياء وتهشمها خلف توماس إلى درجة لا تصدق؛
التصدع والصرير، وصرير المعادن، وحسيس ألسنة اللهب.. جميعها
تصاعدت إلى درجة تفوق الخيال، وفضّل توماس ألا ينظر، رغم أنه كان
يستشعر أن كل شيء يتهاوى في أعقابه. دفع برندا عبر الناقل المسطح،
وكان العالم ينهار حوله ومينهو... قفزا معًا في الجدار الرماديّ ذي البرودة
اللاسعة.

الفصل الثالث والسبعون

أحس توماس بصعوبة في التنفس، وراح يسعل ويبصق، وتسارعت نبضات قلبه، ولم تهدأ، هبط على الأرضية الخشبية بالسقيفة، وبدأ يزحف للأمام، راغبًا في الابتعاد عن الناقل المسطح تحسُّبًا لتطاير أي حطام عبره، بيد أنه لاحظ بطرف عينه برندا تضغط أزرارًا على لوحة تحكم، وعندئذٍ تلاشى اللوح الرماديُّ من الوجود، كاشفًا عن ألواح خشب السيدار على حائط السقيفة خلفه. وتساءل توماس: « كيف تعلمتُ فعل هذا؟! ».

قالت برندا:

- أنت ومينهو، اخرجوا.

تكلمت بنبرة إلحاح لم يستوعبها توماس، أردفت برندا:

- ثمة مهمة أخيرة عليَّ فعلها.

نهض مينهو واقفًا على قدميه، واقترب من توماس ليساعده على الوقوف

قائلًا:

- دماغى الأخرق لن يحتمل ثانية إضافية واحدة من التفكير، فلنتركها

تفعل ما تشاء، هيا.

قال توماس:

- كلام جميل.

ثم نظر الاثنان إلى بعضهما بعضًا مدة طويلة، وهما يلتقطان أنفاسهما، وبطريقة ما في هذه الثواني استعدادا في مخيلتهما كل ما خاضاه؛ كل الموت، كل الآلام. وفي خضم كل هذا تسرَّب إليهما إحساس بالراحة لاحتمال - مجرد احتمال - أن كل شيء انتهى.

بيد أنّ توماس أحس بألم الفقد، فمشاهدة موت تيريسا في سبيل إنقاذه، كانت أقسى من قدرته على التحمّل. وعندئذٍ وهو يحدّق إلى الشخص الذي صار صديقه الصدوق، اضطر إلى حبس دموعه، وفي هذه اللحظة أقسم على عدم إخبار مينهو بما فعله بنيوت أبدًا.

أجاب مينهو أخيرًا:

- كلام جميل، بلا شك أيها الأخرق.

لكن ابتسامته الساخرة التي تميّز بها كانت مفقودة، وبدلاً منها علّت وجهه نظرة أوحّت لتوماس أنه فهم، وأنهما سوف ينوءان بثقل أسى فقدهما لبقية حياتهما، ثم استدار وسار مبتعدًا. وبعد وهلة طويلة تبعه توماس، وعندما خطا إلى الخارج توقف ليجول بناظره، فقد جاؤوا إلى مكان قيل لهم إنه لم يُعد موجودًا؛ مخضر ووارف الظلال ونابض بالحياة. كان يقف أعلى تلة مطلة على حقل تكسوه الأعشاب الطويلة والزهور البرية، ومثنا شخص تقريبًا الذين أنقذوهم يجولون في المنطقة، حتى إن بعضهم يتراكمون ويتقافزون. إلى يمينه تنحدر التلة إلى وادٍ به أشجار باسقة بدت كأنها تمتد لأميال، وتنتهي عند جدار من جبال صخرية تلامس هاماتها السماء الزرقاء الصافية. وإلى يساره يتدرج المرج المعشوشب إلى أعشاب متفرقة، ثم إلى رمال، وبعدها المحيط، بأواجه العاتية الداكنة التي يتخللها الزبد الأبيض عند تكسرها على الشاطئ. فردوس.. لقد جاؤوا إلى فردوس. لم يسعه سوى أن يأمل في أن يشعر قلبه ذات يوم ببهجة المكان.

سمع باب السقيفة يُغلق ثم هسيس نار خلفه، والتفت فرأى برندا، فدفعته برفق بضع خطوات بعيدًا عن السقيفة التي حاقت بها السنة اللهب.

سألها:

- مجرد إجراء احترازيّ؟

رددت:

- مجرد إجراء احترازيّ.

وغمرته بابتسامة من العذوبة، بحيث جعلته يسترخي قليلًا، ويحس بقدر ضئيل من العزاء.

وأردفت:

- أنا... يؤسفني ما حلَّ بتيريسا.

- شكرًا.

كانت الكلمة الوحيدة التي خطرت له.

لم تقل برندا كلامًا آخر، وجال بخاطر توماس أنها ليست في حاجة إلى قول الكثير. سارا وانضما إلى مجموعة الذين قاتلوا في المعركة الأخيرة ضد جانسن وشردمته، وكانوا جميعهم تغطيتهم الخدوش والكدمات. التقت عيناه بعيني السيد طاسة وعيني مينهو، ثم ولوا وجوههم نحو السقيفة، وشاهدوها تحترق وتتهاوى.

بعد بضع ساعات، اقتعد توماس قمة جرف نزي إطلالة على المحيط، وقدماه متدليتان فوق الحافة، شارفت الشمس على الغوص في الأفق، الذي تراءى له متوهجًا، فكان أحد أروع المناظر التي شاهدها.

شرح مينهو في تولي زمام الأمور في الغابة بالأسفل، حيث قرروا أن يعيشوا، منظمًا فرق البحث عن الطعام، ومشرفًا على التفاصيل الأمنية وتكوين لجنة. وكان توماس سعيدًا بهذا، غير راغب في حمل أقل قدر من المسؤولية على عاتقه مجددًا، إذ كان مرهقًا، جسدًا وروحًا، وكان يأمل أنهم -حيثما كانوا- معزولون وآمنون، بينما يجاهد بقية العالم في سبيل معرفة كيفية التعامل مع الوبح، سواء بعلاج أو دون علاج، وكان يعرف أن العملية سوف تكون طويلة ومضنية وبشعة، كما يعرف أنه على يقين تام من عدم رغبته في أن يكون طرفًا في العملية... نفذ يديه من الأمر برمته.

- مرحبًا.

التفت توماس، فرأى برندا:

- مرحبًا، أتودين الجلوس؟

- لمانا؟ نعم، شكرًا لك.

اقتعدت الأرض جواره قائلة:

- يذكرني المشهد بالغروب في مقر وكد، لكنه لم يبدو مبهجًا هكذا هناك.

- ينطبق قولك هذا على الكثير من الأشياء.

أحس بانقباض آخر، وهو يرى بعين عقله وجوه تشاك ونيوت وتيريسا. انقضت بضع دقائق في صمت، وهما يحدقان إلى ضوء النهار المتلاشي، ويشاهدان السماء، والمياه تصطبغ بالبرتقاليّ، فالزهريّ، فالبنفسجيّ، ثم الأزرق الداكن.

سألته برندا:

- ما الذي يجول في رأسك؟

- لا شيء على الإطلاق. لن أفكر بشيء في الوقت الراهن.

كان صادقًا، فلأول مرة في حياته صار حرًا وأمنًا، رغم الثمن الباهظ الذي دفعه مقابل هذا الإنجاز. ثم فعل توماس الأمر الوحيد الذي خطر له فعله؛ مد يده وأمسك يد برندا، فضغطت على يده قائلة:

- نحن أكثر من مئتين، وجميعنا أصحاب مناعة، ستكون بداية مُبشّرة.

نظر توماس إليها مرتابًا من ثقته بما قالت، كأنها تعرف شيئًا لا يعرفه.

- ما الذي من المفترض أن يعنيه هذا؟!

مالت إلى الأمام، ولثمت خده، ثم شفّتيه، وقالت:

- لا شيء.. لا شيء مطلقًا.

أبعد توماس عن رأسه كل شيء، واحتضنها مع تلاشي آخر خيوط ضوء الشمس عند الأفق.

مكتبة

t.me/soramnqraa

خاتمة

مذكرة وِكدِ الأخيرة. التاريخ: 10/4/232 - الساعة: 12:45

إلى: شركائي.

من: إيفا بايج، المستشار.

الموضوع: بداية جديدة.

إذن، لقد فشلنا، لكننا نجحنا أيضًا. لم تؤتِ رؤيتنا الأصلية ثمارها، ولم يكتمل المخطط الأولي قط، وعجزنا عن اكتشاف أي لقاح أو علاج للوهج، لكنني توقعت هذه النتيجة، وتوصّلتُ إلى حل بديل من أجل إنقاذ نسبة على الأقل من بني جنسنا، بمساعدة شركائي، وهما اثنان من أصحاب المناعة جرى اختيارهما بحكمة، تمكنت من تخطيط وتنفيذ حل سوف يقضي إلى أفضل نتيجة يمكن أن نأمل الوصول إليها.

أعرف أن غالبية أعضاء وِكدِ كانوا يعتقدون أننا علينا أن نزداد حزمًا ونتعمق في البحث، ونقسو على مواضيع دراستنا، ونواصل البحث عن حل، ونبدأ جولة تجارب جديدة، لكننا أغفلنا رؤية الحقيقة الماثلة أمام أعيننا، وهي أن أصحاب المناعة هم الثروة الوحيدة المتبقية لهذا العالم. أرسلنا أذكى وأقوى مواضيع دراستنا إلى مكان آمن، وإذا سار كل شيء وفقًا لما خُطِّط له، فسوف يمكنهم بناء حضارة مرة أخرى، بينما يتجه بقية العالم نحو مصير الانقراض.

وأملّي هو أن تكون منظمنا خلال السنوات الماضية، قد دفعت جزئيًا ثمن الفعل الشائن الذي لا يوصف، والذي اقترفه أسلافنا في الحكومة. ورغم أنني أدرك تمام الإدراك أنه كان تصرفًا دافعه اليأس بعد حادثة الوهج الشمسيّ،

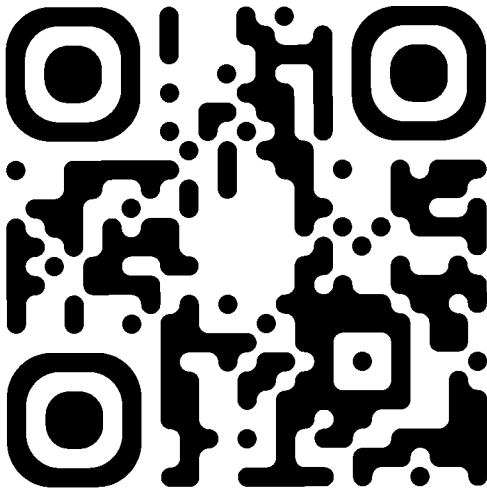
لكن إطلاق فيروس الوهج بوصفه وسيلة للحد من عدد السكان كان جريمة مروعة لا سبيل إلى التكفير عنها أو علاجها، وما كان لأحد أن يتوقع نتائجها الكارثية. وقد عملت وكد منذ اقتراح الفعل من أجل تصحيح الخطأ، بإيجاد علاج. ورغم إخفاق مساعينا في هذا الصدد، يمكننا على الأقل قول إننا غرسنا بذرة مستقبل الجنس البشري.

لا أدري كيف سيحاكم التاريخ أفعال وكد! لكنني أصرح هنا للتوثيق بأن المنظمة كان لديها هدف واحد فقط، وهو استبقاء الجنس البشري، ونجحنا في تحقيقه بهذا الفعل الأخير، فكما حاولنا أن نغرس في أذهان مواضيع دراستنا مرارًا وتكرارًا... وكد تسعى للخير.

الجزء الثالث من السلسلة ,, بقي جزئين
سجل في مكتبة الآن ..

انضم ل مكتبة .. اصحح الكود

telegram @soramnqraa



عقار الموت

سَلَبَت وِيد توماس من كل شيء: حياته، وذكرياته، والآن أصدقاءه الوحيدين.. أفراد الجلايد. لكن انتهى كل شيء أخيرًا، اكتملت التجارب بعد اختبار واحد أخير. ما لا تعلمه وِيد هو أن توماس يتذكر أكثر مما يتصورون، يتذكر ما يكفي لإقناعه بعدم تصديق أي كلمة يقولونها.

تغلب توماس على تعقيدات المتاهة، ونجا من الأرض المحترقة، وسيخاطر بكل شيء في سبيل إنقاذ أصدقائه. لكن الحقيقة هي ما قد تُنهى كل شيء. ولى عهد الأكاذيب.

تحذير بحرق الأحداث: اقرأ "عداء المتاهة" أولاً.



telegram @soramnqraa



- www.aseeralkotb.com
- contact@aseeralkotb.com
- aseeralkotb
- aseeralkotb
- aseeralkotb